بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

مقدّمة النّاشر

هذا الكتاب موسوعة ضخمة، تضمّ أربعة عشر جزءاً، قام بتأليفها المحقّق والمفسِّر الكبير، الأستاذ العلّامة حسن المصطفوي.

هو إنسان كامل وعالم نورانيٌّ، عملَ على سبر غور مفردات القرآن الكريم ومفاهيمه، والوقوف على المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفهوم ولفظ والكشف عنه وتوضيحه.

ربّما هناك عدد قليل من المفسِّرين الكبار ممّن اتّبعوا هذا النّهج في تفسير بعض مفردات القرآن على نطاق محدود وفي مواضع متفرِّقة، غير أنّ العلّامة المصطفوي استطاع في هذا الكتاب الّذي ليس له نظيرٌ في تاريخ الإسلام ـ وحسبما أفاد باحثون كبار ممّن يتردّدون على هذا المركز ـ الوقوف على المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفردة من مفردات القرآن المجيد، وتناول قواعد الكتاب بأسلوب فريد محكم ومستدلّ من النّاحية العلميّة والتاريخيّة.

تتلخّص المبادئ الأساسية والمهمّة الّتي اعتمدها العلّامة في نهجه هذا في أنّه من غير الممكن تفسير الآيات ما لم يتحدّد المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفردة من مفردات القرآن الكريم.

إنّه محقِّق فريد ومفسِّر كبير على ارتباط بعالم الغيب والشّهود دون شك.

وحسبما نُقِل عن أفراد أسرته إنّ معاني بعض مفردات القرآن ومفاهيمه كانت تتجلّى له من عالم الغيب إلى الشّهود، فيقوم فضيلته بتدوينها.

ومن كراماته الأخرى أنّ تدوين هذا الكتاب النّفيس جاء في نسخته الأُولى دون الحاجة إلى شطب أو تعديل.

هذا ويسرُّ مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي أن يُقدِّم هذه الموسوعة القيِّمة إلى كافّة العلماء ومفسِّري القرآن الكريم وعشّاق الثّقافة القرآنيّة.

مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

رَبِّ يَسِّر ولا تُعسِّر سَهِّل علينا يا ربَّ العالَمين.

الحَمْدُ لله الّذي هَدانا لهذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أن هَدانا الله.

والصّلاة والسّلام على خير خلقه خاتَمِ النبيِّينَ أبي القاسم محمّد وآله الطّاهرين المَعْصومين.

وبعدُ: فنبدأ بحول الله وقوّته وتوفيقه بالجزء الخامس من كتاب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم) وأوّله حرف السين.

ونسلك في هذا الجزء أيضاً على ضوابط أشرنا إليها في مقدّمة الكتاب.

ولازم للقارئ العزيز أن يُراجع إليها ليكون على بَصيرة من مَبانيه.

وأستعين الله عزّ وجلّ وأستمِدّه في هذا المَشروع الخطير، إنّه خير مُوفِّق ومُعين، وما النّصر إلّا مِن عند الله العزيز الحَكيم.

وكفىٰ بربِّك هادياً ونصيراً.

حسن المصطفوي

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

باب حرف السِّين

سأل :

مقا ـ سأل: كلمة واحدة. يقال سأل يسأل سؤالاً ومَسْألة. ورجل سُؤَلة: كثير السؤال.

مصبا ـ سألت الله العافية: طلبتها، سُؤالاً ومَسْألة، وجمعها مَسائل، وسألته عن كذا: استعلمته، وتَساءلوا: سأل بعضهم بعضاً، والسُّؤال: ما يُسأل. والمسؤول: المطلوب. والأمر من سأل: إسأل. وفيه لغة: سال يسال من باب خاف، والأمر سَل.

صحا ـ السُّؤل: ما يسأله الإنسان، وقرئ ـ أُوتيتَ سُؤلَك يا موسى ـ بالهمزة وبغير الهمز. وسألته الشيءَ وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألة، قوله ـ سألَ سائلٌ بعذابٍ واقع ـ أي عن عذاب. قال الأخفش، يقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. وقد تخفّف همزته فيقال سال يسال، والأمر منه سَل، ومن الأوّل إسأل. ورجل سُؤَلة: كثير السؤال.

أسا ـ هو سَأَل وسَؤول وسُؤَلة، وقوم سَأَلة وسُؤّال. وسألته عن كذا سؤالاً ومسألة، وساءلته عنه مُساءَلة، وتساءَلوا عنه، وسألته حاجة، وأصبت منه سُؤلي:

طَلِبَتي، فُعْلٌ بمعنى مفعول كعُرف ونُكر.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو طلب أمر عن شخص، والمطلوب أعمّ من أن يكون خبراً أو مالاً أو علماً أو عطاءً أو شيئاً آخر.

فإذا كان المطلوب خبراً يكون بمعنى الاستخبار، وإذا كان علماً يكون بمعنى الاستعلام، وإذا كان عطاءً يكون بمعنى الاستعطاء.

وهذه المادّة متعدّية إلى مفعولين بنفسها، فيقال سأله متاعاً. وقد تتعدّى إلى الثاني وتستعمل بالباء أو بحرف عن، بحسب اقتضاء المعنى.

والفرق بين السؤال والطلب: أنّ الطلب صفة نفسانيّة قائمة بالنفس ولا يحتاج إلى الظهور أو إلى الإظهار كما في طلب الكمال، وفيه إلزام. وليس كذلك السؤال وليس فيه إلزام.

فالسؤال عن خبر: كما في ـ وَلَئِن سألتَهُم مَن خَلَقَ السَّماواتِ، لا يُسأَل عمّا يَفعل وهم يُسألون، وأقبلَ بعضُهم على بعض يَتساءَلون.

والسؤال عن عطاء: كما في ـ وما أسألُكُم عَليهِ مِن أجر، قُل لا أسألكُم عَلَيه أجراً، أم تَسألهم خرجاً. ولا يَسألْكُم أموالَكُم ـ ٤٧ / ٣٦.

والسؤال عن علم: كما في ـ يَسألونَكَ عَنِ الرُّوح، يَسألونَكَ عَنِ السّاعَة، وإذا سألَكَ عِبادي عَنِّي فإنِّي قَريبٌ ـ ٢ / ١٨٦.

والسؤال عن عمل: كما في ـ يَسألكَ أهل الكتاب أن تُنَزِّل عَلَيهم كتاباً.

والسؤال عن عذاب: كما في ـ سألَ سائِلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين.

ثمّ إنّ الاستعمال بالباء: إنّما يكون في مقام التأكيد ـ فاسأل به خبيراً، سألَ سائلٌ بعَذابٍ واقع.

وبحرف مِن: يدلّ على التبعيض كما في ـ ما سألتُكُم من أجر.

ويستعمل بحرف مِن: إذا أريد الدلالة على إخراج وتفكيك عن شيء، والتبعيض من مصاديق هذا المعنى. وبحرف عن: إذا أريد الدلالة على صدور وتجاوز عن شيء محسوساً أو معنويّاً كما في ـ إن سألتُكَ عَن شَي، لا تسألوا عَن أشياءَ، ويَسألونَكَ عَن اليَتامَى ـ أي عمّا يختصّ بهم وعن حالاتهم وأحكامهم، فيسأل صدور أحكامهم وما يختصّ بهم. وهذا بخلاف حرف من فيدلّ على الإخراج، كما في إخراج الأجر.

* * *

سأم:

مصبا ـ سئِمته أَسْأَمُه من باب تَعِبَ سَأَماً وسَآمة: بمعنى ضجرته ومللته. ويُعدَّى بالحرف أيضاً فيقال سَئِمتُ منه. وفي التنزيل ـ لا يَسأَمُ الإنسانُ مِن دُعاء الخير.

لسا ـ سَئِم الشيءَ وسَئِم منه وسَئِمتُ منه أَسْأمُ سَأَماً وسَأمة وسَآماً وسَآمة: مَلَّ، ورجل سَؤوم وقد أسأمَه هو. والسآمة: المَلَل والضَّجَر.

مفر ـ السآمة: المَلالة ممّا يكثر لبثه، فعلاً كان أو انفعالاً، قال: وهم لا يَسأمون.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الملالة مع الضجر.

وأمّا الفرق بين هذه المادّة وموادّ الكسل والفتور والرخو والضعف والقلق والبطالة واللين والضيق والملالة والضجر:

أنّ الرخو ضدّ الشدّة. كما أنّ البطالة في مقابل الحقّ. والضعف في مقابل القدرة. واللّين في مقابل الخشونة. والضيق في قبال الوسع. كما سبق في مادّتي ـ الحقّ والرخو.

والفتور: هو لين وضعف بعد الحدّة.

والكسل: مطلق الفتور والتثاقل.

والقلق: هو الاضطراب في قبال الطمأنينة.

والملالة: تضيّق القلب ويعبّر عنه بالفارسيّة (گرفتگى و دلتنگى).

والضجر: تألّم يعبّر عنه بـ (آزردگى و رنجورى).

والسأم: مفهوم مركّب من المَلَل والضَّجَر.

وسيجيء في ذيل الموادّ ما يوضح حقائقها أكثر ممّا ذكرناه هنا.

ويؤيّد المفهومَ استعمال السامِ معتلّاً بمعنى الموت والمرض.

يُسَبِّحُونَ لَهُ باللَّيْلِ والنَّهارِ وَهُم لا يَسْأمُون ـ ٤١ / ٣٨.

أي لا يجدون في أنفسهم مَلَلاً وضَجَراً من إدامة التسبيح ومن الاشتغال به، فإنّ الاشتغال بما يلائم النفس يوجب شعفاً وبهجة وانشراحاً للقلب، كما قال: لا يَسْأَمُ الإنسان مِن دُعاء الخَيْر ـ ٤١ / ٤٩ ـ أي لا يملّ ولا ينضجر إذا كان في طلب ما يلائم روحه وفي طريق تحصيل ما هو خير له.

لا تَسْأَمُوا أن تكتُبوه صَغيراً أو كَبيراً إلى أجَله ـ ٢ / ٢٨٢.

أي لا يكن منكم إظهار السَّـأَم في موقع لزوم المكاتبـة حين التـداين، حتّى يوجب السَّأمُ تركَ المكاتبة بينكم.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في الآيات دون نظائرها.

* * *

سبأ :

مقا ـ سبي : أصل واحد يدلّ على أخذ شيء من بلد إلى بلد آخر كَرْهاً، من ذلك السَّبي، يقال سَبَى الجاريةَ يَسبيها سَـبياً. وإذا كان مهموزاً خالف المعنى الأوّل، وكان على أربعة معان: فالأوّل ـ سبأت الجِلدَ، إذا مَحشتَه (قشرته) حتّى أُحرِقَ شيئاً من أعاليه. والثاني ـ سبأت جلدَه: سلخته. والثالث ـ سبأ فلان على يمين كاذبة، إذا مرّ عليها غير مكترث. والرابع ـ قولهم ذهبوا أيادي سبا، أي متفرّقين، وهذا مـن تفرّق أهل اليمـن. وسَبا: رجل يجمع عامّة قبائل اليمـن. ويسمّى أيضاً بلدُهم بهـذا الإسم.

الاشتقاق ٣٦١ ـ قَحطان من قولهم قحيط أي شديد، وَلَدَ قَـحطانُ يَـعرُبَ، وهو يَفعُلُ من قولهم أعربَ في كلامه أي أفصَح فيه. ووَلَد يَعرُبُ يَشجُبَ، من قولهم شجَب الرجل إذا هلك. وولَد يشجُبُ سَبأ، مهموز، قال الكلبي إسمه عبد شمس، وقال قوم إسمه عامر، وسَبَأ إسم يجمع القبيلة كلّهم. وتفرّقت قبائل اليمن من كَهلان وحِميَر ابني سَبَأ.

قاموس الأعلام ـ سبا: كانت أراضيَ وبلدةً في الشرق من صنعاء يمن، ومركزها بلدة مَأرِب، وكانت بَلقِيس في عهد سليمان حاكمة عليها، وبانيها سَبَأ بن يشجُب بن يعرُب بن قَحطان من أحفاد نوح، وسمّيت بإسمه ـ إنتهى ترجمته.

المروج ١ / ٢٧٨ ـ أوّل مَن يُعدّ من ملوك اليمن سبَأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان، وإسمه عبد شمس، وكان مُلكه: أربعمائة سنة وأربعاً وثمانين سنةً. ثمّ ملَك بعده ولَده حمير وكان أشجع الناس في وقته وأفرسهم وأكثرهم جِمالاً، وكان مُلكه خمسين سنة، ثمّ مَلك بعده أخوه كهلان بن سبأ، فطال عمره وكبر سنّه... ثمّ ملَك بعد تُبَّع الأوّل بَلقيسُ بنت الهَدْهاد (وهو ابن شرحبيل بن عمرو بن الرائش، ملك قبل تُبَّع عشر سنين) وكان مُلك بَلقِيس عشرين ومائة سنة، وكان من أمرها مع سليمان (ع) ما ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه، فملَك سليمان اليمن ٢٣ سنة.

أخبار الأيّام الثاني ٩ ـ وسمعَتْ مَلِكة سَبأ بخبر سليمان وأتَتْ لتمتحن سليمانَ بمسائل إلى اورشليم بمَوكب عظيم جدّاً وجِمال، حاملة أطياباً وذَهباً بكثرة وحجارة كريمة، فأتت إلى سليمان وكلّمته عن كلّ ما في قلبها، وأخبرها سليمان بكلّ كلامها، ولم يُخفَ عن سليمان أمر إلّا وأخبرها به... الخ.

وقريب منها ما في ـ الملوك الأوّل، الأصحاح العاشر.

معجم البلدان ٣ ـ سَبَأ: أرض باليمن مدينتها مَأرِب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيّام، سمّيت به لأنّها كانت منازل وُلدِ سبَأ بن يشجُب، وإنّما سمّي سبَأ لأنّه أوّل مَن سبى السبيَ. والعرب تقول: تفرّقوا أيادِيَ سَبا وكأيدي سبا، نصباً على الحال، لِما كان سَيل العَرِم تُفرِّق أهل هذه الأرض في البلاد، واليد: الطريق، يقال أخذ القوم يد البحر، فقيل للقوم إذا ذهبوا في طُرق متفرّقة: ذهبوا أيدي سبا، أي فرّقتهم طرقهم الّتي سلكوها كما تفرّق أهل سبا، والعرب لا تهمّز سبا في هذا الموضع لأنّه كثر في كلامهم فاستثقلوا ضَغطة الهمز. وطولُ سبا ٦٤ درجة، وعرضها ١٧ درجة.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ سَبَأ إسم لناحية من مملكة اليمـن في جهة شرقيّ صَنعاء، ومدينته مَأرِب، واليمن واقع في ناحية جنوبيّة غربيّة من جزيرة العرب، محدود غرباً بالبحر الأحمر، وشمالاً بالعسير والتهامة من السّـعوديّ، وشرقاً بحضرموت، وجنوباً بخليج عـدن. وهذه الحدود كانت مختلفة في الأزمنة السابقة بتغيير الدُّوَل.

وصنعاء تعرّف مكانها بأنّهـا واقعة من جهة طول البلد في درجة حدود ٤٤ درجة، ومن جهة العرض في حدود ١٥ درجة من خطّ الاستواء.

وهذا الحدّ الطولي يوافق درجة بلدة كربلا من العراق، وبلدة ماكو من إيران فيكون خطّ الزوال (نصف النهار) في هذه البلاد واحداً.

ولمّا كان عرض بلدة مكّة المكرّمة في ٢١ درجة من خطّ الاستواء، وكلّ درجة تعادل ١١١ كيلومتراً: فيكون البعـد فيما بين صنعاء ومكّة المكرّمة ٦ درجة و ٦٦٦ كيلومتراً بالتقريب.

وأمّا ما في معجم البلدان من كون طول سَبَأ ٦٤ درجة كما في تقويم البـلدان بالنسبة إلى المَأرِب أيضاً: فإنّ هذا الاختلاف من جهة اعتبار خطّ المبدأ، فالقدماء يعتبرونه من دائرة الزوال في ج.ائر الخالدات الواقعة في المحيط الأطلس، والمتأخّرون يعتبرونه من الدائرة المارّة على رصد خانة كرينيج بلندن.

وعلى أيّ حال فالمأرب في الجهة الشرقيّة من صنعاء، والبعد بينهما ٣ درجات وهذا يوافق مسيرة عدّة أيّام، ٣٣٣ كيلومتراً.

لَقَد كانَ لِسَبَأ في مَسكَنِهِم آيَةٌ جَنَّتانِ عَن يَمين وشِمال... فأعـرَضوا فأرسَـلنا عَلَيْهِم سَيلَ العَرِمِ وَبَدَّلناهم بجنَّتَيهِم جَنَّتَينِ ذَواتي أُكُل خَمْط ـ ٣٤ / ١٦.

والمراد من السبأ: هو بنو سَبَأ بن يَشجُب الساكنون في مأرب يمن. ويراد من الجنّتين: ناحية ملتفّة بالأشجار من شرق البلد وناحية من غربها، وعلى هذا عبّرت بالتنكير، بل أطلقت عليهما مطلق عنوان الآية. والعَرِم صفة بمعنى الصَّعِب الشديد.

فَكَثَ غَيرَ بَعيد فَقال أحطتُ بِما لَم تُحِطْ بِهِ وجِئتُك مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقين إنّي وَجدتُ امرأة تَملكهم وأُوتيَتْ مِن كُلّ شَيءٍ وَلَها عَرشٌ عَظيم وجدتها وقومَها يَسجُدون للشَّمْسِ مِن دُون الله ـ ٢٧ / ٢٥.

ولا يخفى أنّ التبابعة وأصحاب الأُخدود كانت من هؤلاء الملوك، كما مـرّ في مادّتي ـ تبع، خدّ.

وظهر أنّ ملكة سبأ وهي بَلقيس بنتُ هَدهاد أو هَدّاد: كاتبها سليمان وراودها على التسليم فأجابت وأقبلت إليه.

ثمّ من المقطوع وسعة ملك سليمان (ع) وبلوغها إلى الحجاز، فتقرب من أراضي اليمن ومحدودة سَبَأ ومأرب.

وأمّا جريان سيل عَرِم في مأرب وخراب سدّها: فلا يبعد أن يكون بعد التبابعة وفي أثر مظالمهم وكفرهم، أو بعد صاحب الأُخدود.

وأمّا البحث والتحقيق عن خصوصيّات هذه الوقائع الجزئية الخارجيّة فخارجة عن برنامج هذا التأليف، مع قصور المآخذ.

وأمّا إحضار بلقيس: فلا مانع منه إذا قويت النفس وكانت نافذة إرادتها، وهذا الموضوع ثابت محقّق في علم النفس، فكيف إذا صرّح به القرآن الكريم، وهو من المعجزات والخوارق الّتي آتاها الله تعالى لأنبيائه وأوليائه تكويناً. وقد يتراءى أمثال هذه الموضوعات من المرتاضين.

وقد سبق في داود: أنّه (ع) تَولّد في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وفي القرنِ

السادس من وفاة موسى (ع)، فيكون زمان حياة سليمان (ع) وبلقيس قريباً من هذا الزمان. ـ راجع ـ سلم، عفر، هدهد.

* * *

سبب :

مصبا ـ سَبّه سَبّاً، فهو سَبّاب، ومنه قيل: للإصبع الّتي تلي الإبهام سَبّابة لأنها يشار بها عند السَّبّ، والسُّبّة: العار، وسابّه مُسابّة وسِباباً، وإسم الفاعل منه سِبّ بالكسر، والسِّبّ أيضاً: الخِمار والعمامة. والسَّبَب: الحبل وهو ما يتوصّل به إلى الاستعلاء، ثمّ استعير لكلّ شيء يتوصّل به إلى أمر من الاُمور، فقيل هذا سبب هذا، وهذا مسبّب عن هذا.

مقا ـ سبّ: حدَّه بعضُ أهل اللغة وأظنّه ابنَ دُريد: أنّ أصل هذا الباب القطع، ثمّ اشتقّ منه الشتم. وهذا الّذي قاله صحيح، وأكثر الباب موضوع عليه، من ذلك السِّبّ: الخمار، لأنّه مقطوع من مِنسجه. فأمّا الأصل فالسَّبّ: العَقر، يقال سَبَبْتُ الناقةَ إذا عَقرتَها. والسَّبّ: الشتم، ولا قطيعة أقطع من الشتم. ويقال للّذي يُسابّ السِّبّ. ويقال رجل سُبَبة إذا كان يَسبّ الناس كثيراً. ورجل سُبَّة إذا كان يُسَبّ كثيراً. ويقال بين القوم أُسبوبة يتسابّون بها. ويقال مضت سَبّة من الدهر، يريد قطعة منه. وأمّا الحبل فالسبَب، فممكن أن يكون شاذّاً عن الأصل الّذي ذكرناه، ويمكن أن يقال إنّه أصل آخر يدلّ على طول وامتداد. ومن ذلك السَّبَب. ومن ذلك السِّبّ وهو الخِمار الّذي ذكرناه. ويقال للعمامة أيضاً السِّبّ.

الجمهرة ١ / ٣٠ ـ سَبّ يَسُبّ سَبّاً، وأصل السَّبّ القطع، ثمّ صار السبّ شتماً، لأنّ الشتم خرق الأعراض. ورجل سِبّ إذا كان سَبّاباً للناس. وفلان سِبُّ فلان أي

نظيره. والسِّبّ: الشُّقّة البيضاء من الثياب، وهي السَّبيبة أيضاً. وسَبّة من الدَّهر وسَنبة من الدَهر: أي مَلاوة (زمان طويل). والسَّبّة: الدُّبر. والسِّب بلغة هذيل: الحبل.

قع ـ (سابَب): دارَ، طَوّق، حاصرَ، سَبّب، التفت.

(ساباه): جَدّة، إمرأة عجوز.

(سِبّاه): سبب، علّة، تحويل ملكيّة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحصر والحدّ بالنسبة إلى سعة شيء وإنطلاقه واعتلائه.

وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد والموضوعات: ففي مورد حصر الأشخاص يعبّر بالسبّ، فيقال سبّه إذا قال فيه ما يوجب حصره ويمنع عن انطلاقه واعتلائه، فالشتم والتقبيح من مصاديق هذا المفهوم.

وَلا تَسُبّوا الّذينَ يَدعونَ مِن دُونِ الله فيَسبّوا اللهَ عَدْواً بغيرِ عِلم ـ ٦ / ١٠٨.

أي القول بما يوجب حصر مقامه وتحديدَ مرتبته وعلوّ شأنه.

ومن مصاديق هذا المعنى: القطع، العقر، فيما يوجب حصر الانطلاق، لا مطلقاً، وبهذا القيد يظهر الفرق بين المادّة وبين هذه الموادّ.

وبلحاظ هذه الحقيقة يُطلق السِّبّ على العار المحيط الموجب للحصر والحدّ، وعلى خِمار وعِمامة تشدّ على الرأس وتحصره لا مطلقاً.

وأمّا السَّبَب: وهو ما يتوصّل به إلى شيء في مقام حصره والإحاطة بـه، لا مطلقاً، وهذا هو الفرق بينه وبين العلّة والموجب.

إنّا مكّنّا لَهُ في الأَرْضِ وآتيناه مِن كُلّ شَيْء سَبَباً فأَتبعَ سَبَباً ـ ١٨ / ٨٤ .

ورَأوا العَذابَ وتقطَّعت بِهِم الأسبابُ ـ ٢ / ١٦٦.

يا هامانُ ابنِ لي صَرْحاً لَعَلّي أبلغَ الأسباب أسبابَ السَّمٰواتِ ـ ٤٠ / ٣٧.

يراد ما يوصل إلى المطلوب ويحصره ويقرّبه، بحيث يكون المطلوب محصوراً وتحت اختياره وفي محدوديّة إدراكه، فإنّ أسباب كلّ شيء بحسبه.

ويدلّ على الأصل في المادّة: مادّة السبي بمعنى الأسر.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في موارد استعمالها في الآيات الكريمة.

❊ ❊ ❊

سبت :

مصبا ـ يوم السَّبت، جمعه سُبوت وأسبُت، وسَبتُ اليهود: انقطاعهم عن المعيشة والاكتساب، وهو مصدر، يقال سَبتوا سَبتاً من باب ضرب: إذا أقاموا بِذلك، واسبَتوا: لغة. وسَبَت رأسَه سَبْتاً من باب ضرب أيضاً: حلَقه. والمَسْبوت: المتحيّر. والسُّبات: النوم الثقيل، وأصله الراحة، يقال منه سَبَت يَسبُت من باب قتل، وسُبِتَ: غُشي عليه.

مفر ـ السبت: أصل السبت القطع، ومنه سَبَت السيرَ: قطعه، وسبَت شَعره: حلَقَه، وأنفَه: اصطَلَمه (استأصله). وقيل سمّي يوم السبت: لأنّ الله تعالى ابتدأ بخلق السّماوات والأرض يوم الأحد فخلَقها في ستّة أيّام فقطع عمله يوم السَّبت، فسمّي بذلك. وسبَت فلان: صار في السبت، وقوله يوم سَبتِهم شُرَّعاً: قيل يوم قطعهم للعمل، ويوم لا يَسبِتون: قيل معناه: لا يقطعون العمل، وقيل لا يكونون في السبت. وقوله إنّما جُعل السبتُ: أي ترك العمل فيه. وجعلنا نومَكم سُباتاً: أي قَطعاً للعمل.

مقا ـ سبت: أصل واحد يدلّ على راحة وسكون، يقال للسير السهل الليّن: سَبت، ثمّ حمل على ذلك السَّبْت: حلق الرأس. ويُصحّح هذا القياس ـ يُصبِحُ سَكرانَ ويُمسي سَبْتاً ـ لأنّه يكون في آخر النهار مُخْثِراً (ضدّ الرقّة) قليل الحركة، فلذلك يقال للمتحيّر مَسبوت. وأمّا السَّبت بعد الجمعة: فيقال: لأنّ الخَلق فُرِغ منه يوم الجمعة فلم يكن بعد الجمعة خَلق. فأمّا السِّبت: فالجُلود المَدبوغة بالقَرَظ (ورق السَّلَم)، وكأنّ ذلك سَبتاً سُمِّي: لأنّه قد تناهى إصلاحه.

أسا ـ يَلبَسون النِّعال السِبتيّة ونِعالَ السِّبت، وهو الأَدَم، لأنّ شَعره يَسقط في الدِّباغ كأنّه سُبت أي حُلِق. وسَبَت رأسَه، ورأس مَسبوت. وجَعَلَ الله النومَ سُباتاً: مَوتاً، وأصبَح فلان مَسْبوتاً: ميّتاً. ومن المجاز ـ سَبَت عِلاوته: إذا قطع رأسه. وأروني سِبْتَيّ.

صحا ـ السَّبت: الرَّاحة. والسَّبت: الدَّهر. والسَّبت: حلق الرأس. والسَّبت: إرسال الشَّعر عن العَقص. والسَّبْت: سَير الإبل، ضربٌ منه. وسَبَت عِلاوته: إذا ضرب عُنقه، ومنه سُمّي يَومُ السَّبت: لانقطاع الأيام عنده. والسَّبت: قيام اليهود بأمر سَبتها. والسُّبات: النوم، وأصله الراحة. والمَسبوت: الميّت والمغشيّ عليه وكذلك العليل إذا كان مُلقىً كالنائم يُغمِّض عينَه في أكثر أحواله.

قع ـ (شابَت) استراحَ، توقّفَ، انقَطع عن العمل، وقَفَ، انتَهى، قَضى يوم السبت، تمسَّك بالسبت.

(شِبت): جلوس، قعود، سكنى، توقّف، انقطاع.

(شَبات): يوم السبت، يوم استراحة، يوم عطلة.

سِفر الخروج ٢٠ / ٨ ـ أُذكر يَومَ السَّبْت لِتُقدِّسَه، ستّةَ أيّام تَعْملُ وتَصنعُ جَميعَ

عملك، وأمّا اليَوْمُ السابع ففيه سَبتٌ للربِّ إلٰهِك، لا تَصنَعْ عملاً ما أنت وابنُك وابنتُك وعبدُك وأمتُك وبهيمتك ونزيلُك الّذي داخَلَ أبوابك، لأنّ في ستّة أيّام صَنَع الربّ السماءَ والأرض والبحر وكلَّ ما فيها واستراحَ في اليوم السابع، لِذلك باركَ الربّ يوم السبت وقدّسه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الاستراحة بعد العمل والفعّاليّة. وبلحاظ هذا الأصل تستعمل في مفاهيم ـ الانقطاع عن الاكتساب والمعيشة، والسكون، والنوم الثقيل، والغشية، والقعود، وانتهاء العمل، والموت، والسير الليِّن السهل، وحلق الرأس، وأمثالها.

فإطلاق المادّة على كلّ واحد من هذه المعاني صحيح إذا كان مصداقاً لما ذكرناه من الأصل، وهو الاستراحة مع قيد كونه بعد العمل.

وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد: كتحقّق الاستراحة بعد طول الاكتساب، وحصول الراحة بالسكون بعد التحرّك والسير، وبالنوم بعد الفعاليّة والتيقّظ، والغشية والموت بعد طول العمل والحياة، وبالقعود في مقام التواني في العمل، وبالسير الليّن إذا حصل الملال، وبحلق الرأس بعد وفور الشعر.

ولا يخفى ما بين هذه المادّة وموادّ ـ ثبت، سبّ، ضبط: من الاشتقاق الأكبر، وظهر أنّ المادّة في العبريّة بالشين المعجمة، وكذلك السبا.

وهوَ الَّذي جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ لِباساً والنَّومَ سُباتاً ـ ٢٥ / ٤٧.

وجَعَلنا نَومَكُم سُباتاً ـ ٧٨ / ٩.

أي استراحة بعد دوام الاشتغال، فإنّ الحواسّ الظاهرة الّتي تُستَعمل بالجهاز العصبيّ تسكن عند النوم وتتوقّف به الحركات البدنيّة والأعمال الظاهريّة، ثمّ بالنوم يستردّ النشاط والقدرة.

إذ تأتيهم حِيتانهم يَومَ سَبتِهم شُرَّعاً ويَومَ لا يَسْبِتون لا تأتيهم ـ ٧ / ١٦٣.

أي يوم يستريحون بعد أيّام الاشتغال، يقال سَبَتَ يَسبِتُ سَبْتاً وسُباتاً: استراح بعد العمل والملال. ويسمّى هذا اليوم بالسَبْت لوقوع الاستراحة فيه بعد الاشتغال في ستّة أيّام.

وقُلنا لَهُم لا تَعْدوا في السَّبت ـ ٤ / ١٥٤.

واسأَلْهم عَن القَرية الَّتي كانَت حاضرةَ البحر إذ يَعْدونَ في السَّبْت ـ ٧/١٦٣.

أو نلعَنَهم كَما لَعنّا أصحابَ السَّبْت ـ ٤ / ٤٧.

وَلَقَد عَلمتُم الَّذينَ اعتَدَوا مِنكُم في السَّبْت ـ ٢ / ٦٥.

إنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلى الَّذينَ اختَلَفوا فيه ـ ١٦ / ١٢٤.

جعل الله السبت لليهود يوم فراغة واستراحة وانقطاع عن المشاغل الدنيويّة والاكتساب والصيد والعمل، لكي يشتغلوا بالطاعة والعبادة، وينقطعوا إلى الله المتعال متوجِّهين إليه، فاعتدوا وعصوا.

يقول في ـ نَحَمْيا ١٣ / ١٥ ـ في تلك الأيّام رأيت في يَهوذا قوماً يَدوسونَ مَعاصِرَ في السَّبْت ويأتون بحُزَمٍ ويَحملون حَميراً وأيضاً يَدخلون أورشليم في يوم السبت بخَمْرٍ وعِنَب وتين وكلِّ ما يُحمَل فأشهدت عليهم يوم بَيْعهم الطعام، والصوريّون الساكنون بها كانوا يأتون بسَمَك وكلّ بِضاعة ويبيعون في السبت لبني يهوذا وفي أورشليم، فخاصمتُ عُظَماء يهوذا وقلت لهم ما هذا الأمر القبيح الّذي تعملونه

وتُدنّسون يَوْم السَّبْت، ألم يفعل آباؤكم هكذا فجلب إلٰهنا علينا كلَّ هذا الشرّ.

وفي ـ حَزقِيال ٢٠ / ١٣ ـ فتمرَّد عليَّ بيت إسرائيل في البريَّة لم يسلكوا في فرائضي ورفَضوا أحكامي الّتي إن عملها إنسان يَحْيا بها ونجّسوا سُبوتي كثيراً، فقلت إنّي أسكُب رِجزي عليهم في البريَّة لإفنائهم. ١٨ ـ وقلت لأبنائهم في البريّة لا تَسلكوا في فرائض آبائكم ولا تحفظوا أحكامهم.

وفي ـ قاموس الكتاب ـ ما ترجمته ـ سبت: ولمّا قام المسيح (ع) من الأموات جعل المسيحيّون هذا اليوم يوم سَبت لهم، فإنّه يذكّر لهم قيام المسيح، ويوجب مزيد تقرّب لنا منه... فالسبت الّذي هو من جملة أجزاء الشريعة الأخلاقيّة: باقٍ كما كان في السابق، ولا يضرّ تبديل يوم السبت بيوم الأحد، فالغرض محفوظ، وعلينا أن نلتزم بأحكام السبت في يوم الأحَد.

* * *

سبح :

مصبا ـ التسبيح: التقديس والتنزيه، يقال سبّحتُ الله أي نزّهته عمّا يقول الجاحِدون، ويكون بمعنى الذكر والصلاة، يقال: فلان يُسبّح الله أي يذكره بأسمائه، نحو سُبحان الله، وهو يُسبّح أي يُصلّي السُّبحة فريضة كانت أو نافلة، ويُسبّح على راحلته أي يصلّي النافلة، وسبُحة الضحى، ومنه ـ فلولا أنّه كان مِن المُسبِّحين أي من المصلِّين، وسمّيت الصلاة ذكراً لاشتمالها عليه، ومنه ـ فسُبحانَ الله حينَ تُمسون، أي اذكروا الله، ويكون بمعنى التحميد نحو سُبحانَ الّذي سَخّر لنا هذا، وسبحان رَبِّي العظيم أي الحمد لله، ويكون بمعنى التعجّب والتعظيم لما اشتمل الكلام عليه نحو سُبحانَ الّذي أسرى بعبدِه لَيلاً ـ إذ فيه معنى التعجّب من الفعل الّذي خصّ عبده به

ومعنى التعظيم بكمال قدرته، وقيل في قوله تعالى: ألم أقل لكم لَولا تُسبِّحون أي لولا تستثنون، قيل كان استثناؤهم سبحان الله، وقيل إن شاء الله، لأنّه ذِكر الله تـعالى. والمُسبِّحة: الإصبع الّتي تلي الإبهام إسم فاعل من التسبيح لأنّها كالذاكـرة حـين الإشارة بها إلى إثبات الإلٰهيّة. والسُّبُحات الّتي في الحديث: جلال الله وعظمته ونوره وبهاؤه. والسُّبحة: خرزات منظومة. والسُّبحة: الّتي يُسبَّح بها، وجمعها سُبَح كغرفة وغُرَف، والمُسبِّحة: إسم فاعل من ذلك مجازاً وهي الإصبع الّتي بين الإبهام والوسطى. وهوَ سُبّوح وقُدّوس أي منزّه عن كلّ سوء وعيب، قالوا وليس في الكلام فُعّول إلّا سُبّوح وقُدّوس وذُرّوح وهي دُويبة، وفتح الفاء في الثلاثة لغة على قياس البـاب، وكذلك سُتّوق وفُلّوق بالضمّ لا غير. وتقول العـرب سُبحانَ من كذا أي ما أبعدَه. وسَبّحتُ تسبيحاً إذا قلتَ سُبحانَ الله. وسُبحانَ الله: عَلَم على التسبيح، وهو منصوب على المصدر غيرُ متصرّف لجموده، وسَبَح الرجل في الماء سَبْحاً من باب نفع، والإسم السِّباحة، فهو سابح، وسَبّاح مبالغة. وسبح في حوائجه: تصرّف فيها.

مقا ـ سبح: أصلان، أحدهما ـ جنس من العبادة. والآخر ـ جنس من السعي. فالأوّل ـ السُّبحة وهي الصّلاة، ويختصّ بذلك ما كان نفلاً غير فرض، يقول الفقهاء ـ يَجْمع المُسافِر بينَ الصَلاتين ولا يُسبّح بينهما، أي لا يتنفّل بينهما بصلاة. ومن الباب: التسـبيح وهو تنزيه الله جلّ ثناؤه من كلّ سـوء. والتنزيه التبعيد. والأصل الآخر ـ السَّبْح والسِّباحة: العَوْم في الماء، والسابح من الخيل: الحسَنُ مَدِّ اليدين في الجَرْي.

التهذيب ٤ / ٣٣٧ ـ إنّ لكَ في النّهارِ سبحاً طويلاً. قال الليث معناه: فراغاً للنوم. ويكون السبح أيضاً فراغاً بالليل. ابن الأعرابي: اضطراباً ومعاشاً، ومن قـرأ سَبْخاً: أراد راحة وتخفيفاً للأبدان. أبو الجهم الجعفري: سَبَحْتُ في الأرض وسَبَخت فيها إذا تباعدتَ فيها، وسبح في الكلام إذا أكثر فيه. الزجّاج: وسُبحانَ في اللغة تنزيه

الله عزّ وجلّ عن السوء. قلت: وهذا قول سيبويه، يقال سبّحت الله تسبيحاً وسُبحاناً بمعنى واحد، فالمصدر: تسبيح، والإسم سبحان يقوم مقام المصدر. ومعنى تنزيه الله من السوء: تبعيده منه، وكذلك تسبيحه تبعيده، من قولك سبحت في الأرض إذا أبعدتَ فيها، ومنه ـ في فلكٍ يَسبَحون، والسابِحاتِ سَبْحاً ـ أي تَذهب فيها بَسْطاً كما يَسْبح السابح في الماء، وكذلك السابح من الخيل يمدّ يديه في الجَرْي كما يسبح السابح في الماء.

مفر ـ السَّبْح: المَرّ السريع في الماء وفي الهواء، واستعير لمرّ النجوم في الفلَك، ولجري الفرس، ولسرعة الذهاب في العمل، والتسبيح تنزيه الله تعالى، وأصله المرّ السريع في عبادة الله، وجعل التسبيح عامّاً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نيّة.

❋ ❋ ❋

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحركة في مسير الحقّ من دون انحراف ونقطة ضعف، أو كون على الحقّ منزّهاً عن نقطة ضعف.

فيلاحظ فيها جهتان: جهة الحركة في مسير الحقّ وجهة التباعد عن الضعف، وبهذا يظهر الفرق بينها وبين موادّ ـ التنزيه والتقديس والتبرئة والتبعيد والتزكية والتخلية والتهذيب والتطهير والفراغ والتفصيل والتجنيب والتنحية والتخليص ونظائرها.

فإنّ النظر في التنزيه والتبرئة والتبعيد والتخلية والتزكية والتنحية: إلى جهة التباعد فقط، ويلاحظ في كلّ منها قيد مخصوص:

فالنظر في التنزيه إلى إزالة كلّ مكروه وقبيح.

وفي التبرئة إلى تباعد عن عيب أو التزام وتقيّد.

وفي التبعيد إلى مطلق التباعد في قبال التقرّب.

وفي التخلية إلى الفراغ عمّا يكون شاغلاً به وهو في مقابل الاشتغال.

وفي التزكية إلى تنحية ما يلزم وما ليس بحقّ.

وفي التنحية إمالة وصَرف إلى جانب مطلقاً.

وفي التجنيب إمالة إلى جنب معيّن وجانب له.

والنظر في التقديس والتطهير والتفصيل والتخليص والتهذيب والفراغ، إلى جهة وجوديّة بعد تحقّق تباعد وإزالة ما.

فيلاحظ في التقديس حصول قداسة وبركة بعد إزالة الخلاف.

وفي التطهير حصول طهارة بعد الرجاسة والنجاسة وهو أعمّ من تحقّقه في الظاهر أو في المعنى، والقداسة مخصوصة بالمعنى.

والنظر في التفصيل إلى تحقّق فصل بعد وصل.

وفي التخليص إلى نقاء الذات وتصفيته عن الشوب والخلط.

وفي التهذيب إلى حصول صلاح وتحقّق خلوص.

وفي الفراغ إلى تحقّق انتهاء جريان التخلية وتماميّة الاشتغال.

ثمّ إنّ مفاهيم ـ التباعد والتنزيه من السوء والتقديس والفراغ والتنقّل والاضطراب والمعاش وكثرة الكلام والذكر والحمد والعبادة والسعي والعوم في الماء وحسن الجري في السير والتصرّف في الحوائج: كلّها يرجع إلى الأصل.

فإنّ الحقيقة في المادّة إنّما تختلف مصاديقها باختلاف مواردها: فالحركة في مسير الحقّ مع التباعد عن الانحراف والضعف والنقص: إنّما تتحقّق في السباحة في

الماء بحسن الجريان والنظم في الحركة من دون انحراف وغور. وفي الخيل: بالنظم في المسير وبحسن الجري ولطفه.

وفي الإنسان من جهة الحياة المادّية: بحسن العمل والاجتهاد في تأمين المعاش ورفع حوائج نفسه وغيره. ومن جهة الروحانيّة: بحسن العبادة والسعي في تهذيب نفسه والتنزيه عن السوء والتباعد عن الضعف وتحصيل الفراغ وتحقّق التخلية عن المشاغل النفسانيّة والتنفّل وحمد الله وتعظيمه.

وفي النطق والكلام: بحسن جريانه من جهة الفصاحة والبلاغة وإدامة البيان وإتمامه.

وفي الله عزّ وجلّ: بجريان أمره على الحقّ الثابت مع التنزّه عن أيّ ضعف ونقص وانحراف، وبتحقّق هذا الأصل فيه حقّاً من دون تجوّز وضعف.

وفي الملائكة والأولياء والسالكين إلى الله تعالى: هو السلوك في مسير الحقّ وإلى الله عزّ وجلّ مع التنزّه والتباعد عن أيّ انحراف ومكروه وسوء.

والفرق بين السَّبْح والتسبيح: أنّ السَّبْح لازم ويستعمل في موارد يتحقّق الجريان والتنزّه بطريق طبيعيّ. والتسبيح هو جعل شيء آخر في هذا الجريان والتنزّه، وهو متعدّ، وفي كلّ مورد يختلف مفهوم الكلمة باختلاف الموضوعات.

فالسَّبْح: كما في:

كُلٌّ في فلكٍ يَسْبحون ـ ٢١ / ٣٣.

والسّابِحاتِ سَبْحاً فالسّابِقاتِ سَبْقاً ـ ٧٩ / ٣.

إنَّ لَكَ في النَّهار سَبْحاً طَويلاً ـ ٧٣ / ٧.

سُبحانَ الَّذي أَسرَىٰ بِعَبدِهِ ـ ١٧ / ١.

إتَّخَذَ الله وَلَداً سُبحانَه ـ ٢ / ١١٦.

فالآية الأُولى ـ تدلّ على سَبْح الشمس والقمر وجريانهما في مَداريهما بنظم دقيق وعلى جريان طبيعيّ كامل حَسَن من دون أن يكون فيه أقلّ أمر من الخلل والانحراف والفتور والتثاقل والخلاف.

والآية الثانية ـ تدلّ على نفوس يسيرون في صراط الحقّ وهم المُخلَصون من عباد الله والمجذوبون من السالكين إليه والملائكة الروحانيّون، الّذين لا يفترون في العمل بوظائفهم ولا يُرى منهم انحراف وتعطّل فيما يُقصد منهم.

والآية الثالثة ـ ناظرة إلى الثانية ومتفرّعة عليها، فإنّ رسول الله (ص) مصداق أتمّ وأكمل وفرد أعلى من مصاديق العباد المخلَصين، فهو لا يزال في جميع حياته أيّامه ولياليه في سفره وحضره وفي حالة انفراده واجتماعه وفي خلوته واشتغاله وفي سكوته وتكلّمه: متوجّهاً إلى الله تعالى وسالكاً إليه مُخلِصاً له.

والنهار فيه خصوصيّات زائدة واقتضاء مخصوص إضافيّ في مقام الخدمة والعمل بالوظائف المقرّرة وتحقّق السير في مسير الحقّ والتنزّه عن نقاط الضعف والتخلّص عن شوائب المادّة، بالنسبة إلى مقامه الأسنى.

وأمّا الآية الرابعة وما شابهها: فالسَبْح في الله عزّ وجلّ إنّما يتحقّق ويصدق بمعناه الحقيقيّ ومفهومه التامّ الكامل، فهو في مجرى الحقّ في ذاته وصفاته وأفعاله وجميع أموره منزّهاً عن أيّ ضعف ونقص وحدّ وفقر.

وتوضيح ذلك: أنّ نور الوجود في مقاماته ومراتبه كلّما قوي واشتدّ يكون الضعف والحدّ والفقر والنقص فيه أقلّ، فنور الوجود وآثاره البارزة في مرتبة النبات أقوى من مرتبة الجماد، وهو في الحيوان أقوى من النبات، وفي الملكوت أقوى من الحيوان، وفي الروح والجبروت أقوى من الملكوت، فتكون القدرة والكمال والعلم

والحياة والإرادة في الأرواح أوسع وأقوى من المراتب النـازلة، والضـعف والنـقص والفقر فيه أقلّ.

والإنسان موجود جامع لجميع المراتب، من عالم الجـماد إلى الروح الكـامل، ولازم له السلوك والحركة من مرتبة إلى ما فوقها، حتّى يستكمل المراحل ويصل إلى مقام الروحانيّة الكاملة والنورانيّة التامّة، ويتنزّه عن العيوب والنواقص، ويتقرّب من مبدأ الجمال والكمال والجلال والنور التامّ.

والضعف العامّ بجميع مراتب العـوالم: هو الإمكان والحدّ المـطلق، فيبقى هـذا الضعف وهو الحدّ الذاتيّ في مرتبة عالم الأرواح، ولا يمكن رفعه والتنزّه منه، لأنّ الحدّ من لوازم الإمكان ذاتاً.

وفوق هذا العالم: عالم الألوهيّة، وهو نور الوجود الحقّ الواجب الأزليّ الأبديّ المنزّه عن أيّ نقص وضعف وحدّ في ذاته وصفاته.

وله تعالى بذاته وفي ذاته ومن ذاته ولذاته حياة وقدرة وعلم وإرادة وغـنىً، وليس له فقر ولا ضعف ولا حدّ، فهو سُبّوح قدّوس.

وأمّا المعرفـة بذلك شهوداً وحضوراً، فتتوقّف على التنزّه والتخلّي والتخلّص والفراغ عن المراتب النازلة، وبل عن وجوه الإمكانيّ المحدود، بحـيث يفرغ عن كلّ ما سوى الله عزّ وجلّ ويفنى فيه تعالى، وترتفع الحجب الظلمانيّة والنورانيّة، ولا يرى إلّا الله، ولا يشاهد إلّا نور جماله ـ فارفع الأنانيّة من البين.

فحينئذٍ يشاهده جلّ وعزّ فارغاً ونزيهاً عن أيّ حدّ ووصف وإشارة قـيّوماً على كلّ شيء محيطاً على جميع مراتب الوجود، بل يشاهد الكلّ فانياً فيه، وليس إلّا هو.

وإذْ لا ضعف في ذاته ولا فقر ولا حدّ: فهو عـلى الحـقّ الصريح في وجـوده

وصفاته العليا وأفعاله وفي جميع تجلّياته ومراحل ظهوره ـ ويَبقى وجهُه.

فهذا بين محدود من حقيقة السبّوحية له عزّ وجلّ ـ راجع ـ ريد.

وأمّا كلمة ـ سُبحان: فالظاهر أنّها مصدر كالغُفران والفُرقان والشُكران والقُرآن، وانتخابها على السَبْح: فإنّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى. وهذا كانتخاب كلمة ـ سُبّوح، على سائر الصيغ.

وهذه الكلمة إنّما تستعمل في القرآن، إمّا في مقام النظر إلى التنزيه في المرتبة الأُولى كما في:

سُبحانَ الله عمّا يُشرِكون، سُبحانَ الله عَمّا يَصِفون، اِتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبحانَه، ويَجعلونَ لِلّهِ البَناتِ سُبحانَه، سُبحانَهُ وتَعالى عَمّا يَقولون.

وإمّا أن يكون النظر البادي إلى جهة التعظيم، وكون الجريان في المورد على الحقّ والحكمة والتدبير اللّازم: كما في: سُبحانَ الَّذي أسرىٰ بِعَبدِهِ ـ ١٧ / ١.

فَسُبحانَ الَّذي بيَدِهِ مَلَكوتُ كُلّ شَيء، سُبحانَ الَّذي سَخَّرَ لَنا هذا.

وأمّا إعراب الكلمة على النصب: فلكونها مفعولاً مطلقاً، ويقدّر الفعل على حسب اقتضاء المقام ـ من فعل متكلّم أو غائب، مفردٍ أو جمع، مجرّدٍ أو مزيد فيه. ويمكن أن يكون مفعولاً به، ويقدّر الفعل المناسب كقولنا ـ أُظهِرُ، أُعلِنُ، وهو مضاف دائماً إلى فاعله.

ولا يخفى أنّ هذا التقدير يلاحظ بالنسبة إلى تشريح المعنى وتجزية التركيب وتطبيق الجملة على قواعد الإعراب، وإلّا فالكلمة بهذه الخصوصيّات تستعمل في كلامهم في مقام التسبيح، من غير توجّه إلى تقدير، كما في لَبّيك وأمثاله.

وأمّا السُّبّوح: فهو للمبالغة فيمن يكون على الحقّ متنزِّهاً.

وأمّا التسبيح: فهو إمّا من الله عزّ وجلّ، أو من الملائكة، أو من الإنسان، أو من جانب عامّة الموجودات.

ومتعلَّق التسبيح فيها: إمّا نفس المُسبِّح وذاتُه، أو الله عزّ وجلّ.

وأيضاً إنّ التسبيح: إمّا يتحقّق بالقول والإظهار، أو في مقام العلم والمعرفة، أو بالعمل والرياضة اختياراً أو اضطراراً.

ففي التسبيح من الله تعالى قولاً وإظهاراً: كما في ـ سُبحانَ الَّذي أسرىٰ، سُبحانَهُ وتَعالى عَمّا يَقولون.

والتسبيح العلميّ منه تعالى: فإنّ علمه حضوريّ وعين ذاته تعالى، فهو دائماً وبذاته في التسبيح.

وأمّا التسبيح القوليّ والعلميّ الملازم للإظهار من الإنسان، كما في:

وتُعزِّروه وتُوقِّروه وتُسبِّحوه بُكرَةً وأصيلاً ـ ٤٨ / ٩.

وأشرِكه في أمري كَي نُسَبِّحكَ كَثيراً.

والتسبيح العلميّ والعمليّ منه لنفسه ولذاته: كما في:

يُسَبِّح لَهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رجالٌ لا تُلهيهِم تِجارَة وَلا بَيع ـ ٢٤ / ٣٦.

وأمّا التسبيح المطلق قولاً وعملاً وعلماً من الملائكة، كما في:

يُسَبِّحونَ اللّيلَ والنَّهارَ لا يفترون ـ ٢١ / ٢٠.

وَنَحنُ نُسَبِّح بِحَمدكَ ونُقَدّس لَك ـ ٢ / ٣٠.

وأمّا التسبيح المطلق من الخلق، كما في:

يُسَبِّح لَهُ ما في السَّماواتِ والأَرض.

وإن مِن شَيْءٍ إلّا يُسَبِّح بِحَمْدِهِ وَلكِن لا تفقهون تسبيحَهُم ـ ١٧ / ٤٤.

وسَخَّرنا مَعَ داودَ الجبالَ يُسبِّحنَ والطَّيْرَ ـ ٢١ / ٧٩.

وينبغي التنبيه على أمور: على ما هو المشاهَد لبعض أهل المعرفة:

١ ـ إنّ التسبيح كما قلنا هو جعل شيء متنزِّهاً عن الضعف والنقص والانحراف، مع كونه مستقِرّاً على الحقّ. وهذا المعنى لا يصحّ إطلاقه بالنسبة إلى الله تعالى وفي حقّه، إلّا على سبيل الإظهار والقول، أو على طريق العلم والمعرفة به.

وأمّا التسبيح العمليّ وعلى طريق الجَعل: فلا يجوز بالنسبة إليه تعالى، فإنّه بذاته وفي ذاته سُبّوح قدّوس وحقّ على حقّ.

سواء كان هذا النحو من التسبيح الجَعْلي: من جانب الله نفسِه أو من جانب الملائكة أو من الإنسان أو من سائر الموجودات.

وفي هذا المورد تستعمل الكلمة بلا واسطة حرف، كما في ـ وتُسبِّحوه، كي نُسبّحك كثيراً، ويُسبّحونه، فسبِّحه، وسبِّحوه.

٢ ـ التسبيح العمليّ الجعليّ إذا لوحظ بالنسبة إلى غيره تعالى: فلا يصحّ إطلاقه إلّا بالنسبة إلى كلّ فرد في نفسه، كتسبيح الإنسان نفسَه وذاتَه، وتسبيح الملائكة ذواتها، وتسبيح الموجودات غيرِ الشاعرة بالقهر ذواتها.

كما في ـ سَبَّح لِلهِ ما في السَّماواتِ والأَرض، فالَّذينَ عِنْدَ رَبِّك يُسَبِّحونَ لَهُ باللّيل والنَّهار، يُسَبِّحُ لَهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رِجالٌ.

يراد تسبيحهم أنفسَهم لله وفي سبيل الله ولطلب الكمال والتنزّه عن كلّ نقص وضعف وللتقرّب من الحقّ وفي السير إلى الله تعالى.

ويستعمل التسبيح في هذا المورد بحرف اللّام، كما رأيت.

٣ ـ مرجع التسبيح إلى التكوين وتغيير مراحل الوجود وتحويلها من مرتبة إلى مرتبة ومن ضعف إلى قوّة، وذلك بتقدير العزيز العليم في أصل التكوين، وهذا السير لا يتحقّق إلّا بجريان طبيعيّ مقدَّر من الله تعالى، ولا يمكن لأحد أن يملك اختيار هذا التحويل والتسبيح المقدَّر إلّا من أوّل التكوين والخلق ثمّ بالقوى المودعة في ذوات الأشياء وفي أنفسها. وهذا بخلاف مفاهيم التزكية والتطهير والتقديس والتبرئة وأمثالها ممّا يرجع إلى تغيير في العوارض والحالات.

وعلى هذا فلم يَرد إطلاق التسبيح العمليّ من أحد بالنسبة إلى آخر، وإن كان من جانب الله العزيز القدير، فإنّه قدّر الخلق أوّلاً على ما قدّر وعلى أحسن نظم وأكمل صورة، ولم يُجِز لأحد أن يُبدّله ويتصرّف فيه.

نعم إذا ورد جريان أمر على خلاف التقدير الإلهي: فهو استثنائيّ وخارج عن قانون الخلق والتقدير، ومن هذا القبيل المعجزات والخوارق.

يُسَبِّح لِلّهِ ما في السَّمٰواتِ وَما في الأَرض لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمد ـ ٦٤ / ١.

يُسَبِّح لِلّهِ ما في السَّمٰواتِ وَالأَرض المَلِكِ القُدُّوس ـ ٦٢ / ١.

فذكر المالكيّة بعد التسبيح يشعر إلى هذا المعنى.

٤ ـ قلنا إنّ التسبيح على قسمين تسبيح الله عزّ وجلّ وتسبيح النفس لله: وهذان القسمان في مقام الإنسان مفهومان لنا. وأمّا في المقامات العالية والسافلة: فتسبيح النفس لله في كلّ مرتبة: هو تنزيه الذات عن النواقص والعيوب التي في تلك المرتبة حتى تصل إلى مرتبة فوقها وتفنى فيها، لتتحقّق حقيقة الشهود.

وأمّا تسبيح الله تعالى في المراتب بالقول: فإنّ القول بمعنى الإظهار لما في

الباطن، وهذا المعنى يختلف في أنواع الموجودات والمراتب، ففي كلّ مَرتبـة وجنس ونوع باقتضاء فطرته وخلقته.

فالبيان المظهِر لما في الباطن: يكون في بعض بالنطق بكلمات ولغات بتنوّعها، وفي بعض بأصوات مخصوصة مختلفة، وفي بـعض بـتحوّلات وحـركات وإشـارات مخصوصة، وفي بعض بتغيّرات وتبدّلات، وهكذا.

فالبيان بمعنى الإبراز والإظهار، ولا يختصّ بالنطق والكلام، بل لكلّ نوع من الموجودات بيان خاصّ من الأحوال والأطوار والحركات والأصوات واللغات المختلفة.

فكلّ نوع من أنواع الموجودات يسبِّح الله عزّ وجلّ ببيانه الخاصّ به.

ثمّ إنّ حقيقة التسـبيح إنّما تتقوّم بما في الباطن من العـلم والمـعرفة والتـوجّه والشهود القلبي، وبتحقّق مفهوم التسبيح في الباطن، حتّى يستدعي الإظهار والبيان بأيّ نوع منه.

وحقيقة تحقّق التسبيح الباطنيّ الواقع: إنّما هي بتحقّق التنزّه والمحو والفناء في المرتبـة الخاصّة بأيّ نوع كان، فإنّ المـعرفة في حدّ العارف، وعرفان كلّ شـخص بحسب وسعه واستعداده.

فكلّ فرد إنّما يعرف ويشاهد من التسبيح: ما يشاهده في نفس منـه، أي ما يتحقّق من التنزّه والفناء لنفسه في نفسه، فيشاهد عين هذه المعرفة والشهود في هذه المرتبة، بالنسبة إلى تسبيح الله عزّ وجلّ.

فإذا تحقّق فـناء في مرتبة من مراتب الموجودات: فتتحصّل معرفة شهـوديّة باطنيّة، ولو لم يوجد توجّه منه به كما في الجماد والنبات، ويتحصّل أيضاً شهود حقيقيّ قهريّ بهذه المرتبة بالنسبة إلى مرجعه ومآبه ومنتهاه وربّه وخالقه، سـواء أراد هذا

الشهود أم لم يُرد ولم يتوجّه. فهذا حقيقة التسبيح.

وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى: لا تَفْقهونَ تَسبيحهم إنّهُ كانَ حليماً ـ ١٧ / ٤٤.

ولم يقل لا تسمعون تسبيحهم.

٥ ـ ظهر أنّ حقيقة التسبيح إنّما تتحقّق في تسبيح النفس، وكلّما ازداد تسبيح النفس وتنزّهه وفناؤه: ازدادت حقيقة تسبيح الله المتعال ويشاهده شهوداً عينيّاً ويقينيّاً.

وهذا المعنى أوجب التعبير بقوله تعالى: سَبَّحَ لِلّهِ ما في السَّمٰواتِ والأَرض، يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّمٰواتِ والأَرض، أي يُسبِّحون ويُنزِّهون أنفسهم لله وفي سبيل تسبيح الله عزّ وجلّ.

وإلى هذه الحقيقة يرجع مفهوم ـ مَن عَرَفَ نَفسَه فَقَد عَرَفَ رَبَّه، فإنّ حقيقة معرفة الربّ في معرفة النفس، وحقيقةُ عرفان النفس وكمالُه والوصول إلى منتهى مرتبة المعرفة: شهودُ فناء النفس في عظمة الله وجلاله وجماله.

وإذا شوهد هذا العرفان: تجلّى نور الحقّ وظهر شهود الربّ، وما دامت الأنانيّة وتجلّيات النّفس باقية: لا يمكن أن يشاهد نور الحقّ.

فظهر أنّ نتيجة تحقّق مفهوم التسبيح: هو تحقّق معرفة الربّ عزّ وجلّ.

٦ ـ قد انكشف ممّا سبق أنّ التسبيح يتوقّف على الخضوع الكامل وكسر الأنانيّة والضِّعة التامّة والفناء، وكلّما ازداد الانكسار والانمحاء والفناء: ازداد التسبيح صفاءً ونوراً ومقاماً.

وبهذه المناسبة: يذكر التسبيح في مقابل الاستكبار كما في:

فإن استَكبروا فالَّذينَ عِندَ رَبّك يُسَبِّحون لَهُ ـ ٤١ / ٣٨.

إنَّ الَّذينَ عِندَ رَبّك لا يَسْتَكبِرون عَن عِبادَته ويُسَبِّحونَه ـ ٧ / ٢٠٦.

وكذلك يذكر قريناً بالخضوع والسجود: كما في:

إذا ذُكِّروا بِها خَرُّوا سُجَّداً وسَبَّحوا بِحَمْد رَبّهم ـ ٣٢ / ١٥.

فَسَبِّح بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِنَ السّاجِدين ـ ١٥ / ٩٨.

ومِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْه وأدبارَ السُّجود ـ ٥٠ / ٤٠.

وعلى هذا ورد التسبيح ذكراً للركوع والسجود في الصلوات، في الركوع بوصف العظيم، وفي السجود بصيغة الأعلى للتفضيل.

٧ ـ يذكر التسبيح في الآيات الكريمة والأذكار الواردة، قريناً بالحَمْد: فإنّ من آثار التسبيح ولوازمه: الحمد لله ربِّ العالَمين.

فإنّ العبد إذا رأى نفسه ذليلاً خاضعاً فانياً في قبال عظمة الرّب تعالى: يرى الله تعالى مالكاً مؤثّراً في جميع الشـؤون، بيده الملك والخير يُعطي من يشاء ويمنع عمّن يشاء، وهو مالك المُلك ومدبّر الاُمور، فلا يستحقّ أحد أن يُحمَد إلّا هو الله الرّحمٰن المعطِي المنعِم الأحد الصمد.

وَنَحنُ نُسَبِّح بِحَمْدِكَ ونُقَدِّس لَك ـ ٢ / ٣٠.

واستَغفِر لِذَنبكَ وسَبِّح بِحَمدِ رَبّك بالعَشيِّ والإبكار ـ ٤٠ / ٥٥.

وَسَبِّح بِحَمدِ رَبّك حِينَ تَقوم ـ ٥٢ / ٤٨.

وفي التسبيحات الأربع: سُبحانَ الله والحمدُ لله.

وفي ذكر السجود: سُبحانَ رَبِّيَ الأعلى وبحمده.

والباء لتحقيق الربط بين التسبيح والحمد، راجع مادّة ـ حمد.

٨ ـ فرق بين الإنسان وما دونه وما فوقه من جهة التنزّه والفناء وكسر آثار الأنانيّة: ففي الجماد والنبات والحيوان تنزّهات وانكسارات جزئيّة، في تطوّرات حالاتها وجريان أمورها الطبيعيّة، وفناء طبيعيّ واحد كلّي في كلّ مرتبة من مراتب هذه الأنواع، كالفناء من الجماديّة أو من النباتيّة.

وفي الملائكة: فناء مستمرّ وشهود جلال وجمال دائميّ في جميع الحالات وجريانات أمورهم ومقاماتهم. وهذا الشهود أيضاً لهم فطريّ.

وأمّا الإنسان: فهو نسخة جامعة كاملة من مراتب الموجودات، وهو خلاصة من العوالم الموجودة، وفيه استعداد قبول جميع الصور والخصوصيّات.

مضافاً إلى أنّ فيه قوّة الانتخاب والاختيار والمجاهدة والحركة الإراديّة: فهو مستعدّ للسير والسلوك والترقّي إلى مراتب الكمال، والفناء من مرتبة إلى مرتبة ومن عالم إلى ما فوقه حتى يصل إلى عالم التجرّد والنور.

إنَّ لَكَ في النَّهار سَبْحاً طَويلاً ـ ٧٣ / ٧.

سُبحانَ الَّذي أسرىٰ بِعَبدِهِ لَيلاً مِنَ المسجِدِ الحَرامِ إلى المسجِدِ الأقصىٰ ـ ١٧ / ١.

ومِن آناءِ اللَّيْل فَسَبِّح وأطرافَ النّهار لَعَلَّكَ تَرْضىٰ ـ ٢٠ / ١٣٠.

٩ ـ قد ظهر أنّ تسبيح الله تعالى وتسبيح النفس متلازمان، ومفهومهما يرجع إلى حقيقة واحدة، وهي العلم الحضوريّ والمعرفة الشهوديّة في الباطن، فإنّ النفس إذا فني عنه نفسه: يكون وجهاً للربّ تعالى، ويتجلّى فيه نور الجلال والجمال وعظمة الحقّ، ويمحو آثار التشخّص والأنانيّة، فيتحقّق التنزّه والسبح في العبد بهذا الفناء، ويتجلّى نور السبّوحيّة الحقّة الإلهيّة، ففناء العبد عين ظهور الحقّ، وسبحه مظهر

سبّوحيّة الربّ تعالى.

وعلى هذا قد يطلق التسبيح مطلقاً من دون متعلَّق له، من ربّ أو عبد، فيعمّ الموضوعين، لوحدة المرجع فيهما، كما في:

يُسَبِّحونَ بِحَمدِ رَبِّهِم، وسَبِّح بِحَمدِ رَبّك، وسَبِّح بالعَشِيّ والابكار.

١٠ ـ قد يذكر التسبيح في الآيات الكريمة متعلّقاً بكلمة الإسم، كما في:

فَسَبِّح باسمِ رَبِّكَ العَظيم ـ ٥٦ / ٧٤.

سَبِّح اسمَ رَبّك الأعلى ـ ٨٧ / ١.

ولمّا كان توجّه الناس إلى الله المتعال في أمورهم وجريان حياتهم وتأمين معاشهم ومعادهم: إنّما هو بوسيلة أسمائه الحسنى، فلابدّ من معرفة الإسم الّذي به يتوجّه إلى الله حقَّ المعرفة.

وذلك إنّما يتحقّق بتنزيهه عن النواقص والعيوب وجهات الضعف، وتثبيته على الحقّ، فإنّ معرفة الله تعالى إنّما تتحصّل بمعرفة أسمائه.

ولِلهِ الأسماءُ الحُسْنىٰ فادعوهُ بِها.

راجع ـ سما.

وإذا أُريد من الإسم، مطلق العنوان والآية والصفة: فلا إشكال فيه أيضاً ـ راجع سما.

وذكر كلمة الربّ: إشارة إلى موارد جريان الأُمور في مقام التربية.

وإذا استعمل التسبيح متعلِّقاً بحرف الباء: فيدلّ على التوسّط والتوسّل والربط، كما في:

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم ، إركَبوا فيها بِسمِ الله .

* * *

سبط :

مقا ـ سبط : أصل يدلّ على امتداد شيء ، وكأنّه مقارب لباب ـ بسط ، يقال شَعر سَبْط وسَبِطٌ ، إذا لم يكن جَعداً . ويقال أسبَط الرجلُ إسباطاً ، إذا امتدَّ وانبسط بعدما يُضرَب . والسُّباطة : الكُناسة ، وسُمّيت بذلك لأنّها لا يُحتفظ بها ولا تُحتَجن .

مصبا ـ سَبِط الشَّعر سَبَطاً من باب تَعِب ، فهو سَبِط ، وربّما قيل سَبَط ، وصف بالمصدر : إذا كان مسترسِلاً ، وسبُط سُبوطاً فهو سَبْط ، مثل سهُل سُهولة فهو سَهْل : لغة فيه . والسِّبط : ولد الولد ، والجمع أسباط . والسِّبط أيضاً : الفريق من اليهود ، يقال للعرب قبائل ولليهود أسباط . والساباط : سقيفة تحتها مَمرّ نافذ ، والجمع سوابيط .

صحا ـ شَعر سِبط وسَبْط : أي مُسترسِل غير جَعْد ، ورجل سَبِط الشَّعر وسَبْط الجسم وسَبِط الجسم : إذا كان حَسَن القَدّ والاستواء . والسِّبط واحد الأسباط . وقوله تعالى : وَقَطَّعناهُم اثنَتَي عَشرَةَ أسباطاً أُمَماً ـ فإنّما أُنّث لأنّه أراد اثنتي عشرة فرقة ، ثمّ أخبر أنّ الفِرَق أسباط ، وليس الأسباط بتفسير (تمييز العدد) ، ولكنّه بدل من اثنتي عشرة ، لأنّ التفسير لا يكون إلّا واحداً منكوراً .

مفر ـ أصل السَّبْط انبساط في سهولة ، وقد سَبِط سُبوطاً وسَباطةً وسَباطاً ، وامرأة سَبْطة الخِلقة ، ورجل سَبْط الكفّين : ممتدّهما ، ويعبّر به عن الجود . والسِّبط : ولد الولد ، كأنّه امتداد الفروع .

سِفر خُروج ١ ـ وهذه أسماءُ بني إسرائيل الّذين جاءُوا إلى مصرَ مع يعقوبَ

كلّ إنسان وبَيــتُه، رَأوبَيْنُ وشِمعُونُ ولاوِي ويَهوذا ويَسّاكَرُ وزَبُولونُ وبَنيامِينُ ودانُ ونَفْتالي وجادُ وأشيرُ، وكانت جميع نفوس الخارجين من صُلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسفُ كان في مِصرَ.

سفر عدد ٢٦ / ٥٢ ـ ثمّ كلّم الربّ موسى قائلاً، لهؤلاء تُقسم الأرض نَصيباً على عدد الأسماء، الكثير تُكثِر له نصيبَه والقليل تُقلّل له نصـيبَه، كلّ واحد حسب المَعْدودينَ منه يُعطَى نصيبَه، إنّما بالقرعة تُقسَمُ الأرض حسب أسماء أسباط آبائهم يملكون.

قاموس كتاب ـ سبط: سمّي نَسْل كلّ من أولاد يعقوب بإسم السِّبط وقسّمت أراضي المملكة الموعودة بين الأسباط الإثني عشر، لكلّ واحد منهم بمقدار سهمه، واختصّ سبط لاوي من بينهم لخدمات الهيكل، وتأمين معاشهم على ذمّة الباقين.

* * *

والتحقيق:

أنّ السَّبْط بمعنى البسط المخصوص، وبينهما اشتقاق أكبر، وبلحاظ هذا المفهوم يطلق على النسل بعد ولد الولد، ولمّا كثرت ذرّيّة يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (ع) من أولاده الإثني عشر: انتشروا في أراضي فلسطين بشرقيّ بحر الروم.

وصاروا قبائل وسُمّوا بالأسباط وبني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحق، وكانوا إلى مدّة مديدة متّفقين ثمّ اختلفوا اختلافاً شديداً، وظهرت الحروب الكثيرة بينهم، فمنهم من آمن وبقي على التوحيد، ولكنّ كثيراً منهم كفروا بل وعبدوا الأصنام.

وبعث الله فيهم أنبياء ورُسلاً، واشتهروا بأنبياء بني إسرائيل، قال تعالى:

لَقَد أخَذنا ميثاقَ بَني إسرائيلَ وأرسَلنا إليهم رُسُلاً ـ ٥ / ٧٠.

لُعِنَ الَّذينَ كَفَروا مِن بَني إسرائيلَ عَلى لِسان داود ـ ٥ / ٧٨.

وَما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحٰقَ ويَعقوبَ والأسباط ـ ٢ / ١٣٦.

وأوحَينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحٰقَ ويَعقوبَ والأسباط ـ ٤ / ١٦٣.

وَما أُنزِلَ عَلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحٰقَ ويَعقوبَ والأسباط ـ ٣ / ٨٤ .

ويراد مطلق الذريّة والنسل من هؤلاء الأنبياء ولا سيّما من يعقوب عليهم السّلام، فيشمل قاطبة الأنبياء من ذريّتهم الّذين أنزل الله إليهم كتاباً وصُحُفاً، وقد بعث الله في بني إسرائيل أنبياء كثيرين وأنزل إليهم كتباً في الدعوة إلى الله والمواعظ والأخلاقيّات والمعارف.

وقد ذكرت أسامي عدّة كثيرة من هؤلاء الأنبياء في الكتاب المقدّس وهو مجموعة من كتب العهد العتيق ـ فراجعها.

وأمّا التعبير في مورد الإنزال في الآية الأُولى بحرف إلى، وفي الأُخرى وهي الآية الثالثة، بحرف على: فإنّ الثالثة جارية من لسان الرسول (ص)، ويقتضي التجليل والتعظيم لما أُنزل، وحرف على يدلّ على الاستعلاء والتفخيم، والأُولى من لسان القوم فعبّر بتعبير متعارف معمول له ـ قولوا آمَنّا بالله وَما أُنزِلَ إلَينا.

فالآيات الكريمة تدلّ على نزول كتب وكذلك نزول وحي (كما في الثانية) على الأنبياء من أسباط يعقوب وذرّيّته. ومن التأسّف الشديد: أنّ كتب السابقين من الأنبياء والرّسل قد انمحت بالكليّة وانحرفت على نحو لا يصحّ لنا الاعتماد عليها والاستفاضة من مَطاويها.

وتدلّ الآيات الشريفة على إفحام المخالفين من اليهود والنصارى في الطعن على

المسلمين بقولهم ـ كونُوا هُوداً أو نَصارىٰ تهتَدوا، فأجاب عنهم بقوله ـ قُل بَل مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وَما كانَ مِنَ المُشرِكين ـ ٢ / ١٣٥.

ثمّ قال: أم تَقولونَ إنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحٰقَ ويَعقوبَ والأسباطَ كانوا هُوداً أو نَصارى، قُل أأنتُم أعلمُ أم اللهُ ومَن أظلَمُ مِمَّن كتم شهادةً ـ ٢ / ١٤٠.

فلا يجوز التقيّد بالتهوّد والتنصّر، فإنّ الأنبياء إنّما هم دعاة إلى الله لا إلى أنفسهم، ولازم لنا أن نؤمن بهم جميعاً ولا نفرّق بين أحد منهم.

وَقَطَّعناهُم اثنَتي عَشرَةَ أسباطاً أُمَماً وأوحَيْنا إلى موسى إذِ استَسْقاه قَومُه أن اضرِب بِعَصاكَ الحَجَرَ فانبجسَتْ مِنهُ اثنَتا عَشرةَ عَيناً قَد عَلِمَ كُلّ أُناس مَشرَبَهم ـ ٧ / ١٦٠.

تقطيع بني إسرائيل على اثنتي عشرة أسباطاً وتفرّقهم على هذه الفرق المحدودة إنّما تحقّق في زمان موسى (ع)، وهو موسى بن عمران بن قاهات بن لاوي بن يعقوب ابن إسحٰق، وكانت إقامة بني إسرائيل بين وفاة يوسف ومولد موسى (ع) أربعاً وستّين سنة.

يقول في سِفر عدد ٢٦ / ٥٧ ـ وهؤلاء المَعْدودون من اللّاوِيّين حسب عشائرهم لجِرشونَ عشيرةُ الجِرشونيّين، ولِقَهاتَ عَشيرةُ القَهاتِيّين... وأمّا قَهاتُ فَوَلَدَ عَمْرامَ، واسمُ امرأة عَمرامَ يَوْكابَدُ بنتُ لاوي الّتي وُلِدَتْ لِلاوي في مصرَ، فَوَلَدَتْ لِعَمْرامَ هارونَ وموسى ومريم اختَهما.

وفي ـ أخبار الأيّام الأوّل ٦ / ١ ـ بَنو لاوِي جَرْشُونُ، وقَهاتُ ومَراري، وبنو قَهاتَ عَمْرامُ ويصهارُ وحَبرونُ وعُزِّيئيلُ، وبَنو عَمْرامَ هارونُ وموسى.

فظهر أنّ السِّبط بمعنى ولَد الولد وهو مفرد، وجمعه أسباط وهو بمعنى أولاد

الولد، ولمّا كان أولاد وَلَد يعقوب متشعِّبين على إثني عشر قسماً، وكلّ قسمة وشعبة منها في نفسها أسباط: فالأسباط في هذا المورد واحد الشُّعَب والفِرَق، ولا يراد معناه الجمعي، بل النظر إلى كونه واحداً وقسماً من الفرق الإثنتي عشرة.

فالأسباط في هذه الآية الكريمة تميز من العدد وهو كالمفرد، ولا يجوز كونه بدلاً، فإنّ المبدل منه لا يجوز أن يسقط هنا.

مضافاً إلى أنّ الأسباط في هذا التقدير يدلّ على مجموعة من السِّبط لا على مجموعة من الأسباط، ويكون خلاف المطلوب.

ويوضح ذلك ذكر الأمم، والمعنى: وقَطّعناهم على إثنتي عشرةَ من الأسباطِ والمجموعةِ من السِّبط، حال كون تلك الإثنتي عشرة أُمماً.

* * *

سبع:

مصبا ـ السُّبُع: جزء من سبعة أجزاء، والجمع أسباع، وفيه لغة ثالثة ـ سَبيع، وسَبَعْت القوم سَبْعاً من باب نفع، وفي لغة ـ من بابي قتل وضرب: صرت سابعهم، وكذا إذا أخذت سُبُع أموالهم، وسَبَعَت له الأيّام سَبْعاً من باب نفع: كملتها سبعة، وسبّعت: مبالغة. والسَّبُع: معروف، وباسكان الباء لغة، وهي الفاشية (أي بالإسكان) عند العامّة، ويجمع على لغة الضمّ على سِباع، وعلى لغة السكون في أدنى العدد أسبُع. ويقع السبع على كلِّ ما له ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والنمر، وأرض مَسبَعة: كثيرة السِّباع. والأُسبوع من الطواف: سبع طوفات، والجمع أُسبوعات وأسابيع. والأُسبوع من الأيّام: سبعة أيّام، والجمع أسابيع.

مقا ـ سبع: أصلان مطّرِدان صحيحان، أحدهما في العدد، والآخر شيء من

الوحوش. فالأوّل ـ السَّبْعة، والسُّبْع جزء من سَبْعة. ويقال سَبَعتُ القوم: إذا أخذتَ سُبع أموالهم أو كنتَ لهم سابعاً. ومن ذلك قولهم: هو سُباعيّ البدن إذا كان تامّ البدن. وأمّا الآخر ـ فالسَّبُع واحد من السِّباع. ومن الباب سَبَعته: إذا وقعتَ فيه، كأنّه شبّه نفسه بسبُع في ضرره وعَضّه. وأسبعته: أطعمته السبُع.

مفر ـ أصل السَّبْع: العدد، سَبعُ سَماوات، سبعاً شِداداً، وسبعُ سُنبلات، سبعونَ ذِراعاً. والسَّبُع: معروف، قيل سمِّي بذلك لتمام قوّته، وذلك أنّ السَّبْع من الأعداد التامّة.

أسا ـ ثوب سُباعيّ: سَبْعُ أذرع، وسَبَّع لإمرأته: جعل لها سبعة أيّام يقيم معها، وسبّع القرآن: وظّف عليه قراءته في سبعة أيّام، اللّهمّ سَبِّعْ لفلان وعَشِّر: من قوله تعالى ـ سَبع سنابل، عشر أمثالها، وأسْبَعَتْ فلانة: ولَدت لسبعة أشهر، وولَدُها مُسبَع. وسَبَعَت الذئابُ الغنم.

قع ـ (شِبَعْ) سَبعُ، سبع مرّات.

(شِبعاه) سبعة.

(شِبَّعَ) فَعلَ الشيءَ سَبْعَ مرّات، سَبَّع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الافتراس مع التوحّش، ولحرفي السين والباء خصوصيّة في مفهوم الطعن والتدمير، كما في السبأ بمعنى السلخ، والسبي بمعنى الأسر، والسبّ بمعنى الطعن، والبأس بمعنى العذاب، والبلس بمعنى اليأس، والعَبْس بمعنى العبوسيّة والشدّة، والسبه بمعنى ضعف العقل.

ولا يبعد أن يكون السَّبُع في الأصل صفة مشبهة، يقال رجل فَرِحٌ وفَرُحٌ وطَمِعٌ وطَمُعٌ وفَطِنٌ وفَطُنٌ.

حُرِّمَت عَلَيكُم المَيْتَةُ والدَّمُ ... وَما أكلَ السَّبُعُ إلّا ما ذَكَّيتُم ـ ٥ / ٣.

أي ما أكل منه الحيوان الوحشيّ المفترس ومات ولم يُذكَّ قبل أن يموت.

وأمّا السَبْع بمعنى العدد: فهو مأخوذ من اللغة العبريّة، وهو شِبَعْ، وهذا كما في سائر الأعداد، وسبق في ثمن وخمس ـ فراجعهما.

والمشتقّات كلّها من هذه الكلمة انتزاعيّة، والاشتقاقات الانتزاعيّة قلّما تقع في فصيح الكلام ولا سيّما في الكتاب الكريم.

وأمّا عدد السبع: فقد يستعمل من قديم الأيّام في مقام الإشارة إلى التعداد الكامل والمقدار التامّ.

كما في: إنِّي أرىٰ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهنَّ سَبْعٌ عِجاف وسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضر وأُخَرَ يابِسات ـ ١٢ / ٤٣.

والبَحْرُ يَمدُّهُ مِن بَعدِه سَبْعَةُ أبحُر ـ ٣١ / ٢٧.

ويستعمل سبعون في مورد يراد التماميّة الزائدة والكثرة الكاملة:

إن تَستَغفِرْ لَهُم سَبعينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغفِرَ الله لَهُم ـ ٩ / ٨٠ .

ثُمَّ في سِلسِلة ذَرعُها سَبْعونَ ذِراعاً فاسلُكوه ـ ٦٩ / ٣٢.

وأيضاً إنّ عدد السبع قد لوحظ في الجريانات الطبيعيّة والتشريعيّة لخصوصيّة فيه: كالسّماوات السبع، والاسبوع، والطواف سبعاً، والصيام سبعة أيّام في كفّارات الحجّ، وغيرها.

فمراحل خلقة الإنسان سبعة: وَلَقَد خَلَقنا الإنسانَ مِن سُلالَة مِن طِين ، ثُمَّ جَعَلناهُ نُطفَة في قَرار مَكين ، ثُمَّ خَلَقنا النُّطفَةَ عَلَقَة ، فَخَلَقنا العَلَقَةَ مُضغَةً ، فَخَلَقنا المُضغَةَ عِظاماً ، فَكَسَوْنا العِظامَ لَحماً ، ثُمَّ أنشأناهُ خَلْقاً آخَر ، فَتَبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخالِقين ـ ٢٣ / ١٤.

ومراحل خلقة العالم الكبيرة سبعة: الماء والبخار، والجمادات، والنباتات، الحيوان، الإنسان، الملائكة، العقول.

وكليّات مراحل السلوك إلى الله تعالى سبعة: ١ ـ التوبة والتوجّه، ٢ ـ التقوى والطاعة، ٣ ـ تزكية الباطن وتطهيره، ٤ ـ نورانيّة القلب وصفاؤه، ٥ ـ حصول المعرفة بالمعارف والحقائق، ٦ ـ مقام الملكوت، ٧ ـ الجبروت.

وللجحيم أيضاً سبعة أبواب ـ وإنَّ جَهَنَّم لَمَوْعِدُهُم أجمَعينَ لَها سَبْعَةُ أبوابٍ لِكُلّ باب مِنهُم جُزءٌ مَقسوم ـ ١٥ / ٤٤.

يقول في أمثال سليمان ٢٦ / ١٦: الكَسْلانُ أوفرُ حكمةً في عَيْني نفسِه من السبعة المُجيبين بعقل ـ ٢٥ ـ والقلب الشِّرِّير بِشَفَتيه يتَنكّر المُبغض وفي جوفه يَضعُ غِشّاً إذا حَسّنَ صَوْتَه فلا تأتِمنه لأنّ في قلبِه سبعَ رَجاسات.

فيراد من السبع مطلق الكثرة والزيادة، وأقلّها السبعة، كما أنّ أقلّ الجمع الثلاثة، وهذا لطف التعبير به دون الجمع.

ثُمَّ آستَوى إلى السَّماء فَسَوّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ ـ ٢ / ٢٩.

تُسَبِّح لَهُ السَّماواتُ السَّبعُ والأَرض ـ ١٧ / ٤٤.

قُل مَن ربُّ السَّماواتِ السَّبْع ـ ٢٣ / ٨٦ .

خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ـ ٧١ / ١٥.

خَلَقَ سَبعَ سَماواتٍ وَمِن الأَرْض مِثلَهُنَّ ـ ٦٥ / ١٣.

الظاهر أن يكون المراد السّماوات الطبيعيّة المحسوسة، من منظومات السيّارات والثوابت والشموس والأقمار.

ولعلّ المراد من هذا العدد: كونها على سبع طبقات أو سبع منظومات مرتبطة أو غير ذلك من العناوين ـ وما اوتيتُم مِنَ العِلم إلاّ قَليلاً.

أو يراد مفهوم الكثرة لا خصوص هذا العدد.

ويمكن أن نقول إنّ في بعض هذه الآيات الكريمة إطلاقاً يشمل السماء الطبيعيّة، والروحانيّة، في مقابل الأرض المادّيّة والطبيعيّة.

راجع ـ ثنى، سما، أرض.

* * *

سبغ:

مصبا ـ سَبَغَ الثوبُ سُبوغاً من باب قعد: تمَّ وكَمُل، وسَبَغَت الدِّرعُ وكلُّ شيء: إذا طال من فوق إلى أسفل. وعجيزة سابغة وألية سابغة أي طويلة. وسبَغَت النعمةُ سُبوغاً: اتّسعت. وأسبَغَها اللهُ: أفاضَها وأتمّها. وأسبغتُ الوضوءَ: أتممته.

مقا ـ سبغ: أصل واحد يدلّ على تمام الشيء وكماله، يقال: أسبغتُ الأمرَ، وأسبَغ فلان وضوءَه. ويقال أسبغَ الله عليه نِعَمَه، ورجل مُسبَغ أي عليه دِرع سابِغة.

صحا ـ شيء سابغ، أي كامل وافٍ، وسَبَغَت النعمةُ تَسْبُغ سُبوغاً: اتّسعَتْ، وأسبغ الله عليه النعمة أي أتمَّها. وسبّغَت الناقةُ تسبيغاً، أي ألقت ولدَها وقد أشعر

(نبت عليه الشعر)، وذَنَب سابغ أي وافٍ.

الجمهرة ١ / ٢٨٦ ـ أسبَغ الله عليه النعمة وأصبغَها: أكثَرها، إسباغاً، بالسين والصاد، والسين أعلى وأكثر، وكلّ ضافٍ (المتمايل مع عدول) سابغ، ثوب سابغ وشَعر سابغ، ولذلك سمِّيت الدُّروع سوابغ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو وسع خاصّ في موضوع أو عمل، ويقابله التضيّق والمحدوديّة.

والفرق بينها وبين الوسع والفسح والرغد والرفاه والتمام والكمال، والإحاطة والإدارة والإطافة والاستيلاء والاحداق، والشمول والاحتواء والحوز والجمع والختم:

الوسع: سَعة في محلّ أو موضوع ماديّ أو معنويّ، ويقابله الضيق.

الفسح: سَعة في محلّ.

الرغد: سَعة في العيش والحياة.

الرفاه: سَعة في تنعّم.

التمام: بالنسبة إلى الأجزاء والأغلب استعماله في الكمّ، ويقابله النقص.

الكمال: بالنسبة إلى ما يزيد ويضاف إلى الذات وأغلب استعماله في الكيف.

الختم: في مقابل الابتداء أي إكمال الشيء حتى يبلغ إلى الآخَر.

والإحاطة: استيلاء مع توجّه ورعاية.

والإدارة: استيلاء بالدَّوَران من حيث هو من دون نظر إلى جهة أخرى.

والإحداق: استيلاء بلحاظ النظر.

والإطافة: استيلاء بلحاظ الطواف.

والاستيلاء: استيلاء بلحاظ الولاية.

والجمع: انضمام شيء إلى آخر.

والاحتواء: اشتمال واستيلاء بضمّ شيء إلى آخر.

والحَوز: جمع وضمّ مع التسلّط والتملّك.

الشمول: إحاطة وتطبيق على أفراد.

راجع ـ حوز، جمع، رغد، وسائر الموادّ.

وأسبَغَ عَلَيْكُم نِعَمَه ظاهِرةً وباطِنَة ـ ٣١ / ٢٠.

أي جعل نِعَمَه عليكم سابغة أي في وسع من دون تضيّق ومحدوديّة فيها.

فيقال ثوب سابغ، وشَعر سابغ، ودِرع سابغ، ونعمة سابغة، وناقة سابغة الضلوع، وعَجيزة سابغة، ومَطر سابغ.

وألَنّا لَهُ الحَديدَ أن اعمَلْ سابِغاتٍ وَقَدِّر في السَّرْدِ ـ ٣٤ / ١١.

أي وجعلنا الحديد بين يديك ليّناً لِتَعْمل به وسائلَ سابغةً بوُسع وسهولة من دون محدودیّة وتضيّق فيها، كالدِّرع وغيره من الأسلحة والأسباب.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في الموردين دون نظائرها.

* * *

سبق:

مصبا ـ سَبَق سَبْقاً من باب ضرب: وقد يكون للسابق لاحق، كالسابق من

الخيل، وقد لا يكون كمن أحرز قصَبَة (المنصوبة فمن سبق أخذها) السبق فإنّه سابق إليها ومنفرد بها ولا يكون له لاحق. قال الأزهري: وتقول العرب: للّذي يسبق من الخيل سابق وسَبوق، وإذا كان غيرُه يَسْــبقه كثيراً فهو مُســبَق مُثقَل إسم مفعــول. والسَّبَق: الخَطَر وهو ما يتراهن عليه المتسابقان. وسَبّقتُه: أخذت منه السَّبَق، وأعطيته إيّاه. وسابَقه مسابقة وسِباقاً، وتَسابَقوا إلى كذا، واستبقوا إليه.

مقا ـ سبق: أصل واحد صحيح يدلّ على التقديم. يقال سَبق يَسبِق سَبْقاً. فأمّا السَّبَق: فهو الخَطَر الّذي يأخذه السابق.

صحا ـ سابَقْته فسبقته سَبْقاً، واستبقنا في العَدْو: تسابقنا. وقد قيل في قــوله تعالى ـ ذهَبْنا نَسْتَبِق أي ننتصل، ويقال له سابقة في هذا الأمر إذا سبق الناسَ إليه.

مفر ـ أصل السَّـبْق: التقدّم في السَّير نحــو والسَّــابِقات سَــبْقاً. والإســتباق: التسابق ـ إنّا ذهَبنا نستبِق، ثمّ يتجوّز به في غيره من التقدّم ـ قال ما سَبَقونا إليه، سَبَقَتْ من ربِّك أي نفذَتْ وتقدّمت، ويستعار السبق لإحراز الفضل والتبريز، وعلى ذلك السابقون السابقون أي المتقدِّمون إلى ثواب الله وجنّته بالأعمال الصالحة. وقوله وما نحنُ بمسبوقين أي لا يفوتوننا، وما كانوا سابقين ـ تنبيه أنّهم لا يفوتونه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل اللحوق، أي تقدّم في المَسير إلى منظور معيّن، في حركة أو عمل أو فكر أو علم.

والفرق بين هذه المادّة وموادّ التقدّم والمضيّ والمرور:

أنّ النظر في التقدّم: إلى جهة كون الشيء متقدّماً بالنسبة إلى شيء متأخر، سواء قُصد ذلك أو لم يقصد، في زمان أو مكان، وهو خلاف التأخّر.

والنظر في المرور: إلى العبور والوصول إلى نقطة مقصودة، سواء تجاوز عنها أم لا.

والنظر في المضيّ: إلى تحقّق أمر أو تجاوز جريان عن الحال إلى ما تقدّم، ولا توجّه فيه إلى أمر متأخّر أو لاحق، وهو في مقابل الاستقبال والانتظار.

وَلَولا كَلمَةٌ سَبَقَت مِن رَبّك، إنَّ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنّا الحُسنىٰ، ما سَبَقَكُم بِها مِن أحَد، لَو كانَ خَيراً ما سَبَقونا إليه، ما تَسبقُ مِن أُمَّة أجلَها وَما يَستأخِرون، لا يَسبِقونَه بالقول، سابِقوا إلى مَغفرة.

والمعنى في جميع هذه الموارد هو التحرك في برنامج بحيث يكون متقدِّماً وفي الصفّ الأوّل ويلحق به الآخرون.

والسّابِقونَ الأَوَّلون مِن المُهاجِرينَ والأنصار، أُولئِكَ يسارِعون في الخيرات وهُم لَها سابِقون، والسّابِقونَ السّابِقونَ أُولئكَ المقرَّبون، ومِنهُم سابق بالخيرات بإذن الله.

والمعنى ظاهر، وهو التقدّم في المسير.

ثمّ إنّ الاستباق من الله تعالى: هو الفضل واللطف والرحمة والإحسان، وأمّا العدل والحساب والجزاء المتعادل: فإنّما هي في المرتبة اللّاحقة.

وَلَولا كَلمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبّكَ لَقُضِيَ بَينَهُم - ١١ / ١١٠.

والاستباق من العبد: هو المسارعة في الخيرات والمجاهدة في الأعمال الصالحة والملازمة بالطاعات: سابِقوا إلى مَغفرَة مِن رَبّكُم - ٥٧ - ٢١.

أم حَسِبَ الَّذينَ يَعْمَلونَ السَّيِّئاتِ أن يَسْبِقونا ـ ٢٩ / ٤.

وأمّا استباق العبد في التكوينيّات وفي قضاء الله وتقديره وحكمه: فغير ممكن، كما يقول تعالى:

ما تَسبِق مِن أُمَّةٍ أجلَها وَما يَسْتَأخرون ـ ٢٣ / ٤٣.

أم حَسِبَ الَّذينَ يَعْمَلون السَّيِّئاتِ أن يَسْبِقونا ـ ٢٩ / ٤.

وَلِكُلٍّ وجهة هُوَ مُوَلِّيها فاستَبِقوا الخَيراتِ ـ ٢ / ١٤٨.

نَحنُ قدَّرْنا بَينَكُم الموتَ وَما نَحنُ بِمَسْبوقين ـ ٥٦ / ٦٠.

فاستَكبَروا في الأرض وَما كانوا سابقين ـ ٢٩ / ٣٩.

والمعنى أنهم لا يمكن لهم أن يسبقوا قضاءه وتقديره ومشـيّته، والتجاوز عن برنامج حكمه، والغلبة على ما يريده ويختاره، والاستباق في قبال نظم العالم.

وهذا التقدير والحكم أعمّ من أن يكون في عامّة الموجودات والعالم الكبير أو في العالم الصغير وفي فرد من العالَم.

وِلكُلٍّ وجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها، وَلَقَد سبقَتْ كَلمتُنا لِعبادِنا المُرسَلين ـ ٣٧ / ١٧١.

وَلا اللَّيلُ سابقُ النَّهار ـ ٣٦ / ٤٠.

والسّابِحاتِ سَبْحاً فالسّابِقاتِ سَبْقاً ـ ٧٩ / ٤.

والمراد النفوس الّتي تُنزِّه أنفسَها عن العيوب والنقائص وتسبق في السلوك إلى الله ـ راجع النَّزْع، والنشط.

* * *

سبل:

مقا ـ سبل: أصل واحد يدلّ على إرسال شيء من عُلو إلى سُفل، وعلى امتداد

شيء. فالأوّل ـ مِن قِيلك: أسبلتُ السِّترَ، وأسبَلَت السحابةُ ماءَها وبمائها. والسَّبَل: المطر الجَود (المطر الغزير). وسِبال (جمع سَبَلة) الإنسان من هذا لأنّه شَعر مُنسدِل. وقولهم لأعالي الدلو أسبال من هذا، كأنّها شبّهت بالّذي ذكرناه من الإنسان. والممتدّ طولاً: السبيل، وهو الطريق، سمّي بذلك لإمتداده. والسابِلة: المختلفة في السُّبُل جائية وذاهبة. وسمِّي السُّنبل سُنبلاً لامتداده.

مصبا ـ السبيل: الطريق، ويذكّر ويؤنّث، قال ابن السِّكّيت: والجمع على التأنيث سُبول، وعلى التذكير سُبُل. وقيل للمسافر ابنُ السَّبيل لتلبّسه به، قالوا والمراد من ابن السبيل في الآية من انقطع عن ماله. والسبيل: السبب، ومنه ـ يا لَيتَني اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسول سَبيلاً ، أي سبباً ووُصلة. والسابلة: الجماعة المختلفة في الطرقات في حوائجهم. وسَبّلت الثمرة: جعلتها في سُبل الخير وأنواع البرّ. وسُنبُل الزرع فُنعل، الواحدة سُنبلة، والسَّبَل والسَّبَلة مثله كقَصَب وقَصَبة. وسَنبَلَ الزرعُ: أخرجَ سنبلَه، وأسبَلَ: أخرَج سَبَله. وأسبَل الرجلُ الماءَ: صبَّه.

التهذيب ١٢ / ٤٣٦ ـ السَّبيل: الطريق، يؤنّثان ويُذكّران ـ وَإن يَرَوْا سَبيلَ الرُّشدِ لا يتَّخذوه سَبيلاً ، قُل هذِهِ سَبيلي . وجمع السَّبيل سُبُل، وابن السَّبيل: المسافر الّذي انقطع به وهو يريد الرجوعَ إلى بلده ولا يجد ما يتبلّغ به. وقال الليث: السَّبولة هي سنبلة الذُّرّة والأَرُزّ ونحوه إذا مالَتْ، يُقال قد أسبل الزرعُ إذا سَنْبَل، والفرسُ يُسبِلُ ذَنَبه، والمرأة تُسبِل ذَيْلها. والسَّبَلَة: ما على الشّفة العُليا من الشَّعْر يجمع الشاربَيْن وما بينهما. والمرأة إذا كان لها هناك شَعر: قيل امرأة سَبْلاء. والسَّبَل: المطر المُسبِل. عن ابن الأعرابيّ: السَّبَل أطراف السُّنبل. ويقال أسبَلَ فلان ثيابه: إذا طوّلها وأرسَلها إلى الأرض.

الفروق ٢٤٦ ـ الفرق بين الصراط والطريق والسبيل: أنّ الصراط هو الطريق

السهل. والطريق لا يقتضي السهولة. والسبيل إسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لا يقع عليه الطريق. تقول سبيل الله وطريق الله، وتقول سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول طريقك أن تفعل به.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إرسال شيء بالتطويل، كما في إسبال المرأة ذيلها، وإسبال الثوب، وإسبال الشَّعر، وإسبال الماء، وإسبال السِّتر، وإسبال السحاب، وإسبال المطر.

والسَّبيل هو ما يمتدّ ويُرسَلُ ويُسبَل من نقطة، فهو الطريق السهل الطبيعيّ الممتدّ الموصل إلى نقطة مقصودة، ماديّة أو معنويّة.

وهذا بخلاف الطريق فهو من الطَّرق بمعنى الضرب والدَّقّ، وهو ما يكون ويتحصّل بالعمل والصنع والتهيئة ومن غير سهولة.

وأمّا الصِّراط فهو الطريق الواضح الواسع، بطور مطلق ـ راجعه.

فالسبيل المادّيّ: كما في: وَجَعَلَ لَكُم فيها سُبُلاً، وسَلكَ لَكُم فيها سُبلاً، وجَعَلنا لَكُم فيها فِجاجاً سُبُلاً، لتَسلُكوا مِنها سُبُلاً فِجاجاً، ولا جُنُباً إلّا عابرِي سَبيل، والصّاحِبِ بالجَنْب وابنِ السَّبيل.

وهذه الإطلاقات كما ترى إطلاقات في السُّبُل الطبيعيّة الجارية السهلة، يقصد السلوك فيها إلى مقصد.

والسبيل المعنويّ الفطريّ الحقيقيّ: كما في: في سَبيل الله، عَن سَبيل الله، غَيرَ سَبيل المؤمنين، ولا تتَّبِع سَبيلَ المفسِدين، وإن يَروا سَبيلَ الغَيّ، وإن يَروا سَبيلَ

الرُّشد، واللهُ يقول الحقَّ وهوَ يَهدي السَّبيل، إنَّهُ كانَ فاحشة ومَقتاً وساءَ سَبيلاً، وقَد هَدانا سُبُلَنا.

فسبيل الله وسبيل الرُّسل وسبيل المؤمنين: هو سبيل الحقّ والرُّشد والفطرة السالمة الطاهرة الزاكية، وفي مقابلة سُبُل الغيّ والفساد والمَقت والخلاف والفحشاء والكفر والضلال.

وعلى هذا قد يطلق السبيل من دون إضافة مراداً منه السبيل الواحد الحقّ، وهو سبيل الله وسبيل الرشد والهدى كما في: فَقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبيل، ويُريدونَ أن تَضِلُّوا السَّبيلَ، وصَدُّوا عَن السَّبيل، وهوَ يَهدي السَّبيل.

ولا يخفى أنّ السبيل الحقّ المستقيم واحد ليس إلّا، وأمّا الطُّرُق غير الحقّة وما يخالف الحقّ المستقيم: فخارجة عن الإحصاء، فإنّ في كلّ نقطة عن خطّ الاستقامة يمكن أن يحصل انحراف وضلال، وعلى هذا لا يذكر سبيل الحقّ وسبيل الله إلّا مفرداً، وأمّا الطرق المخالفة: فتذكر إمّا مضافة إلى موضوع أو بصيغة الجمع، كما في: في سَبيل الطّاغوت، سَبيل المُفسدين، وَلا تتَّبِعوا السُّبُلَ فتفرَّق بكُم عَن سَبيله.

وأمّا آيات ـ وَقَد هَدانا سُبُلَنا ولَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيتمونا ـ ١٤ / ١٢.

والَّذينَ جاهَدوا فينا لَنهدِيَنَّهُم سُبُلَنا ـ ٢٩ / ٦٩.

يَهْدي به اللهُ مَن اتَّبع رِضوانه سُبُلَ السَّلام ـ ٥ / ١٦.

فالأوليان بمناسبة ارتباطها ورجوعها إلى الجماعة، فالأُولى في مورد الأنبياء، والثانية في مورد المجاهدين، فالنظر إلى السُّبُل التي يهتدي إليها هؤلاء الأفراد باختلاف طرقهم، وإن انتهت إلى سبيل واحد، فالنظر إلى جهة اهتداء الأفراد لا إلى السَّبيل والسُّبُل.

وأمّا الأخيرة: فالنظر فيها إلى جهة هداية الكتاب في شؤون مختلفة وفي جميع الجهات دنيويّة وأُخرويّة وباطنيّة.

وهذه الجهة لا يبعد أن تكون ملحوظة في الأُولَيين أيضاً.

ثمّ إنّ حقيقة سبيل الله: عبارة عن مَسير حقيقيّ للعبيد ينتهي إلى لقاء الله تعالى، وهو كمال العبد والمرتبة القصوى من الإنسانيّة، وقلنا في السبح إنّه إنّما يتحقّق بالتنزيه ورفع النقائص والعيوب حتّى يصل إلى مقام الملكوت ثمّ إلى عالم العقول والجبروت ثمّ الفناء في اللّاهوت.

وفي هذا السلوك يتحصّل موت بعد موت من عالم إلى عالم ومن حياة إلى ما فوقها ومن روحانيّة ونورانيّة إلى أوسع منها.

وإلى هذه الحقيقة يشار في: وَلا تَقولوا لِمَن يُقتَل في سَبيل اللهِ أمواتٌ ـ ٢ / ١٥٤.

وَلا تَحسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ أمواتاً ـ ٣ / ١٦٩.

فَلا تَتَّخِذوا مِنهُم أولياءَ حَتّى يُهاجِروا في سَبيل الله ـ ٤ / ٨٩.

وابتَغوا إلَيهِ الوَسيلَةَ وجاهِدوا في سَبيله ـ ٥ / ٣٥.

وتُجاهِدونَ في سَبيل اللهِ بأموالِكُم وأنفُسِكُم ـ ٦١ / ١١.

وآخر مقام للسالك المجاهد المهاجر إلى الله تعالى: هو الموت في الله والفناء فيه ومحو آثار الأنانيّة بالكليّة وظهور نور الحقّ وسلطته.

* * *

ستّ:

مصبا ـ ستّة رجال وستّ نسوة، والأصل: سِدْسَة وسِدْس، فأُبدل وأُدغم،

لأنّك تقول في التصغير سُدَيْس وسُدَيسة. وعندي ستّة رجالٍ ونسوةٍ: إذا كان من كلٍّ ثلاثة.

مقا ـ سدس: أصل في العدد، وهو قولهم السُّدُس: جزء من ستّة أجزاء، وإزار سَديس: أي سُداسِيّ. والسِّدْس من الوِرد في أظماء الإبل: أن تنقطع الإبل عن الوِرد خمسة أيّام وتَرِد السادِسَ. وأسدَسَ البعيرُ، إذا ألقى السِّنّ بَعد الرَّباعيّة، وذلك في السنة الثامنة. فأمّا الستّة فمن هذا أيضاً غيرَ أنّها مُدغمة، كأنّها سِدْسَة.

مفر ـ السُّدُس: جزء من ستّة ـ فلأُمِّه السُّدُس. وسَدَسْتُ القومَ: صِرتُ سادسَهم، وأخذت سُدسَ أموالهم، وجاء سادِساً وساتّاً وسادِياً: بمعنىً. ويقال لا أفعل كذا سَديسَ عَجيْسَ (السَّديس بمعنى السُّدس. والعَجْس هو البطوء): أي أبداً. والسُّدوس: الطَّيْلَسان. والسُّندُس: الرقيق من الديباج.

قع ـ (شِشاه) ـ ستّة.

(شِشِّيّ) ـ سادس.

(شِشِّيم) ـ ستّون.

* * *

والتحقيق:

أنّ بين هذه المادّة ومادّة السِّدس اشتقاقاً كبيراً، ولا يبعد أن يكون الأصل فيهما هو سدس، لاشتقاق كلمات منه، وهو قريب من اللغة العبريّة من جهة التلفّظ. ويمكن أن يكون كلّ من المادّتين أصلاً وفي عرض واحد ومأخوذين من العبريّة.

وعلى أيّ حال فالأصل الواحد فيهما: هو العدد المخصوص.

والاشتقاق فيهما انتزاعيّ، ويختار في كلّ صيغة من جهة المادّة والحروف ما

يناسبها تلفّظاً وتعبيراً.

فالسِّتّ إذا كان المعـدود مذكّراً، والسـتّة إذا كان مؤنّثاً، كما في أخواتـه مـن الأعداد، والسِّتّون: شبه جمع للعشرات.

وهوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ في سِتَّة أيّام - ١١ / ٧.

سنذكر في - يوم: إنّه عبارة عن امتـداد من الزمان معيّن ظاهر جليّ - يـوم الدين، يوم القيامة، اليوم الآخر، اليوم الموعود، يوم الفصل، يومئذ.

وأمّا خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام: فلعلّ المراد كون الخلق في سـتّة مراحل من الزمان، بأن يكون تعيّن الزمان ومحدوديّته بالحوادث والوقائع الواقـعة، فكلّ قسمة منه يوم.

ولا يبعد أن يكون تعدّد الأيّام وتحديدها بالستّة: باعتبار خلق البخار والماء، ثمّ خلق الجماد من التراب والطين والحجر وسائر المتكوّنات من الماء، ثمّ نظم الكرات السماويّة والسّماوات والأرض، ثمّ النبـاتات، ثمّ الحيـوان، ثمّ الإنسـان، فهذه سـتّ مراحل في التدبير والخلق.

ثمّ إنّ الزمان والمكان أمران اعتباريّان لا حقيقة لهما في أنفسهما من حيث هما، فإنّ المكان هو الملحوظ من استقرار جسم على آخر، وليس ما وراء هذين الجسمين أمر آخر، فالجسم الحالّ فيه جسمٌ آخر مكانُه ومحلُّ استقراره، وهذا أمر اعتباريّ، وإن شئتَ قل إنّه من الأعراض، أي كون جسم منظوراً فيه استقرار جسم آخر فيه.

وهكذا الزمان: فإنّه أمر اعتباريّ ملحوظ من النسبة المنظورة بين شيئين، أي الفاصلة المعتبرة بين الحدّين الموجودين، أو قطعة من زمان ملحوظة من جهة وقوع أمر فيها. وإن شئت قل إنّه يعتبر ويلاحظ في موازاة حركة.

هذا هو الحقّ المشهود في حقيقة الزمان والمكان، ولتوضيحه محلّ آخر.

وأمّا عدد الستّ: فله خصوصيّات، فإنّ الواحد فرد، وإذا كرّر يكون زوجاً، وإذا جمع الفرد والزوج يكون ثلاثـة، وإذا ضوعفت تكون سـتّة، والسـتّة يُنصّف، ويُثلّث، ويُسدّس، وإذا ضوعف ٦ يكون ١٢ ولهذا العدد أيضاً خصوصيّات.

ثمّ إنّ في تطبيق النصف: تكون البخار والماء والجماد متماثلة في مقابل النّبات والحيوان والإنسان ذات حياة. وفي تطبيق الثُّلث: يكون الحيوان والإنسان في قبال الجماد والنبات الفاقدين للحواسّ وفي مقابل الماء والبخار مادّتي التكوين. وفي مقام التسديس: يكون كلّ واحد من هذه الأنواع مخصوصاً ومستقلّاً وغير مربوط بالآخر.

ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فإطعامُ سِتّينَ مِسكيناً ـ ٥٨ / ٤.

والستّة إذا رفعت إلى العشرات تكون ستّين.

* * *

ستر:

مصبا ـ السِّتر: ما يُستر به، وجمعه سُـتور، والسُّترة: مثله، قال ابن فارس: السُّترة ما استترت به كائناً ما كان، والسِّتارة: مثله، والسِّتار: لغة. وستَرتُ الشيءَ سَتراً من باب قتل.

مقا ـ ستر: كلمة تدلّ على الغِطاء، تقول سترت الشيء سَتراً، وأمّا الإستار، وقولُهم إستار الكعبة: فالأغلب أنّه من السِّتر، وكأنّه أراد به ما تُستر به من لباس، إلّا أنّ قوماً زعموا أن ليس ذلك من اللباس وإنّما هو من العدد، قالوا والعرب تسمِّي الأربعة الإستار (كلمة معرّبة). قالوا فإستار الكعبة جُدرانها وجوانبها وهي أربعة.

أسا ـ اللهُ ستّار العيوب، ودونه سِتر وسُترة وسِتارة وسُتور وأسـتار

وسُتُر وسَتائر. واستترتُ بالثوب وتستّرت. ومن المجاز ـ جارية مُسَتَّرة وجَوارٍ مُسَتَّرات، ورجل مَستور وقوم مَساتير، وسَتَرتُ المرأةَ سِتارةً، فهي سَتيرة، وشجر سَتير: كثير الأغصان، وساتره العداوة مُساتَرةً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو كون الشيء تحت ساتر ومطلق المستوريّة بأيّ نحو ووسيلة كان.

والفرق بين هذه المادّة وموادّ ـ الحجب، الجنّ، الحجز، التغطية، المواراة، الإخفاء، الكتمان، الحفظ، الحرس، الحجر، الفصل:

أنّ الحَجب: هو كون الحائل المانع عن تلاقي شيئين أو أثرهما، فالنظر فيه إلى مطلق وجود الحجاب، ولا يلاحظ جهة تغطية ولا مواراة.

والجنّ: هو التغطية والنظر فيه إلى جهة المستوريّة ولو في نفسه وبنفسه.

والموارا‌ة: كون الشيء مغطّىً من جميع الجوانب.

والتغطية: يلاحظ فيها مطلق الموارا‌ة ولو من جانب واحد.

والحجز: النظر فيه إلى كون شيء فاصلاً بين شيئين ومانعاً بينهما.

والفصل: النظر فيه إلى مطلق كون شيء فاصلاً.

والإخفاء: يلاحظ فيه مجرّد كون الشيء في الخفاء بأيّ وسيلة كان سواء كان بموارا‌ة أو ستر أو تغطية أو حجاب أو غيرها.

والكتم: في قبال الإبداء، ويستعمل في إخفاء ما في الضمير والقلب.

راجع هذه الموادّ فيما مضى ويأتي.

وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قوم لَم نَجْعَلْ لَهُم مِن دُونها سِتراً ـ ١٨ / ٩٠.

أي لم يكن لهم ساتر من دون الشمس يغطّيهم، من لباس أو بناء أو عقل سالم.

وما كُنتُم تَسْتَتِرون أن يَشهدَ عَلَيكُم سمعُكُم وَلا أبصارُكُم وَلا جُلودُكُم ولكن ظَننتُم أنَّ اللهَ لا يَعلَم كَثيراً مِمّا تَعمَلون ـ ٤١ / ٢٢.

أي لم تكونوا متّخذين الغطاء ومختارين السِّتر عند ارتكاب الفواحش والمنكرات حذراً عن شهادة السمع يوم القيامة.

وإذا قرأتَ القُرآن جَعلنا بَينَك وبَينَ الَّذينَ لا يُؤمِنونَ بالآخِرَة حجاباً مستوراً ـ ١٧ / ٤٥.

فإنّ القرآن مَظاهر المعارف الإلهيّة والحقائق الروحانيّة، ولا يدركها إلّا قلوب زاكية مطهّرة نورانيّة، وإذا احتجبت العقول بالصفات الخبيثة الحيوانيّة والآراء المنحرفة والتمايلات المادّيّة والأعمال الفاسدة: صارت تلك الأُمور حاجبة لهم، بل وأنفسهم بهذه الكيفيّات والملكات الراسخة الظلمانيّة تصير حُجُباً تَفصل بينهم وبين الشهود وإدراك الحقّ.

ثمّ أنّ تلك الحُجب بل والمحجوبيّة غير مدركة لهم، كما في الجهل المركّب. فوجود الحجاب مستور لهم بالجهل وبحبّ النفس والأنانيّة، وهم لا يشعرون.

وهذا كمال المحجوبيّة وتمام البُعد والانحراف والضلال عن الحقّ. وفي نتيجة هذه المحجوبيّة يتحقّق مفهوم الآية الكريمة ـ وَما كُنتُم تَستترون أن يشهدَ عَلَيكُم سَمعُكُم ـ وقد جعلوا الحجاب والسِّتر لأنفسهم وعقولهم عوضاً عن التستّر والتحجّب في الأعمال والتمايلات القبيحة، فهم متستّرون بالثياب والأبنية من جهة الأبدان، وغير متستِّرين بالعقل والإدراك والبصيرة الروحانيّة المتأصّلة في الإنسان، فهم أولى بتطبيق الآية ـ

لَمْ نَجْعَل لَهُم مِن دونِها سِتراً.

* * *

سجد:

مصبا ـ سَجد سُجوداً: تطامَن، وكلّ شيء ذلّ: فقد سجَد. وسجد: انتصب في لغة طيّئ. وسجد البعيرُ: خفض رأسه عند ركوبه. وسجد الرجلُ: وضع جبهته بالأرض. والمَسجِدُ: بيت الصلاة، والمَسجِد أيضاً: موضع السُّجود، والجمع مَساجد. وقرأتُ آيةَ سجدة وسورةَ السجدة. وسَجدت سَجدةً بالفتح لأنّها عدد. وسِجدةً طويلة بالكسر، لأنها نوع.

مقا ـ سجد: أصل واحد مطّرد يدلّ على تطامُن وذُلّ. يقال: سجد إذا تَطامَنَ. وكلُّ ما ذلّ فقد سَجَد. قال أبو عمرو: أسجَدَ الرجلُ، إذا طأطأ رأسَه وانحنى. وأمّا قولهم: أسجَد إسجاداً، إذا أدام النظرَ، فهذا صحيح، إلّا أنّ القياس يقتضي ذلك في خفض.

أسا ـ رجال ونساء سُجَّد، وباتوا رُكوعاً سُجوداً، ورجل سَجّاد، وعلى وجهه سَجّادة وهي أثر السجود، وبسط سَجّادته ومَسجَدتَه، ويُجعل الكافور على مَساجد الميّت، جمع مسجد بفتح الجيم. ومن المجاز: شجر ساجد وسواجد، وشجرة ساجِدة: مائلة. والسفينة تسجُد للرياح: تُطيعها وتميل بميلها. وفلان ساجد المنخر: إذا كانَ ذليلاً خاضعاً، وعينٌ ساجِدة: فاترة. وسجَدَ البعيرُ وأسجَدَ: طأمَنَ رأسَه لراكبه.

مفر ـ السجود: أصله التَّطامن والتذلّل، وجعل ذلك عبارةً عن التذلّل لله وعِبادته، وهو عامّ في الإنسان والحيوانات والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار وليس ذلك إلّا للإنسان وبه يستحقّ الثواب، نحو قوله تعالى ـ فاسجُدوا لِلّهِ

واعبُدوا ـ أي تذلّلوا له. وسجودُ تسخير وهو للإنسان والحيوانات والنبات، وعلى ذلك ـ ولِلّٰهِ يَسجُد مَنْ في السَّمٰواتِ والأرْضِ طَوعاً وكَرْهاً وظِلالُهم بالغُدوّ والآصال ـ وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبّهة على كونها مخلوقة وأنّها خلقُ فاعل حكيم، وقوله اسجُدوا لآدَم ـ قيل اُمِروا بأن يتّخذوه قِبلة، وقيل اُمروا بالتذلّل والقيام بمصالحه ومَصالح أولاده فأتَمَرُوا إلّا إبليس. وقوله ـ اُدخلوا البابَ سُجَّداً ـ أي متذلّلين منقادين.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو كمال الخضوع بحيث لا يبقى أثر من الأنانيّة.

والفرق بين المادّة وبين موادّ ـ الركوع والخضوع والخشوع والتواضع والذُّلّ والصَّغار والهَوان والخِزي:

أنّ الخضوع: تواضع مقارناً بالتسليم وله مراتب:

فالركوع: حالة متوسّطة من الخضوع وهو ظاهريّ أو معنويّ أو هما معاً.

والسجود: حالة كاملة تامّة منه، وهذا النحو من الخضوع لا يجوز لغير الله العزيز المتعال.

والتواضع: مرتبة دانية من الخضوع.

وكلّ من هذه المراتب لا يتحقّق إلّا بفعل العبد واختياره لنفسه هذه الحالة.

وأمّا الذُّلّ: فهو حالة متحصّلة من غلبة من هو أعلى منه ـ راجع المادّة.

ولمّا كان حقّ السجود، هو منتهى الخضوع: يناسب ذكره بعد التسبيح والركوع والخرّ:

يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اركَعوا واسجُدوا ـ ٢٢ / ٧٧.

والقائمِينَ والرُّكَّعِ السُّجود ـ ٢٢ / ٢٦.

إذا ذُكِّروا بِها خَرّوا سُجَّداً ـ ٣٢ / ١٥.

إذا يُتلىٰ عَلَيهِم يَخِرُّونَ لِلأَذقان سُجَّداً ـ ١٧ / ١٠٧.

ويُسَبِّحونَه ولَهُ يَسجُدون ـ ٧ / ٢٠٦.

ويذكر بعده القرب والعبوديّة:

كَلّا لا تُطِعْه واسجُدْ واقتَرِبْ ـ ٩٦ / ١٩.

اركَعوا واسجُدوا واعبُدوا رَبّكُم ـ ٢٢ / ٧٧.

ثمّ إنّ السجود إمّا من الملائكة:

إنَّ الَّذينَ عِندَ ربّك ... يُسَبِّحونَهُ ولَهُ يسجُدون ـ ٢٠٦ / ٧.

وإمّا من الإنسان: سِيماهُم في وُجُوهِهِم مِن أثَرِ السُّجود ـ ٤٨ / ٢٩.

وإمّا من جميع أفراد الإنسان:

ولِلّهِ يَسجُدُ مَن في السَّمٰواتِ والأَرْضِ طَوعاً وكُرهاً ـ ١٣ / ١٥.

وفي خصوص النجم والشجر: والنّجم والشَّجر يَسجُدانِ ـ ٥٥ / ٦.

وإمّا من جميع الأنواع: ألَم تَرَ أنَّ الله يَسجُدُ لَهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأَرْض والشَّمْسُ والقَمَر والنُّجومُ والجبالُ والشَّجَرُ والدَّوابّ وكَثير مِنَ النّاس وكَثيرٌ حقّ عَلَيه العَذابُ ـ ٢٢ / ١٨.

والسجود إمّا بالطَّوْع والاختيار: كما في سجود أهل الإيمان والاطمينان، فإنّهم يسجدون لله تعالى بالرغبة والإختيار وقصد الإطاعة.

وإمّا بالكَرْه والاضطرار ومن دون قصد طاعة: كما في خضوع الكفّار وسجودهم

في موارد الاضطرار والابتلاء وبالفطرة.

وإمّا بالطبيعة التكوينيّة الذاتيّة ومن دون إرادة: كما في سجود الجماد والنبات والحيوان، فإنّهم يسجدون لله تعالى من حيث لا يشعرون.

ثمّ إنّ حقيقة السجود كما قلنا عبارة عن الخضوع التامّ مع التسليم الكـامل، وأمارة هذا المفهوم قد تكون بالإظهار القوليّ، أو بالإظهار العملي كالسجدة الشرعيّة وغيرها، أو بخضوع القلب وتسليمه بحيث تظهر آثاره في الجوارح، أو بالانقياد والطاعة عن جريان الطبيعة والتكوين.

فهذه الحقيقة إنّما يتحقّق مفهومها أوّلاً وبالذات في الطبيعة والتكوين والفطرة، سواء كانت عن علم أو عن إرادة أو اختيار أم لا، فالاختيار والعلم والتوجّه إنّما هي خارجة عن الحقيقة من حيث هي، فإنّ الإرادة والاختـيار من المـقدّمات، والعـلم والتوجّه من الملحقات المؤخَّرات.

فحقيقة مفهوم السجود من حيث هو هو: إنّمـا يتحقّق وجـوده مـن دون أن يتوقّف إلى أمر آخر، وهذا المعنى في جميع المراتب واحد وثابت.

نعم تختلف مراتبه بالشدّة والكمال والضعف: من جهة انضمام المعرفة والتوجّه والعلم والإرادة والاختيار والحبّ والشوق ودرجات الخضوع.

كما أنّ التسبيح الذاتيّ والنظم العامّ في ذوات الموجودات وأثر الحكمة والرحمة في جميع مراتب الوجود متحقّقة ثابتة، من غير حاجة إلى إظهار بقول أو عمل.

فظهر أنّ خضوع الموجودات في مقابل التقدير الإلهيّ وتسليمَها في قبال قانون التكوين والخلق وإطاعتَها ذاتاً عن الحكمة: هو حقّ السجود.

فإظهار الخضوع بالقول أو بالعمل من دون تحقّق مفهومه في القلب: خارج عن

حقيقة السجود ـ إنَّ الَّذينَ عِندَ رَبّك لا يَسْتَكْبِرونَ عَن عِبادته ويُسَبِّحونَه ولَهُ يَسْجدُون ـ ٧ / ٢٠٦.

فالسجود يلازم التسبيح والتنزيه عن جهات النقص والحدّ والضعف، ويتحقّق بعد نفي الاستكبار والأنانيّة، وظهور حقيقته في مرحلة العبوديّة.

نعم بحقيقة السجود يرتفع الاستكبار والحجب النفسانيّة بين العبد والربّ تعالى، ويتحصّل كمال الخضوع والعبوديّة والفناء ـ واْسْجُدْ واقتَرِبْ.

وفي هذه المرحلة: يتحقّق الخضوع التامّ للنفس وقُواه والجوارحِ والبدن وجميع متعلّقاته الّتي تظهر من وراء النفس، وهذا هو المراد من الظلال في الآية الكريمة ـ وللهِ يَسْجُد مَن في السَّماواتِ والأَرْض طَوْعاً وكَرْهاً وظِلالُهُم ـ ١٣ / ١٥، كما ورد في الدعاء ـ سَجَدَ لك عَظمي ولَحمي وشَعري ... راجع الظلّ.

وكما أنّ الظِّلّ من الساجد يَسْجُد: الظِّلّ من المسجود أيضاً يُسجَد بالتبع، لكونه وَجْهاً ومَظْهراً ومَجْلىً، فالوجه من حيث إنّه وجه: ليس فيه أنانيّة:

ثُمَّ قُلنا للمَلائِكَة اسجُدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلّا إبليسَ ـ ٧ / ١١.

فإذا سَوَّيتُه ونفختُ فيه مِن رُوحي فقَعُوا لَه ساجِدين ـ ١٥ / ٢٩.

قالَ لَمْ أكُن لأسجُدَ لِبَشَر خَلَقتَه مِن صَلصال مِن حَمَأ مَسنون ـ ١٥ / ٣٣.

فَجهِل إبليسُ حقيقة الحال وغفل عن وجه الربّ ولم يتوجّه إلى الروح الّذي يُنفخ من روحه، بل توجّه إلى جهة الظاهر الجسمانيّ المادّيّ.

نعم هذا المقام من مَزالّ أقدام العارفين: فإنّ المعرفة بالمَظهريّة وكونَه وجهاً، إنّما يتوقّف على معرفة المبدأ عزّ وجلّ، حتّى يصحّ مشاهدة وجهه وجماله ونور كبريائه، ولا سيّما إذا كان الوجه مَظهراً تامّاً.

وقد زلّت أفكار الملائكة أيضاً في هذا المقام ـ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى الملائكَة... يا آدَمُ أنبِئهُم بأسمائهم ... قالَ ألَم أقُل لَكُم إنّي أعلَمُ غَيبَ السَّمٰواتِ والأَرض ـ ٢ / ٣٣.

فلمّا عرّفهم مقام آدم وشاهدوا مَظهريّته التامّة للأسماء: سجَدوا له في المرحلة الثانية ـ فَسَجَدَ الملائكَةُ كُلُّهم أجمَعون ـ ١٥ / ٣٠.

ولا يخفى أنّ الملائكة لمّا كانوا متنوّعين من جهة الذوات والمَظهريّة، ولكلّ نوع منهم وِجهة خاصّة به واستعداد مخصوص وليس فيهم ما للإنسان من الجامعيّة والتماميّة: فلم يكونوا مستغنين عن تعريف مقام آدم، بعد معرفة الله تعالى على مقدار استعدادهم ووسعهم ـ مِنهُم سُجود لا يَركعون ورُكوع لا يَنتصِبون وصافّون لا يَتزايَلون ومُسَبِّحون لا يَسأمون.

وأمّا الإنسان: فله استعداد ومَظهريّة جامعة تامّة، وقابل لأن تتجلّى فيه الصفات الإلهيّة، وأن يكون وجهاً كاملاً للحقّ تعالى، فمعرفة الله عزّ وجلّ كافية في معرفة الإنسان الكامل ـ اللّهمّ عرِّفني نفسَك فإنّك إن لم تُعرّفني نفسَك لم أعرِفْ رَسولَك.

وأمّا المَساجِد: فوجه التسمية لزوم الخضوع وحصول حالة حقيقة السجود والتذلّل للعبد في الأمكنة، فالمسجد محلّ حصول القرب ومكان رفع الحُجب الظلمانيّة والأنانيّة، فللعبد أن يتوجّه إلى المسجد لتحصيل القرب والانقطاع إلى الله وتنزيه النفس عن العيوب ـ وأنَّ المَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدعُوا مَعَ اللهِ أحَداً ـ ٧٢ / ١٨.

* * *

سجر :

مصبا ـ سَجَرتُه سَجْراً من باب قتل: ملأته، وسجرتُ التنّورَ: أوقدته.

مقا ـ سجر : أصول ثلاثة : المَلْء ، والمخالَطة ، والإيقاد. فأمّا المَلء : فمنه البحر المَسجور ، أي المملوء. ويقال للموضع الّذي يأتي عليه السَّيل فيملؤه : ساجر. ومن هذا الباب ، الشَّعر المنسجِر وهو الّذي يَفِرُ حتّى يَسترسلَ من كثرته ، وأمّا المخالَطة : فالسَّجير : الصاحب والخليط ، وهو خلاف الشَّجير ، ومنه عين سَجراء إذا خالط بياضها حمرة. وأمّا الإيقاد : فقولهم سجرتُ التنوّرَ إذا أوقدته. والسَّجور : ما يُسجَر به التنوّرُ ، ومنه سجرَت الناقةُ : إذا حنّت حنيناً شديداً.

مفر ـ السَّجْر : تهيج النار ، يقال سَجَرْتُ التَّنّورَ ، ومنه : **والبحرِ المَسْجور** ، وقوله ـ **وإذا البِحار سُجِّرَت** أي اُضرِمت ناراً ، وقيل غيضت مياهها ، وإنّما يكون كذلك لتسجير النار فيه. **ثمّ في النار تُسجَرون** ـ نحو **وَقودها الناسُ والحجارة**. وسَجَرَت الناقةُ : استعارة لالتهابها في العَدْو ـ نحو اشتعلت الناقةُ. والسَّجير : الخليل الّذي يُسجَر في مودّة خليله.

جمهرة ٢ / ٧٦ ـ سجرتُ التَّنّورَ وغيره : إذا ملأتَه حطباً وناراً ، وكلَّ شيء ملأته من شيء فقد سجرتَه به. وفي التنزيل ـ **والبحرِ المَسْجور** : المملوء. وزعم قوم إنّه الفارغ. والسَّجير : الخليل المُصافي. وأمّا ـ **وإذا البِحارُ سُجِّرَت** ، أي خلت من الماء ، وزعموا إنّه من الأضداد. وسجرت الناقةُ تَسْجُر سَجْراً : إذا مدَّتْ حنينَها. والسجر أيضاً ضرب من سير الإبل بين الخَبَب والهَملجَة. والسَّجرة : حمرة تعلوها غُبرة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة : هو الهيجان والفيضان من شدّة الامتلاء. وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد : ففي البحر بوجود التموّج الشديد والهيجان ، وفي النار بالالتهاب الشديد والاشتعال ، وفي الرفيق والمصاحب بهيجان المحبّة والمودّة ، وفي

الشَعر بالوفور والاسترسال، والجامع بينها هو الخروج عن الحدّ في الامتلاء.

فظهر أنّ الأصل في المادّة ليس بمطلق الهيجان ولا الامتلاء ولا التوقّد ولا الفيضان ولا الاسترسال ولا التموّج، بل الهيجان الشديد القريب من حدّ الفيضان من وفور الامتلاء.

يُسحَبونَ في الحَميم ثُمَّ في النّار يُسجَرون - ٤٠ / ٧٢.

أي يمتلئون في النار ويتموّجون بالهيجان الشديد والاضطراب الوافر. والسَّحب: الجرّ على الأرض.

والبَيْتِ المَعْمور والسَّقْفِ المَرْفوع والبَحْرِ المَسْجُور - ٥٢ / ٦.

وإذا الوُحوشُ حُشِرَتْ وإذا البِحارُ سُجِّرَتْ - ٨١ / ٧.

أي البحر الممتلئ المتهيّج الشديد بالتموّج والوفور والفيضان.

وهذا المعنى في عالم المادّة: أثر من ظهور الرحمة في مسير العالم، أو أثر من بروز الغضب والنقمة إذا تجاوز حدّ الاعتدال والرحمانيّة واللطف.

وأمّا في عالم الملكوت والحقيقة الروحانيّة: فإشارة إلى الفيوضات الربّانيّة والرحمة المسترسلة والبحر الموّاج المبسوط من الأنوار الإلهيّة.

وأمّا التعبير بالتسجير دون السَّجْر: إشارة إلى التجاوز والخروج من الاعتدال والجريان الطبيعيّ، وتحقّق السجر بالجعل الإضافيّ الثانويّ، وهذا معنى بروز الغضب والنقمة من الله عزّ وجلّ.

ثمّ إنّ الماء لمّا كان مظهر الحياة والرحمة - ومِنَ الماء كُلّ شَيءٍ حَيّ - فيعبّر في مقام ظهور الرحمة وجريانها بسَجْر الماء، والماء المسجور.

ويؤيّد الأصل في المادّة: مفاهيم موادّ - سجف = إسبال، وسَجل = انصباب، وسجم = صبّ شيء. وأمّا معاني الخلأ والفراغ إن ثبتت: فإمّا من جهة الفراغ ممّا

يقابله أو ممّا سبق أي المفروغ فيه، أو أنّه نتيجة السجر، أو مجاز بقرينة التقابل.

* * *

سجل :

مقا ـ سجل: أصل واحـد يدلّ على انصـباب شيء بعد امتلائـه، مـن ذلك السَّجْل، وهو الدَّلو العظيمة. ويقال: سجلتُ الماء فانسجَل، وذلك إذا صَبَبْته. ويقال للضَّرع المُمتلئ: سَـجل. والمسـاجَلة: المـفاخرة، والأصـل في الدِّلاء إذا تَسـاجل الرجلان، وذلك تنـازعهما يريـد كلّ واحد منهـما غلبة صاحبـه. ومـن ذلك الشيء المُسجَل، وهو المبـذول لكلّ أحد، كأنّه قد صُبّ صَبّاً. فأمّا السِّجلّ: فمن السَّـجل والمساجَلة، وذلك أنّه كتاب يجمع كُتباً ومعاني، وفيه أيضاً كالمساجَلة، لأنّـه عـن مُنازعَة ومُداعاة. ومن ذلك قولهم الحرب سِجال، أي مُباراة مرّةً كذا ومرّة كذا. وفي كتاب الخليل: السَّجْل: مِلء الدَلو. وأمّا السِّجِّيل: فمن السِّجِلّ، وقد يحتمل أن يكون مشتقّاً من بعض ما ذكرناه. وقالوا: السِجّيل: الشديد.

مصبا ـ السِّجِلّ: كتاب القاضي، والجمع سِجِلّات، وأسجَلْتُ للرجل إسجالاً: كتبت له كتاباً، وسَجَّل القاضي: قضى وحكم وأثبت حكمَه في السِّجلّ. والسَّجْل مثال فَلس: الدلو العظيمة. وبعضهم يزيدُ ـ إذا كانت مَمْلوءة. والسَّجل: النصيب، والحربُ سِجالٌ مشتقّة من ذلك.

صحا ـ سجل: السَّجْل مذكّر وهو الدَّلو إذا كان فيه ماءٌ قلّ أو كثُر، ولا يقال لها وهي فارغة سَجلٌ ولا ذَنـوب، والجـمع سِـجال. والسَّـجيلة: الدَّلو الضَّـخِمة. وسَجَلت الماءَ فانسجَل أي صببته فانصبّ. وأسجلت الحوضَ: ملأته. والسَّجيل من الضُّروع: الطويل، يقال ناقة سَجْلاء. والسِّجِلّ: الصَّكّ. (كتاب مخصوص وهو معرّب

جك). وقد سَجَّل الحاكم تسجيلاً. وقوله ـ **بِحجارةٍ من سِجّيل**: قالوا هي حجارة من طين طُبِخ بنار جهنّم. والمساجَلة: المفاخَرة بأن تصنع مثل صُنعه في جَري أو سَقي، وأصله من الدلو.

قع ـ (سِجّل) = كيّفَ، لاءَم، نال، جَمَع، وفّر، خَزَن.

(سِجِل) ملاك، كنز، خزينة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الجمع والكنز للإسبال والنشر، مادّيّاً أو معنويّاً. وبهذه المناسبة تطلق على الدلو بلحاظ جمع الماء فيه للإسبال والصبّ، وعلى الحوض للنّشر والاستفادة منه، وجمع اللبن في الضرع لإطعام الرضيع، وجمع الكتب أو مطالب في الصَّكّ وحفظها للإراءة والنشر، وما يؤخذ ويخزن من النصيب للاستفادة، وما يجمع للطرح والرمي. فلابدّ في هذه الموارد من ملاحظة الخصوصيّات.

وقلنا في السجر: إنّ بينها وبين موادّ ـ سجف، سجل، سجم: اشتقاقاً أكبر، للتناسب بينها لفظاً ومعنى.

وأمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِن سِجِّيل مَنضود ـ ٨٢ / ١١.

وأمْطَرْنا عَلَيْهم حِجارَةً مِن سِجِّيل ـ ١٥ / ٧٤.

تَرميهم بِحِجارَةٍ مِن سِجِّيل ـ ١٠٥ / ٤.

قلنا إنّ السِّجِّيل من السَّجل، وهو على فِعّيل مبالغة كالصِّدِّيق والشِّرِّير والسِّكِّير، ويدلّ على ما يجتمع أجزاؤه ويشتدّ للرمي، كالطين اللَّزِق الصُّلب المطبوخ.

فهذه الكلمة عربيّة أصيلة وليست بمأخوذة من الفارسيّة ـ سنگ گل.

ويدلّ على هذا المعنى: وصفه بالمنضود، وهو ما ينضمّ بعض أجزاء شيء إلى بعض آخر، متّسقاً ومحكماً. فيشمل كلّ ما يشتدّ باللّزوق والانضمام، من أيّ مادّة يتحصّل، من ثلج أو طين مطبوخ أو غيرهما، وظاهر الآيات الكريمة أن يكون السِّجِّيل من نوع الحجارة.

يَومَ نَطوي السَّماءَ كَطَيّ السِّجِلّ للكُتُب ـ ٢١ / ١٠٤.

السِّجِلّ فِعِلٌّ كالفِلِزّ والدفقّ والخِبِرّ، كما في الجَمهرة ٣ / ٣٥٠. فالصيغة من مزيد الثلاثيّ، وتدلُّ على المبالغة والشدّة.

ومعنى الكلمة: هو كتاب أو نحوه يكتب فيه ويجمع بعض الأحوال الشخصيّة والحوادث الواقعة وأمثالها، ويُضبط فيه بعض الأُمور للحاجة إليه.

والطَّيّ: نوع من الجمع في قبال النشر. وذكر السماء لعظمتها، والأرض كالظلّ لها، وهي أعمّ من الماديّة والروحانيّة. والكُتُب جمع كتاب بمعناه المصدريّ، والسجلّ ما تُضبَط فيه الكتب وهو كالدفتر والطومار وغيرها.

والتعبير بالطَّيِّ دون الإفناء والإعدام، وبالكتاب دون الموجود وغيره أي تشبيه السماء بالكتاب: إشارة إلى ضعف مرتبة الوجود في السماء، كما أنّ الكتابة لها وجود أضعف من العينيّ، وأنّ هذه الظلال مع ضعفها لا تنعدم بالكلّيّة، بل تجمع وتضبط بعد النشر والظهور.

ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ يفسّر ويوضّح تلك الحقيقة بقوله ـ كَما بدَأنا أوّلَ خَلقٍ نُعيده: أي إعادتنا كالبدء في الخلق، وكما بَدأنا خلق السماء كذلك نُعيده.

وفي هذا البيان تبيين لعلّة العود وكشف عن حقيقته: حيث إنّ البدء ظهور فيض وتجلّي رحمة وبسط نور وجمال، وكلّ من الظهور والتجلّي والبسط أمر مستحدث

محدود ينتهي إلى حدٍّ معيّن، ثمّ يرجع إلى الزوال ـ اللهُ يَبْدَأُ الخلقَ ثُمَّ يُعيدُه ثُمَّ إليه تُرجَعون ـ ٣٠ / ١١ ـ راجع العود.

* * *

سجن :

مصبا ـ سَجَنته سَجْناً من باب قتل: حبسته، والسِّجن: الحبس، والجمع سُجون.

مقا ـ سجن: أصل واحد وهو الحبس، يقال سَجَنْته سَجْناً. والسِّجن: المكان يُسجن فيه الإنسان ـ رَبِّ السِّجْنُ أحَبُّ ـ فيُقرأ فتحاً على المصدر، وكسراً على الموضع.

صحا ـ السِّجن: الحبس. والسَّجْن المصدر، وقد سجنه يسجُنه، أي حبسه. وضربٌ سِجِّين أي شديد، وسِجِّين موضع فيه كتاب الفجّار، قال ابن عبّاس ـ ودَواوينهم، قال أبو عبيدة: هو فِعّيل من السِّجن.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحبس في مكان محدود أسفل. وبهذا القيد يظهر الفرق بينها وبين موادّ الحبس والمَخِيس والتوقيف:

فإنّ النظر في الحبس والمحبِس إلى جهة الممنوعيّة والمحدوديّة، فإنّ الحبس بمعنى المنع.

وفي المخِيس إلى جهة كَونه في مذلّة وحقارة، فإنّ الخيس بمعنى الذلّة.

وفي التوقيف إلى جهة التوقّف المحدود.

وأمّا السِّجِّين: فهو فعِّيل كالشِّرِّير ويدلّ على المبالغة والشدّة في جهة السِّجنيّة،

أي الشدّة في المحدوديّة والتسفّل.

كَلّا إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفي سِجِّين وَما أدرَيكَ ما سِجِّين كِتابٌ مَرقوم ـ ٨٣ / ٧.

قلنا في ـ رقم: إنّ المراد من الكتاب هو اللوح الروحيّ المنتقش فيه صور العقائد والأخلاق والأعمال وآثارها.

والنفس إذا نزلت إلى المرتبة الدنيا النازلة الظلمانيّة المحجوبة: تكون من مصاديق السِّجِّين، ويقابلها العِلّيين ـ راجع ـ رقم.

والتعبير بصيغة المبالغة: إشارة إلى أنّ السجن الروحانيّ أشدّ من جهة الظلمة والمحدوديّة والمحجوبيّة والتسفّل من السجن المادّيّ، فإنّ في السجن المادّيّ محدوديّةً ظاهريّة بدنيّة، ويمكن جبرانها بالتوجّهات الروحانيّة والعبادات الخالصة وبالانصراف عن المادّيّات.

ولكن التسجّن الروحانيّ والتنزّل إلى مقام السِّجِّين روحاً: لا يمكن جبرانه بالتنعم المادّي والاشتغالات والتوجّهات الدنيويّة.

وأيضاً إنّ التسجّن الظاهريّ أمر مادّيّ لا ربط له بالمقامات المعنويّة والمراتب الروحانيّة، ولا يوجب ضعفاً فيها، بل قد يزيد في علوّ المنزلة وارتفاعها، كما يرى في تسجّن الأولياء والمؤمنين ومجاهداتهم.

وهذا بخلاف السجن المعنويّ المعبّر عنه بالسجّين. فهو عين الضعف والنقص، وعلى هذا المعنى يقول يوسف عليه السّلام: رَبِّ السِّجنُ أحَبُّ إليَّ مِمّا يَدْعونَني إلَيه ـ ١٢ / ٣٣ ـ فإنّ دعوتهم إلى السِّجِّين، والسِّجن أولى منه.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في موارد استعمالها في الآيات الكريمة.

* * *

سجى :

مصبا ـ سجا اللّيلُ يسجو: ستَر بظلمته، ومنه سجَّيت الميّتَ: إذا غطّيتَه بثوب ونحوه. والسَّجيَّة: الغريزة.

مقا ـ سجو: أصل يدلّ على سكون وإطباق، يقال سجا اللّيل إذا ادلَهَمَّ وسكن. وطرف ساجٍ، أي ساكن.

أسا ـ سجا الليل والبحر إذا سكن، سُجوّاً. وريح سَجْواء: ليّنة. وناقة سَجْواء: تَسكن حتّى تُحلَب. وهو على سجيّة حميدة وسَجيّات وسَجايا: وهي ما سجا عليه طبعُه وثبت.

صحا ـ السَّجيّة: الخُلق والطبيعة. وقد سجا يَسجو سُجُوّاً: سكن ودام. وقوله ـ واللّيْلِ إذا سَجى: أي إذا دام وسكن.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو جريان شيء إلى أن يثبت ويستديم على حالة. ومن مصاديقه جريان اليوم إلى اللّيل حتّى يَدلهمَّ ويظلمَّ ويسكن ويثبت. وجريان الاتّصاف بصفة باطنيّة حتّى تكون ملكة وراسخة. وصيرورة الميِّت على حالة ثابتة بالتجهيز والتكفين. وهكذا في تحقّق حالة السكون والاستقرار في الريح باعتدال الجريان. وكذلك في الناقة.

وبهذا التقييد يظهر الفرق بينها وبين الثبوت ونظائره، فإنّ الثبوت كما قلنا هو الاستقرار واستدامة ما كان في مقابل الزوال.

والضُّحىٰ واللَّيْلِ إذا سَجَىٰ ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ ولَلآخِرَةُ خَيرٌ لَكَ مِنَ الأُولىٰ ـ ٩٣ / ٢.

الضُّحى كمال النور بارتفاع الشمس، ويقابله: الليل في حالة تماميّته وبلوغه إلى الثبوت والاستقرار التامّ. وهذا التعبير إشارة إلى غاية ارتفاع النور وكماله إلى أن ينتهي إلى غاية الانخفاض.

ولا يخفى أنّ ظهور آثار الرحمة والنعمة وتجلّي أشعّة الفيوضات المادّيّة إنّما يتمّ ويكمل في ساعات الضُحى، كما أنّ خفاءها ومستوريّتها بالتمام إنّما يتحقّق في زمان سكون اللّيل واستقرار الظلمة.

وجريان العيش والحياة المادّية إنّما يوجد في امتداد هٰذين الأمرين، ولا يتصوّر التجاوز والخروج عن هذا الخطّ.

ففي هذا التعبير إشارة إلى أنّ مراتب الشمس والحياة إنّما هي تحت سلطته وحكمه ومشيّته وبيده، فيستنتج ـ ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ.

وإذا أُريد من الضُّحى واللّيل مفهوماهما العامّان، أي مطلق النور والظلمة مادّيّين أو معنويّين: فتشمل الآيةُ الكريمة جميع الجريان في الحياة الظاهريّة والمعنويّة، وجميعَ مراتب العوالم والخلق.

ويؤيّد هذا التعميم: قوله تعالى ـ ولَلآخِرَةُ خَيرٌ لَكَ مِنَ الأُولىٰ.

فينطبق الضُّحى على عالم العقل والنور المجرّد، والليل على عالم المادّة والطبيعة، وبينهما متوسّطات من العوالم المتوسّطة ـ راجع ـ سجد وظلّ.

ولا يخفى أنّ المراد من الضُّحى واللّيل في هذه الصورة: مطلق النور التكوينيّ

والوجود المنبسط على مراتبه المترتّبة.

* * *

سحب :

مقا ـ سحب: أصل صحيح يدلّ على جَرّ شيء مبسوط ومدِّه، تقول سَحَبْت ذيلي بالأرض سَحْباً، وسُمّيَ السّحابُ سَحاباً تشبيهاً له بذلك، كأنّه ينسحب في الهواء انسحاباً، ويستعيرون هذا فيقولون تسحّب فلان على فلان، إذا اجترأ عليه كأنّه امتدّ عليه امتداداً، هذا هو القياس الصحيح. وناس يقولون: السَّحْب شدّة الأكل، وأظنّه تصحيفاً لأنّه لا قياس له، وإنّما هو السَّحت.

مصبا ـ سَحَبْته على الأرض سَحْباً من باب نفع: جررته، فانسحبَ، والسحاب معروف، سمّي بذلك لانسحابه في الهواء، الواحدة: سحابة، والجمع سُحُب بضمّتين.

مفر ـ أصل السَّحْب الجَرّ كسَحْب الذَّيْلِ والإنسان على الوجه، ومنه السحاب إمّا لجرِّ الرِّيح له أو لجـرِّه المـاء أو لانجـراره في مَرِّه ـ يومَ يُسْحَبُون في النارِ على وجوههم، ويُسْحَبُونَ في الحميم. وقيل فلان يتسحّب على فلان، كقولك ينجرّ، وذلك إذا تجرّأ عليه. والسَّحاب: الغيم فيها ماء أو لم يكن، ولهذا يقال سحاب جَهام (سحاب لا ماء فيه) ـ أ لَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يُزجي سَحاباً، حَتّى إذا أقلَّتْ سَحاباً، وقال ـ ويُنشئ السَّحابَ الثِّقال. وقد يذكر لفظه ويراد به الظِّلّ والظلمة على طريق التشبيه ـ مِن فوقه سَحابٌ ظلمات.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الجرّ على الأرض ونحوها، والفرق بينها

وبين موادّ ـ الجرّ، الجذب، الجلب، السوق:

أنّ الجَرّ: مطلق السَّحب على أيّ نحو كان.

والجذب: جرّ إلى جانب معيّن وهو ضدّ الدفع.

والجلب: سوقه إلى جانب بالقهر.

والسوق: حثّ على السير من خلف وهو عكس القود، يقال ساق الناقة إذا كانت قدّامه، وقادها إذا كانت خلفه.

وسحَبَ ذيلَه، وسحَبَه على وجهه: إذا جرّه منبسطاً على الأرض. وسمِّي السحاب به، لأنّه ينجرّ منبسطاً في الفضاء وعلى الهواء.

يَومَ يُسحَبون في النّارِ عَلى وُجوههم ـ ٥٤ / ٤٨.

أي يُجرّون فيها منبسطاً.

فتُثير سَحاباً فسُقناه إلى بَلَد مَيّت ـ ٣٥ / ٩.

فالسَحاب في نفسه مسحوب، وإذا يراد سحبُه إلى بلد ميّت: فيحتاج إلى جرّ إضافيّ، فعبّر عنه بالسوق.

وإذا اعتبر جريان السحاب بالنسبة إلى نقطة: فيعبّر فيه بالمرور ـ وتَرى الجبالَ تَحسبها جامِدةً وَهي تَمرّ مَرَّ السّحاب ـ ٢٧ / ٨٨.

فالسَحاب في نفسه يُجَرّ منبسطاً، ويَعرضه عوارض إضافيّة: ككونه مسخّراً، وثقيلاً، ومارّاً، ومَسوقاً، ومبسوطاً، ومؤلَّفاً، ومَركوماً، كما في:

والسّحاب المسخَّر بين السَّماء والأَرض، يُنشئ السّحابَ الثِّقال، تَمُرّ مَرَّ السّحاب، فسُقناه إلى بَلَد مَيِّت، فيَبْسُطه في السَّماء، ثُمَّ يُؤَلِّف بَينه ثُمَّ يَجعله رُكاماً.

* * *

سحت :

مصبا ـ السُّحُت وإسكان الثاني تخفيف: هو كلّ مال حرام لا يَحُلّ كسبه ولا أكله. والسُّحت أيضاً: القليل النزر، يقال أسحتَ في تجارته وأسحتَ تجارتَه: إذا كسب سُحتاً أي قليلاً.

مقا ـ أصل صحيح منقاس. يقال: سُحِت الشيء، إذا استؤصِل، وأُسحِت. يقال أسحَتَ اللّهُ الكافر بعذاب، إذا استأصَله. ومال مَسحوت ومُسحَت. ومن الباب: رجل مَسحوت الجوف إذا كان لا يَشبع، كأنّ الّذي يبلعُه يُستأكل من جوفه فلا يبقى. المال السُّحت: كلّ حرام يلزم آكلَه العار، وسمِّي سُحتاً لأنّه لا بقاء له. ويقال أسحتَ في تجارته، إذا كسب السُّحتَ، وأسحت مالَه: أفسدَه.

أسا ـ سَحَت شَعْرَه في الحلق أو في الجزّ: استأصله. وسَحَت وجهَ الأرض: سَحاه. وسُحِت في ختان الصبيّ: بولغ فيه واستُقصِيَ حتّى نُهِك. وفلان يأكل السُّحتَ. وأسحتَ في تجارته: كسب السُحت.

لسا ـ السُّحت: كلّ حرام قبيحِ الذكر. وقيل هو ما خبُث من المكاسب وحَرُم فلزم عنه العارُ وقبيحُ الذِّكر. وإذا وقع الرجل فيها قيل قد أسحتَ الرّجلُ. والسُّحت: الحرام الّذي لا يَحُلّ كسبه، لأنّه يسحت البركة أي يُذهبها. وأسحتَتْ تجارتُه: خبُثت وحَرُمت. وسحَت الشيءَ يَسْحَته سَحْتاً: قشره قليلاً قليلاً، وسَحتُّ الشحمَ عن اللّحم: قشرته عنه. وأسحتَ الرجل: استأصل ما عنده.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو السقوط الشامل للمكروه والخبيث والهَدْر،

مادّياً أو معنوياً.

والفرق بين هذه المادّة وموادّ ـ المكروه، الخبيث، الهَدْر، الحرام، القبيح: أنّ المكروه: يقابل المحبوب. والخبيث: يقابل الطيّب. والقبيح: يقابل الحَسَن. والحرام: يقابل الحلال. والهَدْر: بمعنى الساقط الباطل.

فكلّ ما يُستكره عند العرف أو يكون خبيثاً أو هدراً: فهو سُحت.

والإسحات: جعل شيء ساقطاً وباطلاً أو عَدُّه مكروهاً أو خبيثاً. ومن هذا الباب قشر اللّحم وغيره.

فلابدّ من لحاظ هذا القيد في مفاهيم ـ الاستيصال وإفساد المال وحَلق الشَّعر وجزّه والخِتان وفي التجارة وغيرها.

لا تَفتَروا عَلى الله كَذِباً فيُسحِتَكُم بعَذاب ـ ٢٠ / ٦١.

أي يجعلكم في أنفسكم ساقطين عن مقام الحقّ والإنسانيّة، ويكون جريان حياتكم ومسير أموركم في بطلان واستكراه وخبث، في قبال ـ مَن عَمِلَ صالحاً مِن ذَكَر أو أُنثى وهوَ مؤمنٌ فلنُحيينَّه حَياةً طَيِّبة، ويَومَ يُعرضُ الَّذينَ كَفَروا عَلى النّار أذهبتُم طَيّباتِكُم في حَياتكُم الدُّنيا. راجع الطيب.

سَمّاعونَ للكَذِب أكّالونَ للسُّحت ـ ٥ / ٤٢.

يُسارعونَ في الإثم والعُدوانِ وأكلِهم السُّحتَ ـ ٥ / ٦٢.

أي يبدّلون الطيّبات من الرزق بالمكروه والخبائث والباطل ـ لا تَأكلوا أموالكُم بينَكُم بالباطل، ويُحَرِّمُ عَليهم الخَبائثَ.

فالنهي عن أكل السُّحت وذمُّه: يدلّ على حرمة أكل الربا وأكل أموال اليتامى

والأكل عن معاملة باطلة فاسدة، أو معاملة محرّمة، وأمثالها.

* * *

سحر:

مصبا ـ السَّحر: الرئة، وقيل ما لصق بالحلقوم والمَريء من أعلى البطن، وقيل هو كلّ ما تعلّق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة، وفيه ثلاث لغات، وزان فَلْس وسَبَب وقُفل، وكلّ ذي سحر مفتقِر إلى الطعام، وجمع الأُولى سُحور، والثانية والثالثة أسحار. والسَّحَر قُبيلَ الصبح، وبضمّتين لغة، والجمع أسحار. والسَّحور: ما يُـؤكل في ذلك الوقت. وتسحّرتُ: أكلت السَّحور، والسُّحور: فعل الفاعل. والسِّحر: قال ابن فارس: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال هو الخديعة، وسحَره بكلامه: استماله برقته وحسن تركيبه.

مقا ـ سحر: أصول ثلاثة متباينة، أحدها عضو من الأعضاء، والآخر خَدع وشبهُه، والثالث وقت من الأوقات. فالعضو السَّحْر وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن، ويقال بل هي الرئة، ويقال منه للجبان: انتفخ سَحْره. وأمّا الثاني ـ فالسِّحْر قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحقّ، ويقال هو الخـديعة. وأمّـا الوقت: فالسَّحَر والسُّحرة وهو قبل الصـبح. ويقولون ـ أتيتك سَحَرَ، إذا كان ليوم بعينه، فإن أراد بُكرة وسَحَراً من الأسحار، قال ـ أتيتك سَحَراً.

أسا ـ كلّ ذي سَحْر أو سَحَر يتنفّس، وهو الرئة. ومن المجاز: سـحره وهـو مَسحور، وإنّه لمسحَّر: سُحِر مرّة بعد أخرى حتّى تَخبّل عقلُه، وأصله من سحره إذا أصاب سَحْرَه. ولقيته سَحَراً وسُحرة وبالسَّحَر وفي أعلى السَّحرين: وهما سَحَر مع الصبح وسَحَر قبله، كما يقال الفجران للكاذب والصادق. وأسحَرْنا مـثل أصـبحنا.

واستَحَروا: خرجوا سَحَراً. وتسحّرت: أكلت السَّحور، وإنّما سمِّي السَّحَر استعارة، لأنّه وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفِّس الصبح. وجاء فلان بالسِّحر في كلامه. والمرأة تَسْحر الناسَ بعينها، ولها عين ساحِرة. وسَحَرْتُه عن كذا: صرفته.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصَّرف عمّا هو واقع وحقّ إلى خلافه، كصَرْف الأبصار عمّا يشاهدونه في الظاهر إلى خلافه، وصرف القلوب عمّا يُدركونه إلى الخلاف، يقال هو ساحِر، وذاك مسحور.

فَلَمّا ألقَوا سَحَروا أعيُنَ النّاسِ، فإذا حِبالُهُم وعِصِيّهم يُخَيَّلُ إليه مِن سِحرهم أنّها تَسعىٰ، إنَّما صَنَعوا كَيدُ ساحِرٍ ولا يُفلحُ السّاحِرُ حَيث أتى.

يراد صَرف أبصار الناظرين عمّا يشاهدونه وعمّا كان ووقع إلى خلافه.

سَيقولونَ لِلّهِ قُل فأنّى تُسحَرون، إن تتَّبعونَ إلّا رجلاً مَسحوراً، بَل نَحنُ قوم مَسحورون.

يراد كونهم مصروفين عمّا هو الحقّ والواقع.

وأمّا إطلاق السَّحَر على وقت قريب من الصبح ومتّصل به: فهو من جهة أنّ ذاك الوقت يدلّ إلى ضياء وظهور شفق بالفجر مع ما يشاهد من اللّيل والظّلمة ويتوقّع إمتدادها، فكأنّه يَصرف الأبصار إلى خلاف ما وقع. وبهذه المناسبة يؤمر بالاستغفار فيه ـ والمُستغفِرينَ بالأسحار.

فبالإستغفار يوافق الباطن بالظاهر، ويُصرف القلب من كدورات الآثام وظلمات المعاصي إلى ضياء الطاعة ونور العبوديّة، ومن الغفلة والمحجوبيّة إلى التوجه

والذكر والروحانيّة.

وبهذا الاعتبار يطلق السَّحور على طعام يؤكل في ذلك الوقت: حيث أنّه يَصرف الإنسان إلى حال أحسن، من ضعف إلى قوة، ولا سيّما إذا كان للصوم، فيصرف إلى حالة روحانيّة وإمساك عن اللذّات البدنيّة.

وأمّا اطلاق السَّحر على الصّدر وما يقرب من النحر: فإنّ الصّدر يصرف الناظر من أسافل الأعضاء إلى أعاليها، والصدر هو الواسطة بينهما، ويتوجّه الناظر به إلى جمال الوجه وإلى مَجلى الإدراك والتعقّل واللطف.

فهذا القيد لابدّ أن يلاحظ في كلّ من الموارد المذكورة.

ثمّ إنّ السِّحر إمّا واقعيّ أو ادّعائيّ: فالأوّل كما في:

سَحَروا أعيُنَ النّاس واستَرهَبوهُم وجاءُوا بِسِحر عَظيم ـ ٧ / ١١٦.

والثاني كما في: فَلَمّا جاءَتهم آياتنا مُبصرَةً قالوا هذا سِحر مُبين ـ ٢٧ / ١٣.

والسِّحرُ تعليمُه وتعلّمه والعمل به محرَّم ممنوع، فإنّه يَصرف الناس عن الحقّ الواقع ويُضلّ أفكارهم:

وَلا يُفلحُ السّاحِرونَ ـ ١٠ / ٧٧.

ولكنّ الشّياطين كَفَروا يُعَلِّمون النّاسَ السِّحْرَ ـ ٢ / ١٠٢.

سَحَروا أعيُنَ النّاسِ واستَرْهَبوهُم ـ ٧ / ١١٦.

فَيَتَعلَّمون مِنهُما ما يُفَرِّقونَ بِه بَينَ المرءِ وزَوجِهِ ـ ٢ / ١٠٢.

والسِّحر على نوعين: إمّا بالتوسّل بأسباب ووسائل وآلات وأدوية مضبوطة في الكتب المربوطة، وإمّا بسرعة اليد في العمل وإعمال حِيَل تخفى على الناظر، ويطلق على النوع الأخير الشَّعْوَذَة والشَّعْبَذَة، وقد يطلق على مطلق السحر.

والفرق بين السِحر والإعجاز: أنّ الإعجاز لا يعتمد على أسباب مخفيّة ولا على سرعة حركة في اليد وغيرها حتى توجب صرف الذهن عن الواقع. بل هي عمل على خلاف مجرى الطبيعة بقوّة الإرادة وقدرة النفس مستنداً إلى القدرة الإلهيّة وفي حال التسليم، ومقترناً بدعوى النبوّة.

فللمؤمن السالك صراطَ الأنبياء: أن يتصف بصفاتهم بتزكية النفس وتسبيحها وتقويتها وإخلاصها، حتّى يقول لشيء كُن فيكون. ولا ينبغي له أن يتبع سُبُل الشياطين في تعلّم أنواع السِّحر وصرف عباد الله عن شهود الوقائع والأمور الحقّة إلى خلافها.

* * *

سحق :

مصبا ـ سَحَقْتُ الدواءَ سَحْقاً من باب نفع فانسحق. والسَّحُوق: النخلة الطويلة، والجمع سُحُق. والسَّحْق: الثوب البالي، ويضاف للبيان، فيقال سَحْقُ بردٍ وسحق عمامة. وأسحَقَ الثوبُ إسحاقاً: إذا بَلِيَ، فهو سحق. وفي الدعاء: بُعداً له وسُحقاً. وسَحُق المكان فهو سَحيق مثل بَعُد، فهو بَعيد، وزناً ومعنىً.

مقا ـ سحق: أصلان، أحدهما ـ البُعد، والآخر ـ إنهاك الشيء (استعماله والتصرّف فيه) حتّى يُبلَغ به إلى حال البِلى. فالأوّل ـ السُحق، وهو البُعد. والسَّحوق: النخلة الطويلة، وسمِّيت بذلك لبُعد أعلاها عن الأرض. والأصل الثاني ـ سحَقت الشيءَ أسحَقه سَحْقاً. والسَّحْق: الثوب البالي. ويقال سحَقه البِلى فانسحق، ويستعار هذا حتّى يقال إنّ العين تسحق الدمع سَحقاً. وأسحقَ الشيءُ: إذا انضمر وانضمّ. وأسحقَ الضَّرعُ إذا ذهب لبنُه وبَلِيَ.

مفر ـ السَّحْق: تفتيت الشيء، ويستعمل في الدواء إذا فُتِّت، يقال: سحقته

فانسحق، وفي الثوب إذا أخلق، يقال أسحق. والسَّحق: الثوب البالي، ومنه قيل أسحَق الضَّرْعُ: صار سَحْقاً لذهاب لبنه. ويصحّ أن يجعل إسحٰق منه، فيكون حينئذ مُنصرفاً، وقيل أبعدَه وأسحقه الله، أي جعله سَحيقاً، وقيل سحقه أي جعله بالياً.

قاموس الكتاب: إسحاق ـ (الضاحك) وهو إسحاق بن إبراهيم وسارا، وأُرسِل إلى الجزيرة وله أربعون سنة، وتزوّج من رِفقةِ بنتِ خاله، والأغلب أنّه يسكن في الجنوب من مملكة كَنعان، وله ولدان: يعقوبُ وعيصو. ولمّا مضى من عمره مأة وسبع عشرة سنة أعطى لابنه يعقوب بركة وأرسَله إلى الجزيرة، وتُوفّي وله مأة وثمانون سنة، ودفنه إبناهما في مقبرة أبيه إبراهيم.

التكوين ـ ٢١ ـ وافتقد الربّ سارةَ كما قال، وفعل الربّ لسارة كما تكلّم، فحملت سارةُ وولَدت لإبراهيم إبناً في شيخوخته في الوقت الّذي تكلّم الله عنه، ودعا إبراهيم إسم ابنه المولود له الّذي ولَدته له سارة إسحق، وختن إبراهيم إسحقَ ابنَه وهو ابن ثمانية أيّام كما أمره الله، وكان إبراهيم ابنَ مِئة سنة حين وُلِد له إسحقُ ابنه، وقالت سارة قد صنع الله إليّ ضَحِكاً، كلّ مَن يَسمع يَضحك لي.

وفي ٢٥ / ١٩ ـ ولَد إبراهيمُ إسحقَ، وكان إسحقُ ابن أربعين سنةً لمّا اتّخذ لنفسه زوجةً رِفقةَ بنتَ بَتوئيل الأراميّ أُختَ لابانَ الأراميّ من فَدّانَ الأرام، وصلّى إسحقُ إلى الربّ لأجل امرأته، لأنّها كانت عاقراً فاستجاب له الربّ فحبِلت رفقةُ امرأتُه، وتزاحم الولدان في بطنها... فلمّا كملت أيّامها لتلد إذا في بطنها توأمان، فخرج الأوّل أحمر كلّه كفَرْوة شعر، فدعوا إسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عِيسو، فدُعِي إسمه يعقوب.

وفي التكوين العبريّ، في هذه الموارد وغيرها ـ (ايصِحاق) بالصاد المهملة دون السين.

قع ـ (صاحَق) ـ ضحِك، مزَح، سخِر.

* * *

والتحقيق:

إنّ كلمة إسحاق عُرّبت من ايصِحاق عبريّاً وهو بمعنى الضاحك، لكثرة ضحكه، أو لِما ضحِك الناس في ولادته، من جهة أنه تولّد في حين كبر من أبويه، أو بمناسبة ـ وامرأته قائمة فضحِكَتْ.

وهو من الأنبياء العظام كما ورد في القرآن الكريم:

وبَشَّرناه بإسحٰق نَبيّاً مِن الصّالحِين ـ ٣٧ / ١١٢.

وإنّه من عباده الخاصّة به:

واْذكُر عِبادَنا إبراهيمَ وإسحٰقَ ويَعقوب ـ ٣٨ / ٤٥.

وإنّه من الصالحين: وَوَهَبنا لَهُ إسحٰقَ ويَعقوبَ نافلةً وكُلّاً جَعَلنا صالحين ـ ٢١ / ٧٢.

نَبيّاً مِن الصّالحين ـ ٣٧ / ١١٢.

ومن الّذين أوحَى إليهم: وأوحَينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحٰقَ ـ ٤ / ١٦٣.

ومن الّذين أُنزِل إليهم: وما أُنزِلَ إلى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحٰق ـ ٢ / ١٣٦.

ومن الّذين هداهم الله: وَوَهَبْنا لَهُ إسحٰقَ ويَعقوبَ كُلّاً هَدَيْنا ـ ٦ / ٨٤.

ومن المتّبَعين: واتّبعتُ ملّة آبائي إبراهيم وإسحٰق ويَعقوب ـ ١٢ / ٣٨.

ومن المبارَكين عليه: وبارَكنا عَلَيه وعَلى إسحٰق ـ ٣٧ / ١١٣.

ويذكر في كتب التاريخ (كما في ابن الوَردي ج ١ ص ١٣): لمّا صار لإبراهيم

مائة سنة وُلد له إسحاقُ، ولمّا صار لإسحاق ستّون سنة وُلد له يعقوب، ولمّا صار ليعقوب ستّ وثمانون وُلد له لاوي، ولمّا وُلد قاهاثُ له صار لِلاوي ستّ وأربعون، ولمّا صار لقاهات ثلاث وستّون وُلد له عمران، ولمّا صار لعمران سبعون وُلد له موسى (ص). فولادة موسى لمضيّ أربعمأة وخمس وعشرين من مَولد إبراهيم (ع).

والظاهر أنّ إسماعيلَ أكبر سنّاً وأعظمُ منزلةً من إسحق، كما أشرنا إليه في كلمتي ـ إسحق ـ إسماعيل، فراجعهما، ويدلّ عليه تقدّم ذكر إسماعيل في الآيات الكريمة على إسحق:

الحمدُ للهِ الَّذي وَهَبَ لي عَلى الكِبَرِ إسماعيلَ وإسحٰقَ، وأوحَينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحٰق.

وإسحقُ هو جدّ الأسباط من بني إسرائيل، وإسرائيلُ هو يعقوب ولَدُه، كما أنّ إسماعيل هو جدّ العرب وقريش.

وقلنا إن إسحق نزل وسكن ودفن في أرض كنعان وفلسطين، كما أنّ إسماعيل مع أُمّه سكن ودفن في الحجاز في جنب البيت.

وكَنعان يطلق على الجهة الغربيّة من الشام قريبة من فلسطين، وهي مسكن بني كَنعان من أولاد كنعان بن حام بن نوح، ومقبرة إبراهيم الخليل واقعة في تلك الأراضي، مشهورة ببلدة إبراهيم الخليل.

ثمّ إنّه قد يذكر في الآيات الكريمة إسماعيلُ فقط، كما في: وإذ يَرفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البَيت وإسماعيلُ ـ فإنّ إسحقَ لم يكن حاضراً في الحجاز.

وقد يذكر إسحقُ من دون إسماعيلَ: كما في: وبَشَّرناهُ بإسحٰقَ، وامرأتُه قائمة فضحِكَت فَبَشَّرناها بإسحٰق ـ حيث إنّ الدعوة من سارة أُمِّ إسحق.

وكما في: وَوَهَبْنا لَهُ إسحٰق ويَعقوب نافلةً ـ أي في نتيجة دعوتهم، ولأنّ المقام في بيان ما يرتبط بقوم إبراهيم من سكنة كَنعان وبني إسرائيل.

وأمّا مادّة السَّحْق: فالأصل الواحد فيها هو إخراج الشيء عن حالته وجريانه الطبيعيّ، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات والموارد، ففي كلّ شيء بحسبه.

يقال: أسحقَه أي أبعده عن الجريان وأخرجه. وأسحقَ الثوب أي استعمله حتى أخرجه عن الجريان والحالة المطلوبة. وأسحقَ الضرعَ: إذا أخرجه عن الحالة المعمولة الجارية بذهاب اللّبن. ويقال: أسحَقَ أي بلِيَ وانضمر.

فهذه القيود ملحوظة في موارد استعمال المادّة.

فاعتَرَفوا بذَنبِهم فسُحقاً لأصحابِ السَّعير ـ ٦٧ / ١١.

فَتَخَطَّفُهُ الطَّيرَ أو تَهْوي به الرِّيحُ في مكانٍ سَحيقٍ ـ ٢٢ / ٣١.

أي خروجاً لهم عن الجريان الطبيعيّ وعن مجرى الخلقة بالمحروميّة عن الرحمة والفيض والجود.

وَمَن يُشرِك فكَأَنَّما تَهوي بِهِ الرّيحُ في مَكانٍ سَحيق.

أي من كان غافلاً عن الله عزّ وجلّ وعن إحاطة قدرته ونفوذه وحكمه، فهو ساقط عن مقام الحقّ ومنحطّ عن مرتبة سنيّة إلى مكان خارج عن مجرى الفيض والرحمة.

فظهر الفرق بين هذا المفهوم ومفهوم البُعد والبِلى، وظهر لطف التعبير بها.

ولا يخفى أنّ السُحق: هو البعد الشديد، والغالب فيه هو البعد من جهة المعنى، فإنّ البعد الظاهريّ لا ينافي القرب معنىً، وهذا بخلاف ما إذا كان خارجاً عن المجرى الطبيعي، وهو مجرى اللطف والرحمة والفضل.

وهذا الأصل الواحد في المادّة يناسب كلمة إسحق أيضاً: حيث إنّ تولّده خارج عن المجرى الطبيعيّ، بلحاظ كبر السنّ في أُمّه.

فتكون الصيغة من مزيد الثلاثيّ في الإسم.

* * *

سحل:

مصبا ـ السحل: الثوب الأبيض، والجمع سُحُل مثل رَهْن ورُهُن. وربّما جُمع على سُحول. وسَحول: بلدة باليمن يجلب منها الثياب وينسب إليها على لفظها. والساحل: شاطئ البحر.

مقا ـ سحل: أصول ثلاثة، أحدها ـ كشط شيء عن شيء، والآخر ـ من الصوت. والآخر ـ تسهيل شيء وتعجيله. فالأوّل ـ قولهم سحلَت الرياحُ الأرضَ: إذا كشطَتْ عنها أدَمتَها. قال ابن دُريد وغيره: ساحل البحر مقلوب في اللفظ، وهو في المعنى مَسحول، لأنّ الماء سحله. وأصل ذلك قولهم ـ سَحَلتُ الحديدةَ أسحلُها، وذلك إذا بردتَها، ويقال للبُرادة السُّحالة. والسَّحْل: الثّوب الأبيض، كأنّه قد سُحِلَ من وَسَخه ودَرَنه سَحْلاً، وجمعهُ السُّحُل. والأصل الثاني ـ السَحيل: نُهاق الحمار، وكذلك السُحال، ولذلك يُسمّى الحمار مِسحَلاً، ومن الباب ـ المِسحَل للسان الخطيب، والرجل الخطيب. والأصل الثالث ـ قولهم ـ سحلَه مائةً، إذا عجّلَ له نقدها، ويستعار هذا فيقال سَحَلَه مائةً، إذا ضربه مائة عاجلاً. ومن الباب السَّحيل: الخيط الّذي فُتِل رِخواً، وخلافه المبرَم والبَريم.

الاشتقاق ٥٣٥ ـ السَّحول: من السَّحْل، والسَّحْل: الثوب الأبيض، أو يكون اشتقاقه من سحلتُ الشيءَ أسحَلُه سَحْلاً، إذا قشرته أو بردته بمبرد، والمِسحل بلغتهم

المِبرد. والمِسحلانِ: حديدَتا اللجام اللّتان تكتنفانِ الحَنك. والسَّحل: الفَتل الرِّخـو، خَيْطٌ سَحْيل ومَسْحول. والسَّحيل: ضدّ المُبرَم. وسُحالة الأُرُز: ما قُشِر عنه. وسمّي ساحل البحر لأنّ الماء يقشِره. وحمار مِسْحِل من السَّحيل وهو نُهاق غليظ يُردِّده في لَهَواته.

التهذيب ٤ / ٣٠٥ ـ قال اللّيث: السَّحيل والجمع السُّحُل: ثوب لا يُبرَم غزله أي لا يُفتل طاقين طاقين. وعن أبي عمرو: السَّحل ثوب أبيض من قطن، وجمـعه سُحُل. والمِسحل: من أسماء اللسان. والمِسحل من الرجال الخطيب، والمِسحل: المِبرد، والمِسحل: المطر الجَوْد، والمِسحل: الجلّاد الّذي يُقيم الحدود، والمِسحل: الميزاب الّذي لا يطاق ماؤه، والمِسحل: الغُرم الصارم. وقال الليث: السَّحْل نحتك الخشبة بالمِسحل وهو المِبرد، وسَحَله بلسانه إذا شتمه، والرياح تَسْحل الأرض سَحلاً إذا كشطت عنها أدَمَتها، قال: والسَّحْل: الضرب بالسِّياط يكشِط الجلدَ. والساحِل: شاطئ البـحر، وقال غيره: سمِّي ساحِلاً، لأنّ الماء يَسْحله أي يقشره إذا علاه، فهو فـاعل مـعناه مفعول، وحقيقته أنّه ذو ساحل من الماء إذا ارتفع المدّ ثمّ جزر فجرف ما مرّ عليه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الكَشط والنزع في ظاهر شيء، مادّياً أو معنويّاً في حال أو كيفيّة.

يقال ـ سحل الأرضَ والخشـبةَ، وسحله بالسـوط، وسحله بلسانه، وبهـذا الاعتبار يطلق على اللسان الحديد، والغُرم القاطع، والميزاب إذا اشتدّ جريان مائه، والجلّاد الّذي يقيم الحدود، والمطر الغزير، فيقال في كلّ منها إنّه مِسحل أي وسيلة للكشط والنزع.

فلابدّ من لحاظ هذا القيد في كلّ من مصاديق الأصل.

وأمّا الساحل: فمعناه الحقيقيّ هو الأمواج المتحرّكة الشديدة الّتي تتعدى وتتحرّك في سطح ماء البحر، وتكشِط من الشاطئ. وإطلاقه على الشاطئ مجاز باعتبار انتهاء الساحل ومروره عليه.

وَلَقَد مَنَنّا عَلَيك مَرَّةً أُخرى إذْ أوحَيْنا إلى أُمِّكَ ما يُوحىٰ أنِ اقذِفيه في التّابوت فاقذِفيه في اليمّ فليُلقِهِ اليمُّ بالسّاحل يأخُذْه عَدُوٌّ لي وعَدُوٌّ لَهُ - ٢٠ / ٣٩.

فيوحي الله تعالى إلى أُمّ موسى أن تُلقيَه في تابوت، ثمّ يُلق التابوت في البحر، وأُمر البحر بأن يُلقيه ويُسلّمه بالساحل، حتّى يُجعل تحت اختيار الساحل وفي محدودة جريانه، فيسوقه إلى ما يشاء الله تعالى.

ولا يصحّ التفسير بالشاطئ: فأوّلاً ـ إنّه خلاف حقيقة مفهوم اللفظ.

وثانياً ـ إنّ البحر لا يُلقي بالشاطئ بل المُلقي هو الساحل.

وثالثاً ـ إنّ التعبير بالأخذ قرينة على كون التابوت في الساحل لا على الشاطئ.

ورابعاً ـ إنّ خَدَمة فرعون أخذوا التابوت من الماء لا من الشاطئ.

وهذا المورد من الموارد الّتي اشتبه المعنى الأصيل على المفسّرين، وأخذوا المفهوم المجازيّ المستعمل فيه عرفاً من دون تحقيق، واتّبع كلّ متأخّر عمّا في كتب الماضين تقليداً، وكم له من نظير.

* * *

سخر:

مقا ـ سخر: أصل مطَّرِد مستقيم يدلّ على احتقار واستذلال. من ذلك قولنا سخَّر الله عزّ وجلّ الشيءَ، وذلك إذا ذَلَّله لأمره وإرادته. ويقال رجل سُخْرة: يُسخَّر

في العمل، وسُخْرة أيضاً إذا كان يُسخَر منه، فإن كان هو يَفعل ذلك قلتَ: سُخَرَة بفتح الخاء والراء. ويقال سُفُنٌ سَواخِرُ مَواخِر: فالسواخِر المُطيعة الطيّبة الريح، والمَواخر الّتي تَمخر الماء تشقّه. ومن الباب ـ سَخِرتُ منه، إذا هزئتَ به، ولا يزالون يقولون سخِرتُ به، وفي كتاب الله تعالى: فانّا نَسخرُ مِنكُم كَما تَسْخَرون.

مصبا ـ سخِرتُ منه وبه، قال الأزهريّ: سَخَراً من باب تَعِب: هـزِئت بـه. والسِّخريّ: إسم منه. والسُّخريّ لغة. والسُّخرة: ما سَخَرتَ من خادم أو دابّة بلا أجر ولا ثمن، والسُّخرِيّ بمعناه. وسَخَّرته في العمل: استعملته مجّاناً، وسخّر الله الإبلَ: ذلّلها وسهّلها.

لسا ـ سخِر منه وبه سَخْراً وسَخَراً ومَسْخَراً وسُخراً وسُخرة وسِخريّاً وسُخرِيّاً وسُخريّةً: هزِئ به. الفرّاء: يقال سخِرتُ منه ولا يقال سخِرتَ به. وسَخَّره تسخيراً: كلّفه عملاً بلا أُجرة، وكذلك تسخّره، وسِخرِيّاً وسُخريّاً وسَخَرة: كلّفه ما لا يريد وقهره.

الفروق ٢١١ ـ الفرق بين الاستهزاء والسُّخريّة: أنّ الإنسان يُستَهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يُستَهزأ به من أجله. والسَّخر يدلّ على فعل يسبق من المسخور منه، وذلك أنّك تقول استهزأتُ به فتعدّي الفعل منك بالباء، والباء للإلصاق، كأنّك ألصقت به إستهزاءً من غير أن يدلّ على شيء وقع الاستهزاء من أجله. وتقول سخرت منه، فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، كما تقول تعجّبت منه، فيدلّ ذلك على فعل وقع التعجّب من أجله. ويجوز أن يقال: أصل سخرت منه التسخير وهو تذليل الشيء وجعلك إيّاه منقاداً، فكأنّك إذا سخرتَ منه جعلته كالمنقاد لك ودخلت من للتبعيض، لأنّك لم تسخَره كما تُسخَر الدابّة وغيرها، وإنّما خدعته عن بعض عقله، وبني الفعل منه على فعلت، لأنّه بمعنى عنَيْت، وهو أيضاً كالمطاوعة.

والمصدر السُّخريّة كأنّها منسوبة إلى السُّخرة مثل العبوديّة. وأمّا قوله تعالى: لِيَتَّخِذَ بعضُهُم بَعضاً سُخريّاً ـ فإنّما هو بعث الشيء المسخّر، ولو وضع المصدر جاز. والهزء يجري مجرى العبث، ولهذا جاز هزأت مثل عبثت، فلا يقتضي معنى التسخير. فالفرق بينهما بيّن.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحكم والتقدير مع القهر تكويناً أو تشريعاً، يقال سخّر الله الشّمسَ والقمر والسّماءَ والأرضَ، إذا جعلها تحت حكمه وقهرَها بتقديره تكويناً. ومن لوازم هذا المعنى الإطاعة، والاستذلال تحت الأمر، والإرادة والتكليف بما يريده، والاستعمال مجّاناً وبلا أُجرة.

وصيغة التفعيل تدلّ على المبالغة ويلاحظ فيها جهة تعلّق الفعل إلى المفعول به، أي يكون النظر فيها إلى جهة الوقوع لا الصدور.

وأمّا صيغة المجرّد من المادّة: فهي تدلّ على مطلق الحكم قولاً أو عملاً بالقهر ظاهريّ أو معنويّ. فيقال: سَخِرَ يَسْخر سَخْراً وسُخراً وسُخريّاً، وسخِر منه يسخَر منه واستسخر فهو ساخِر ومُستسخِر.

والاستعمال بكلمة ـ مِن: يدلّ على أنّ الحكم والقول في حال أو صفة أو خصوصيّة أو عمل من المتعلَّق، لا في مطلق مفهومه.

فظهر أنّ حقيقة المادّة غير مطلق القهر أو التكليف أو التذليل أو الهزء أو غيرها، ولابدّ من ملاحظة القيود.

فَيَسْخَرون مِنهُم سخِر اللهُ مِنهُم ـ ٩ / ٧٩.

وكُلَّما مَرَّ عَلَيه مَلأ مِن قَومه سَخِروا مِنه ـ ١١ / ٣٨.

قالَ إن تَسْخَروا مِنّا فإنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرون ـ ١١ / ٣٨.

ويَسْخَرون مِن الَّذينَ آمَنوا ـ ٢ / ٢١٢.

فَحاقَ بالَّذينَ سَخِروا مِنهُم ما كانوا به يَسْتَهزِؤون ـ ٦ / ١٠.

فيراد الحكم والقول والانتقاد ممّا يتعلّق بهم وفي نوع من حالاتهم وأعمالهم خلاف ما كانوا عليه، وبالقهر والتحميل.

وهذا المعنى أعمّ من الهزء والانتقاد والتعييب والتذليل والقهر والتكليف، والمراد مطلق الحكم والقول فيهم بأيّ جهة وبأيّ منظور، بل لو كان بدون نظر، كما أنّ بعض أفراد الناس من عادتهم القول والتكلّم لغواً.

وإذا رَأوا آيَةً يَسْتَسْخِرون ـ ٣٧ / ١٤.

أي يطلبون من أنفسهم أن يقولوا في تلك الآية ما يوافق تمايلهم ويضعّفوها. فكأنّ من شأنه ومن أهم وظائفه أن يسخر ممّا يرى من آيات الله تعالى، وهو يعترف في الآخرة بقوله: وإن كُنتُ لَمِنَ السّاخِرين.

وَرَفَعنا بَعضَهُم فَوقَ بَعض دَرَجاتٍ ليَتَّخِذَ بَعضُهُم بَعْضاً سُخريّاً ـ ٤٣ / ٣٢.

أي منسوباً إلى السُّخر، بأن يكون مورداً ومتعلَّقاً به، فيَحكم فيه ويَستعمل ويَتَّخذه أجيراً وعاملاً على تقدير ومقاولة. ولا يبعد أن يكون السُّخريّ منسوباً إلى السُّخرة على فُعلَة بمعنى ما يُسخَر به، ويحذف التاء في النسبة.

فاتَّخذتموهُم سِخريّاً حتّى أنسَوْكُم ذِكري ـ ٢٣ / ١١٠.

أتّخذناهُم سِخريّاً أم زاغَتْ عَنهُم الأبصار ـ ٣٨ / ٦٣.

والكلمة منسوبة إلى السِّخرة على فِعلة وهو يدلّ على نوع من السَّخر، وذلك في مورد التحقير والاستهزاء.

فظهر أنّ الكلمتين ليستا من صيغ المصادر، بل من الصيغ المنسوبة.

وسَخَّرَ الشَّمسَ والقمَر، وسَخَّرَ لَكُم الفُلكَ، وسَخَّرَ لَكُم الأَنهارَ، وسَخَّرَ لَكُم اللّيْلَ والنَّهار، وهوَ الَّذي سَخَّرَ البَحرَ، إنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما في الأَرض، إنَّ الله سَخَّرَ لَكُم ما في السَّماوات والأَرْض، وسَخَّرْنا مَعَ داودَ الجبالَ، إنّا سَخَّرنا الجِبالَ مَعَه يُسَبِّحنَ، فَسَخَّرنا لَهُ الرِّيحَ.

يراد الحكم والتقدير في شيء مع قهر تكويناً.

ومن آثار هذا المعنى: الطاعة والمحكوميّة الصرفة تحت الإرادة والأمر.

ولا يخفى أنّ هذا التسخير والتسخّر: من آيات النظم في الخلقة، ومن دلائل كمال القدرة والعلم والحكمة في العالم.

والنجومُ مسخَّراتٌ بأمره إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلون - ١٦ / ١٢.

وأيضاً إنّ هذا التسخّر في مجموعة العالم الكبير، من الأرض والجبال والريح وما في الأرض والسماء والنجوم والشمس والقمر: من آيات توحيد إرادة الله، وتوحيد سلطانه ونفوذه، وتوحيد حكمه وتقديره - وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ كُلٌّ يَجري لأَجَلٍ مُسَمّىً ذلِكَ اللهُ ربّكُم.

* * *

سخط:

مصبا - سَخِط سَخَطاً من باب تَعِب، والسُّخط إسم منه: وهو الغضب. ويتعدّى بنفسه وبالحرف: فيقال سَخِطته وسَخِطت عليه وأسخَطْته فَسخِط، مثل أغضبته

فغضب وزناً ومعنىً.

صحا ـ السَّخَط والسُّخط: خـلاف الرِّضى، وقـد سَـخِط أي غـضِب، فـهو ساخِط، وأسخَطه أي أغضَبه، ويقال تسخّطَ عطاءَه أي استَقلّه ولم يقع منه مَوقِعاً.

الفروق ١٠٠ ـ الفرق بين الإرادة والرِّضـا: أنّ إرادة الطّـاعة تكـون قـبلها، والرِّضا بها يكون بعـدها أو معها. والرِّضا أيضاً نقيض السَّخَط، والسَّخَط مـن الله تعالى إرادة العقاب.

ص ١٠٦ ـ والفرق بين الغضب والسخَط: أنّ الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير. والسخَط لا يكون إلّا من الكبير على الصغير، ولا يقال سخِط الحاجب على الأمير. والسخَط إذا عدّيته بنفسه فهو خلاف الرضا، يقال رضيه وسخطه. وإذا عدّيته بعَلىٰ فهو بمعنى الغضب، تقول سخِط الله عـليه إذا أراد عقابه.

❋ ❋ ❋

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الرضا، كما أنّ الغضب ما يقابل الرحمة، والكراهة ما يقابل الحبّ ـ قال تعالى: اتَّبَعوا ما أسخَطَ اللهَ وكرِهوا رِضوانَه، وعَسى أن تَكرهوا شَـيئاً وهوَ خَيرٌ لَكُم وعَسى أن تُحِبُّوا شَـيئاً وهوَ شَرٌّ لَكُم. وقال (ص): سبقَتْ رحمتُه غضبَه.

فيمكن أن توجـد الكراهة من دون أن يتحقّق الغضب أو السـخط، كـما أنّ الغضب قد يوجد من دون تحقّق السخط.

فالسخَط يلازم الكراهة والغضب مع فقدان الرضا، أي ما هو يقابل الرضا.

وأمّا مفهوم إرادة العـقاب: فهو مرتبة شديدة من السخط وتُكشَف بالقرائـن اللفظيّة، كاستعماله بعَلى الدالّ على الاستعلاء.

وبهذا يظهر أنّ السخط من الصغير يوجَد مفهوماً، لا مصداقاً وفي الخارج، فإنّ سخطه على الكبير لا يوجَد له أثر في الخارج، كما في قوله تعالى: ومِنهُم مَن يَلمِزُك في الصَّدَقاتِ فإن أُعطُوا مِنها رَضُوا وإن لَم يُعطَوْا مِنها إذا هُم يَسْخَطون وَلَو أَنَّهُـم رَضوا ـ ٩ / ٥٨.

فأطلق السخط من رجل منافق بالنسبة إلى رسول الله (ص) في قسمة الغنائم.

ذلكَ بأنَّهُم اتَّبعُوا ما أسخَطَ اللهَ وكرِهوا رِضوانَه ـ ٤٧ / ٢٨.

أَفَمَن اتَّبعَ رِضوانَ الله كَمَنْ باءَ بسَخَطٍ مِنَ الله ـ ٣ / ١٦٢.

فإذا اعتقدنا بأنّ مبدأ العالم هو الله تعالى وأن تقديره وتدبيره ونظمـه وجميع أموره بيده وتحت مشيّته وإرادته وعلى وفق علمه وحكمته: فلا يتصوّر جهل وضلال أشدّ من اتّباع طريق يُسخط الله عزّ وجلّ ويخالف رضوانه، ويوجب قـطع الخـير والرحمة منه تعالى ـ كما قال:

لَبِئسَ ما قدَّمَتْ لَهُم أنفُسُهم أن سَخِطَ اللهُ عَلَيهم ـ ٥ / ٨٠ .

مضافاً إلى أنّ جريان نظام العالم لابدّ وأن يكون على وفق ميله وإرادته ومحبّته ورضاه: فالسلوك على خلاف رضاه سلوك على خلاف مَسير النظام في العالَم، ولابدّ من سقوطه ومحكوميّته وخسرانه.

يَهدِي بِه اللهُ مَن اتَّبعَ رِضوانَه سُبُلَ السَّلام .

* * *

سدّ:

مقا ـ سدّ: أصل واحد وهو يدلّ على رَدْم شيء وملاءمته، من ذلك سَدَدْتُ الثُّلمة سَدّاً، وكلّ حاجز بين الشيئين سَدّ، ومن ذلك السَّديد، ذو السَّداد، أي الإستقامة، كأنّه لا ثُلمة فيه، والصواب أيضاً سَدادٌ، يقال: قلتَ سَداداً، وسَدّده الله عزّ وجلّ. ويقال أسدَّ الرجلُ إذا قال السَّدادَ. ومن الباب فيه سِدادٌ مِن عَوَز (الفقر والحاجة)، وكذلك سِداد الثُّلمة والثَّغْر. والسُّدّة كالفِناء حول البيت. واستَدّ الشيء إذا كان ذا سَداد.

مصبا ـ سدَدْتُ الثُّلمة ونحوها سَدّاً من باب قتل، ومنه قيل: سددتُ عليه بابَ الكلام سَدّاً أيضاً إذا منعته منه. والسِّداد: ما تُسَدّ به القارورة وغيرها، وسِداد الثَّغر من ذلك، واختلفوا في سداد من عيش، وسداد من عَوَز: بالفتح أو الكسر. والسَّداد: الصواب من القول والفعل. وأسدّ الرجُل: جاء بالسداد. وسدَّ يَسِدّ سُدوداً: أصاب في قوله وفعله، فهو سَديد. والسُّدّ: بناء يجعل في وجه الماء، والجمع أسداد. والسُّدّ: الحاجز بين الشيئين، بالضمّ فيهما، والفتح لغة. وقيل المضموم ما كان من خلق الله كالجبل، والمفتوح ما كان من عمل بني آدم، والسُّدّة: الباب وينسب إليها على اللفظ فيقال السُّدّى.

الجمهرة ١ / ٧٢ ـ سَدّ يَسُدّ سَدّاً، والإسم السُّدّ، وقد قرئ ـ على أن يجعلَ بيننا وبينهم سُدّاً. والسُّدّ: الجراد يَملأ الأُفق. والسُّدّ: السحاب الّذي يَسدّ الأُفق. والسُّدّة: ظُلّة على باب وما أشبهه لِتَقِيَ الباب من المطر. وأمر سديد وأسدُّ أي قاصد.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحَجز مع الاستحكام وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات، ففي كلّ شيء بحسبه.

فالسَّدّ في المـاء، والسَّدّ في البرّ، والسدّ في القول، والسدّ في العمل: والسدّ في البيــت، والسدّ من الجراد أو السحاب أو غيرهما: ففي كلّ منها لا بـدّ من ملاحظـة القيدين، بأن يكون متقناً ومستحكماً في نفسه مع الحـاجزيّة.

فالسديد من القول: ما كان متقَناً حقّاً مانعاً عن التشابه. وفي العمل: أن يكون صحيحاً وحقّاً لا يطرؤه باطل. والسدّ من الســحاب أو الجراد: ما يكون على كثرة ووفور بحيث يمنع عن رؤية ما فوقه. والسدّ للبيت هو الباب، وللباب هو السُّدّة وفناء الدار. وهكذا.

فمفاهيم الاستقامة والقصد والصواب والردم والملاءمة ونظائرها: إنّما هي من آثار الأصل في المادّة.

يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وقولوا قَولاً سَديداً ـ ٣٣ / ٧١.

ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافوا عَلَيهِم فليتَّقُوا اللهَ وليَقولوا قَولاً سَديداً ـ ٤ / ١٠.

أي ليقولوا في خطاباتهم قولاً على مباني صحيحة وأصول معقولة ليّناً معتدلاً محفوظاً عن التشابه حاجزاً عن سوء الاستفادة والاستناد.

لَقَد حقَّ القَولُ عَلى أكثرهم فهُم لا يُؤمِنون ... وجَعَلنا مِن بَينِ أيديهِم سَدّاً ومِن خَلفِهِم سَدّاً فأغشَيناهُم فَهُم لا يُبصِرون ـ ٣٦ / ٩.

هذا سدّ معنويّ يتولّد من الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة والأخلاق السيّئة

والعلائق المادّية والأعمال الفاسدة، فيكون حاجزاً بين الإنسان وبين قلبه وبصيرته، ويعبّر عنه بالحُجُب الظلمانيّة.

وتولّد هذه الحجب الباطنيّة أمر طبيعيّ منبعث عن سوء اختيارات العبد، إلّا أنّ كلّ ما يجري في الطبيعة وما فوقها: إنّما هو تحت تسبيب الله وتقديره ونظره وحكمته وأمره، فهي منتسبة إلى الله تعالى بهذه الحيثيّة.

حَتّى إذا بَلَغ بينَ السَّدَّين وَجَد مِن دُونِهما قَوماً لا يَكادُونَ يَفقَهونَ قَولاً، قالوا يا ذا القرنَيْنِ إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفسِدونَ في الأَرضِ فَهَل نَجْعَلْ لَكَ خرجاً عَلى أن تَجعَلَ بَيْنَنا وبَينَهُم سَدّاً ـ ١٨ / ٩٤.

قلنا في ـ ردم: إنّ ذا القرنين كان من ملوك التبابعة اليمنيّين (ذَوى)، سار إلى أن وصل مملكة الصين في شرق آسيا.

والظاهر أنّ هذا البناء كان قبل الميلاد، وابتداء البناء من ذي القرنين، ثمّ أكمله ـ جين شيهوا نغتى ـ واشتغل فيه ملايين من أهالي الصين، في عشر سنوات، وكان ذلك الملك في حدود سنة / ٨٠٠ قبل الهجرة.

وهذا السدّ موجود الآن في جهة الشمال من الصين، طوله قريب من أربعة آلاف كيلومتر ـ فليراجع إلى الكتب المعتمدة.

ويقال في وصف هذا السدّ وفي صفات الأهالي وفي يأجوج ومأجوج أقوال وكلمات ضعيفة لا مستند فيها. ـ راجع القرن.

* * *

سدر:

مصبا ـ السِّدرة: شجرة النَّبق، والجمع سِدَر، ثمّ يجمع على سِدَرات فهو جمع

الجمع، وتجمع السِدرة أيضاً على سِدرات بالسكون حملاً على لفظ الواحد.

مقا ـ سدر: أصل واحد يدلّ على شبه الحيرة واضطراب الرأي، يقولون: السادر المتحيّر، ويقولون سَدِر بصرُه يَسدَر، وذلك إذا اسمدّ وتحيَّر. ويقولون: السادر هو الّذي لا يُبالي ما صنع ولا يهتمّ بشيء. فأمّا قولهم سَدَرت المرأة شَعرَها، من باب الإبدال (من السدل).

أسا ـ سَدِر بصره واسمدرّ: إذا تحيّر فلم يُحسن الإدراك، وفي بصره سَدَر وسَمادير، وعينه سِدرة، وإنّه لَسادِر في الغيّ: تائـهٌ، وتكلّم سادراً: غير متثبّت في كلامه.

صحا ـ السِّدر: شجرة النَّبْق، الواحدة سِدرة، والجمع سِدْرات وسِدِرات وسِدَرات وسِدَر. والسَّدير: نهر، ويقال قصر وهو معرّب، والسادِر: المتحيّر، والسادر: المتحيِّر الّذي لا يهتمّ ولا يُبالي ما صنع. والسَّدَر تحيّر البصر، يقال سَدِر البعير يَسْدَر سَدَراً وسدارة: تحيّر من شدّة الحرّ، فهو سَدِرٌ، وسَدِرٌ أيضاً إسم من أسماء البحر. والسَّنْدرة: يقال هو مِكيال ضخم. وسدرت المرأة شَعرها فانسدَر: لغة في سَدلته فانسدَل. وانسدَر فلان يعْدو: يسرع بعض الإسراع. والسَّمادير: ضعف البصر عند السُّكر، والميم زائدة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو حصول حالة الحيرة بنفسها من دون مقدّمة وسبب اختياريّ.

وسبق في الحيرة إنّها تكون ملحوظة أوّلاً في القلب ثمّ يظهر أثرها في الجوارح،

وهي إنّما تحصل في نتيجة الشكّ والضلال.

فالنظر في الحيرة إلى كونها مذمومة في أثر ضلال وانحراف. وفي السدرة إلى تحقّق هذه الحالة من دون اختيار، فليس فيها مدح ولا ذمّ في نفسها.

فيقال سَدِر بصرُه، وهو سادرٌ لا يدري ما يصنع.

وهذا المعنى أنسب في المراحل الروحانيّة والمعنويّة، كما في مقامات السُّكر والهَيَمان والصَّحو من مراحل السلوك.

فالسدر في المراحل الباطنيّة: عبارة عن حصول حالة الهَيَمان للسالك في أثـر الاستغراق في جاذبة النور واللطف والجمال.

ثمّ إنّ لهذه الحقيقة مراتب:

فأوّل مرتبة منها: إنّما تظهر بعد الموت عن المادّة اختياراً وهو الموت الأكبر، حيث يتوجّه بعد إلى عالم الملكوت والنورانيّة والصفا، ويسلك في مسير الروحانيّة.

والمرتبة الثانية منها: إنّما تتجلّى بعد الموت الأعظم وهو المـوت عـن النـفس والأنانيّة، حيث يتوجّه بعدُ إلى الله العزيز خالصاً ويستغرق في نور الجمال والجلال، ويحصل له مقام الهيمان والسدر.

والمرتبة الثالثة: السِّدرة النهائيّة، وذلك إذا انتهى إلى المُنتهىٰ.

وَلَقَد رَآه نَزْلَةً أُخرَى عِندَ سِدرَةِ المُنتَهىٰ عِندَها جَنَّةُ المأوىٰ إذ يَغشَى السِّدرَةَ ما يَغشىٰ ـ ٥٣ / ١٤.

أي عند نزولٍ وتحقّق عند مقام هيَمان وصَحو مخصوص لمنتهى السلوك ومنتهى سير العبيد ـ هو المَبدأُ والمُنتَهىٰ ـ وهناك الجنّـة الّتي في مقام المأوى المطلق للناس ـ وإليه المَرْجع والمآب ـ وهي الجنّة الّتي لا جنّة فوقها، ويَغشى تلك السدرةَ ما يغشاها

من أنوار الجمال والجلال والعظمة، والواصل إلى ذلك المقام المنتهي إليه هو في حال السِّدرة، والمستغرِقُ في النور والبهاء اللّاهوتيّ.

فالسالك إذا وصل إلى هذا المقام: غفل عن نفسه ونسي وجودَه واضمحلّ تحت بارقة جلال الله المتعال وسدرت عينه بمشاهدة نور الجمال، وصار حيران في سُكر وصَحو وهيَمان.

والمرتبة الثانيــة والأُولى من السدرة: إنّما تظهر بالموت عن الطبيعة والإدبـار عن المادّة والإقبال إلى الله عزّ وجلّ، وكلّما ازداد الإقبال والتوجّه واشتدّ الارتـباط والاخلاص: إزدادت الحيرة والسدرة.

والسِّدرة فِعلة تدل على نوع من السَّدَرَ، وهو السَّدَر في المقام الروحانيّ.

وأصحابُ اليَمين ما أصحابُ اليَمين في سِدرٍ مَخضود ـ ٥٦ / ٢٨.

وينبغي التنبيه هنا على أمور:

١ ـ امتياز أصحاب اليمين من أصحاب الشمال إنّما يتحقّق بعد الموت عن عالم الطبيعة طبيعيّاً أو اختياريّاً، فما لم يتجاوز عن هذا العـالم لا يتحصّل بينهما افـتراق، لاشتراكهما في التعيّش المادّيّ.

٢ ـ إذا انقَضت الحياةُ الدنيـويّة، وظهرت الحياة الأُخرويّة: كان الناس على صنفين، إمّا مبتهجة بعالم الآخرة، ونفسه متلائمة بما فيها: فهو من أصحاب اليمين. وإمّا غير متلائمـة لـما اجترحت من سـيّئات الأعمال واتصفت برذائل الصفات وتـعلّقت بعلائق مادّيّة: فهو من أصحاب الشمال. فإنّ تلك الحياة ميمونة على الفـرقة الأُولى دون الثانية.

٣ ـ الالتذاذات والتغذّي في عالم الآخرة مغايرة لما في الحياة الدنيا: لموت البدن

وقواه وحواسِّه وجهازاته وجوارحه، فإنّ حاسّة البصر إذا افتقدت لا يمكن للإنسان الإبصار. وجهاز الهضم إذا مات لا يمكن له التغذّي. والبدن إذا انقطع عن النفس كيف يصحّ جريان أموره وقواه. فالالتذاذات في عالم الآخرة تغاير الحياة الدنيا، وكذلك القوى المدرِكة وسائر أمورها.

٤ ـ البحث عن خصوصيّات عالم الآخرة: غير صحيح، لأنّها لا تدرك بهذه الحواسّ الطبيعيّة الجسمانيّة الجسدانيّة، نعم يُدرَك منها أمور كليّة بالتعقّل السالم والبصيرة الصافية والقوى الروحانيّة.

٥ ـ ولا يُتوهّم من أمثال هذه المباحث: بأنّا ننكر المعاد الجسمانيّ، فإنّه أمر اعتقاديّ تعبّديّ خارج عن البحث، وخصوصيّاته غير مدركة لنا بهذه القوى والحواسّ المحدودة. مع أنّ اعتقادنا بلزوم المعاد الجسمانيّ لا الجسدانيّ المادّيّ، ومن المسلّم انتفاء العالم المادّي وما يتعلّق بالجسد، فإنّ الجسم له مراتب من جهة الكثافة والخشونة واللطافة، وهذا مصرّح به في الروايات.

٦ ـ تفسير السِدر في المورد بالشجرة المسمّاة بالنَّبق: غير مناسب.

فأوّلاً ـ أنّ الأصل في المادّة هو التحيّر والهيَمان، وعنوان شجرة النبق (مأخوذ من) العبريّة.

وثانياً ـ أنّ السكنى أو الاستراحة تحت هذه الشجرة ليس لها امتياز وتفوّق زائد، حتّى يختص بأصحاب اليمين.

وثالثاً ـ أنّ البدن المادّيّ وقواه إذا مات بالانتقال إلى عالم الآخرة فلا يبقى له التذاذ بالأُمور المادّيّة، ولايحتاج إلى أمور يحتاج إليها البدن الجسدانيّ، من الاستراحة والاستظلال ومشاهدة الطراوة والالتذاذ باللذائذ الطبيعيّة واللطافة.

ورابعاً ـ التعبير بقوله تعالى ـ في سِدر : يُنفي ذلك التفسير، فإنّ كلمة ـ في، تدلّ على الظرفيّة، وهي لا تناسب مفهوم الشجرة، والمناسب حينئذٍ التعبير بجملة ـ تحتَ سِدر.

٧ ـ فيتعيّن أن يكون المراد من السِّدر: هو الحيرة والهيَمان المتحصّل من تحوّل الأحوال وتبدّل العالم والتوجّه إلى عالم الروحانيّة والنور.

٨ ـ وأمّا توصيف السِّدر بالمخضوديّة: فهو إشارة إلى أنّ تلك الحيرة فيها صفاء ولطافة ولينة وانعطاف، وليس فيها ما يزاحم ويؤذي كالشوك، كما في سائر أنـواع التحيّر المادّيّ.

٩ ـ ومع هذه الوجوه: فهذا المقام يناسب شجرة السِّدر والاستفادة منها، من جهة كونها شجرة ذات ظلّ وأوراقها مستعملة للتنظيف وتطهير الأوساخ وإزالة الأورام الحارّة والبثور.

وَبَدَّلناهُم بجَنَّتَيْهِم جَنَّتَينِ ذَواتَي أُكُل خَمْط وأثلٍ وشَيءٍ مِن سِدر قَليل ـ ٣٤ / ١٧.

هذه الآية الكريمة ناظرة إلى حديقة مادّيّة دنيويّة لِسَبَأ، فلابدّ من حمل السِّدر على شجرة النَّبق.

❊ ❊ ❊

سدس :

صحا ـ سُدس الشيء وسُدُسه: جزء من ستّة. والسِّدس من الورود في أظماء الإبل: أن ينقطع خمسةً ويَرِدَ السادسَ. وقد أسدَسَ الرجل أي وردت ابلُه سِدساً. وأسدَسَ القوم: صاروا ستّة. وبعضهم يقول للسُّدس سَديس. وسَدَسْت القومَ

أسدُسُهم: إذا أخذتَ سُدسَ أموالهم، وأسدِسُهم: إذا كنت لهم سادساً. والسَّدوس: الطَّيلسان.

مصبا ـ السُّدُس بضمّتين وإسكانُ الدال تخفيف والسَّديس لغة: جزء من ستّة أجزاء، والجمع أسداس. وأسدس البعيرُ: إذا ألق سنَّه بعد الرَّباعِيَة وذلك في الثامنة فهو سَديس. وكانوا خمسة فأسدسَ، أي صاروا بأنفسهم ستّة. والسُّندس: ما رَقَّ من الديباج.

مقا ـ سدس: أصل في العدد، وهو قولهم السُّدُس جزء من ستّة أجزاء. وإزار سَديس أي سُداسيّ. فأمّا السِّتّة: فمن هذا أيضاً، غير أنّها مدغمة، كأنّها سِدسة.

قع ـ (شِش) ستّة.

التهذيب ١٢ / ٢٨٢ ـ قال الليث: السِّتّ والسِّتّة في التأسيس على غير لفظيها، وهما في الأصل السِدس وسِدسة، ولكنّهم أرادوا إدغام الدّال في السّين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليهما كما غلبت الحاء على العين في لغة سعد يقولون: كنتُ مَحُمُّ ـ في معنى معهم، وتصغّر سِتّة سُدَيسة. وعن ابن السِّكّيت: جاء فلان خامساً وخامياً، وجاء فلان سادساً وسادياً، وجاء ساتّاً، وقال: فمن قال سادساً بناه على السِّدس، ومن قال ساتّاً بناه على لفظ سِتّة وسِتّ، والأصل سِدسة، فأدغموا الدال في السين فصارت تاء مشدّدةً، ومن قال سادياً وخامياً أبدل من السين ياءً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو العدد المخصوص، ويشتقّ منها بعض المشتقّات انتزاعاً، كما سبق في أخواتها.

والسُّدُس بضمّتين أو بالتخفيف: صيغة تدلّ على مفعول، أي ما يُسدَسُ، كالخُمُس وما يكون مَخموساً.

ولأبَوَيْه لِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما السُّدُس مِمّا تَرَكَ إن كانَ لَهُ وَلَدٌ ـ ٤ / ١١.

فإن كانَ لَهُ إخوَةٌ فلأُمّه السُّدُس ـ ٤ / ١١.

ولَهُ أخٌ أو أُختٌ فلكُلِّ واحدٍ مِنهُما السُّدُس ـ ٤ / ١٢.

يدلّ على أنّ ميراث الأولاد ضِعف ميراث الأبوين فيقسّم المال على ثلاثة، ثلث للأبوين وثلثين للأولاد.

فليراجع إلى الكتب المبسوطة الفقهيّة.

ويَقولونَ خَمسَةٌ سادِسُهُم كلبُهُم رَجْماً بالغَيب ـ ١٨ / ٢٢.

أي قول بلا مستند ومن دون تحقيق ودليل.

ما يكونُ مِن نَجوى ثَلاثَةٍ إلّا هُوَ رابعُهم وَلا خَمْسَةٍ إلّا هُوَ سادسُهُم ـ ٥٨ / ٧.

فإنّ علومنا مأخوذة بحواسّ وقوى جسمانيّة محدودة بالزمان والمكان وسائر الحدود الإمكانيّة، وأمّا علم الله تعالى: فهو بذاته الأزليّة الواجبة الأبديّة، وهو الحيّ القيّوم المحيط الّذي لا يحجبه زمان ولا مكان ولا حدّ، فهو تعالى قبل العوالم والحدود وفوقها والمحيط بها والقائم على كلّ شيء، وهو تعالى محيط بالأشياء عن أمامها وخلفها ويمينها ويسارها وفوقها وتحتها وظاهرها وباطنها ـ إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليم.

* * *

سدى:

مقا ـ سدو: أصل واحد يدلّ على إهمال وذَهاب على وجه. من ذلك السَّدْو، وهو ركوب الرأس في السير. ومنه ـ أيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُترَك سُدىً ـ أي مُهملاً لا

يُؤمر ولا يُنهى. قال الخليل: زَدْوُ الصِّبيان بالجَوْز إنّما هو السَّدْو، فإن كان صحيحاً فهو من الباب، لأنّه يخلّيه من يده. ومن الباب أسدَى النخلُ إذا استرخَتْ تفاريقه، وذلك يكون كالشيء المخلّى من اليد، والواحدة من ذلك السَّدية. وكان أبو عمرو يقول: هو السَّداء ممدود، الواحدة سَداءة. والسَّدىٰ: النَّدىٰ، يقال سدِيَتْ ليلتُنا إذا كثر نَداها، وهو من ذاك، لأنّ السحاب يُهمله ويُهمل به. ومن الباب السَّدىٰ، وهو ما يُصطَنع من عُرف، يقال أسدى فلان معروفاً، ومن الباب تَسَدّى فلان أمَته إذا أخذها من فوقها، كأنّه رَمى بنفسه عليها.

مصبا ـ السَّدىٰ من الثوب خلاف اللُّحمة، وهو ما يُمدّ طولاً في النسج، والسَّداة أخصّ منه، والتثنية سَديان، والجمع أسداء، وأسديت الثوب: أقمت سَداه. والسَّدى أيضاً: نَدى اللّيل، وبه يعيش الزرع. وسَدِيَت الأرضُ فهي سدية من باب تَعِب: كثر سداها. وسدا الرّجل سدوا من باب قال: مدّ يده نحو الشيء. وسدا البعير سدواً: مدّ يده في السير. وأسديته: تركته سُدىً أي مهمَلاً.

التهذيب ١٣ / ٣٧ ـ قال الليث: السَّدْو، مَدُّ اليد نحوَ الشيء، كما تَسْدو الإبلُ في سيرها بأيديها، وكما يَسْدو الصِبيان إذا لعبوا بالجَوز فرموا بها في الحُفرة. وفلان يَسدو كذا وكذا: أي ينحو نحوه. وقولُ الله تعالى ـ أن يُترَكَ سُدىً . قال المفسِّرون أي يُترك غير مأمور ولا مَنهيّ. قلت: السُّدى المهمل. وعن أبي زيد: أسديت إبلي إسداءً: أهملتُها، والإسم السُّدَى. ويقال: تَسدّى فلان الأمرَ: إذا علاه وقهرَه. وتَسدّى فلان فلاناً: أخذه من فوقه. وتَسدّى الرجل جاريتَه: إذا علاها.

❋ ❋ ❋

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحركة إلى جانب من دون فكر وتدبير

ونظم صحيح، سواء كانت تلك الحركة مهملة بذاتها كما في اللعب بالجوز، أو مهملة بانتفاء القصد الصحيح كما في الحركات المهملة الباطلة لغواً.

من ذلك النَّدى والبلّة النازلة في الليل، فإنّها غير منظّمة كمّاً ولا كيفاً ولا في الجريان. ومن ذلك مشي مخصوص في السير بغير رويّة ويعبّر عنه بقولهم ـ ركب على رأسه أو رأسه. ومن ذلك السَّدى وهو ما يمدّ من خيوط النسج طولاً، فهو في نفسه وقبل اللُّحمة مهمل.

فهذه القيود مأخوذة في المادّة، ولابدّ من ملاحظتها في موارد استعمالاتها، ولا يصحّ إطلاق المادّة في مورد بدون رعاية القيود.

أَيَحْسبُ الإنسانُ أن يُترَكَ سُدىً ـ ٧٥ / ٣٧.

السُّدىٰ أصله سُدْوٌ أو سُدَوٌ، إسم مصدر من السَّدْو، وحال من ضمير الإنسان، وهو في المعنى كالصفة، فيقال: جئت رَكضاً.

ومصدرٌ منكّر حالاً يقعُ بكثرةٍ كبَغْتةً زيدٌ طلَعَ

أي مُباغِتاً.

يُراد إنّ الإنسان لا يُترك وهو على حالة السُّدى، أي أن يتحرّك ويعمل من دون فكر صحيح وتدبّر وتعقّل في أمور حياته ومَبدئه ومنتهاه، وهو لا يدري ما يفعل وماذا يكسب وإلى أيّ مقصد يسير.

ولا يصحّ التفسير بالإهمال:

فأوّلاً ـ أنّه خلاف الأصل في المادّة.

وثانياً ـ أنّ المشتغل بالأُمور الدنيويّة وتدبير جريان حياته الدنيا: لا يقال عرفاً إنّه مهمِل، ولو كان غير متوجّه إلى المبدأ والمعاد.

وثالثاً ـ إنّ المعنى المذكور أدقّ وأشمل للموارد المقصودة كلّها، بل ويشمل كلّ

فرد من مؤمن أو غيره، ليس له في أموره محاسبة ولا مراقبة ولا برنامج صحيح منظّم في سلوكه إلى الله تعالى.

والمراد من تركهم: إدامة تلك الحياة بأن تدوم حياتهم على حالة السُّدى، فإنّهم يعملون في جريان أمرهم على هذا المبنى، وحسابهم (بمعنى الاختبار والدقّة =رسيدگى) هذا باطل: فإنّ أساس وجودهم ليس فيه اقتضاء الدوام، وهو مستحدث من مادّة ضعيفة محدودة، فكيف يجوز لهم الغفلة عن تحوّل حالاتهم ومحدوديّة زمان برنامجهم وانقضائه. وإلى هذا المعنى أشار تعالى بقوله:

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى .

* * *

سرب :

مصبا ـ سَرَب في الأرض سُروباً من باب قعد: ذهب. وسرب المالُ سَرْباً من باب قتل: رعى نهاراً بغير راع، فهو ساربٌ وسَرْبٌ تسمية بالمصدر، ويقال لا أندَهُ سَرْبَك، أي لا أردّ إبلَك بل أتركها تَرعى حيث شاءت، وكانت هذه اللفظة طلاقاً في الجاهليّة. والسَرب أيضاً: الطريق، ومنه يقال خَلِّ سَرْبَه أي طريقه. والسِّرب: النَّفس، وهو واسع السِّرب أي رخيّ البال، ويقال واسع الصّدر بطيء الغضب. والسِّرب: الجماعة من النساء والبقر والشاء والقطا والوحش، والجمع أسراب. والسُّربة: القِطعة من السِّرب، والجمع سُرَب مثل غرفة وغُرَف. والسَّرَب: بيت في الأرض لا مَنفذ له، وهو الوكر. وانسرَبَ الوحشُ في سَرَبه، والجمع أسراب، فإن كان له منفذ إلى موضع آخر فهو النفق. والمَسرُبة: شعر الصّدر يأخذ إلى العانة، والفتح لغة. والمَسرَبة: مَجرى الغائط ومخرجه، سمِّيت بذلك لانسراب الخارج منها. والأُسربّ: الرصاص وهو معرّب عن الأُسرف. والسربال: ما يُلبس من قميص أو درع، والجمع سرابيل.

مقا ـ سرب: أصل مطّرِد وهو يدلّ على الاتّساع والذهاب في الأرض، من ذلك السِّرب والسُّربة وهي القطيع من الظِّباء والشاء، لأنّه ينسرب في الأرض راعياً، ثمّ حمل عليه السِرب من النساء. قالوا: والسَّرب بفتح السين أصله في الإبل، ومنه تقول العرب للمطلَّقة اذهبي فلا أندَهُ سَرْبَك أي لا أردّ إبلك لتذهب حيث شاءت. وقال أبو زيد: يقال خَلِّ سربه أي طريقه يذهب حيث شاء. ومن هذا الباب السَّرَب والسَّرِب وهو الماء السائل من المزادة، وقد سَرِبَ سَرَباً. والسَّرْب: الخَرَز، لأنّ الماء ينسرب منه أي يخرج. والسارِبُ: الذاهب في الأرض، وقد سَرَب سُروباً. والمَسْرَبة: الشعر النابت وسط الصدر، وإنّما سمّي بذلك لأنّه كأنّه سائل على الصدر جارٍ فيه.

مفر ـ السَّرب: الذَّهاب في حُدورٍ. والسَّرْبُ: المكان المنحدر. قال تعالى ـ فاتَّخَذَ سَبيله في البَحر سَرَباً. وسَرَب الدمع: سال. وانسربت الحيّة إلى حُجرها، وسَرَب الماء من السقاء، وماء سَرَبٌ وسَرِب: متقطّر من سقائه، والسارِبُ: الذاهب في سَرَبه أيَّ طريق كان، والسَّرْب جمع سارِب كرَكب وراكب. وتُعورِف في الإبل. والسَّراب: اللّامع في المفازة كالماء، وذلك لانسرابه في مرأى العين.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الظهور مع تحرّك بعد الخفاء، فهذا المعنى في مقابل السكون مع الخفاء.

ويختلف هذا المفهوم من جهة الخصوصيّات باختلاف الموارد: فيقال فيمن يُرى منه التبرّز والحركة: إنّه سَرَب سُروباً. وفي قطيعة مال ظهرت للرعي وذهبت في المرعى وإليه: إنّها سَرَبَتْ سَرْباً. وفي مَجرى الغائط ومَخرجه إنّه مَسْربة. وفي الماء

السائل أو المترشح من المزادة إنّه سَرِبٌ وسَرَبٌ. وفي قطعة من مفازة قفر يتراءى في أثر انعكاس النور سراباً كأنّه يتموّج فيه الماء، فيتظاهر بجريان الماء وتمـوّجه، وفي الشعور النابتة في الصدور إلى العانة، فهي الظاهرة المتبرّزة كما في قطيعة المال.

وبهذه المناسـبة تطلق المادّة على طريق هو مجرى الظهور والحركة، لا مطلق الطريق، وعلى نَفَس واقع في هذا الجريان.

سَواءٌ مِنكُم مَن أَسَرَّ القَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هوَ مُستخفٍ باللَّـيْلِ وساربٌ بالنَّهارِ ـ ١٣ / ١٠.

أي مَن يطلب التخفّي باللّيل ومن يَسرب ويظهر بالنّهار، فقد ذكر السارب في مقابل المستخفي.

وأمّا تساوي المستخفي والسارب بالنسبة إلى الله تعالى: فإنّ اللّيل والنهار والنور والظلمة والجهر والإخفات إنّما هي حجب في عالم المادّة وبالنسبة إلى القوى والحواسّ الجسمانيّة، وأمّا في ما وراء هذا العالم وبالنسبة إلى الحواسّ الروحانيّة: فليس للحجب المادّية تأثير فيها.

فَلَمّا بَلَغا مَجمعَ بَيْنِهما نسِيا حُوتَهما فاتَّخذَ سَبيلَه في البَحْرِ سَرَباً ـ ١٨ / ٦١.

أي فاتّخذ الحوت سبيله الّذي جعل له بالطبع وهو الجريان في الماء، وهو في حالة السرب أي التظاهر من المحدوديّة وكونه ممنوعاً من الجريان.

ولا يبعد القول بأنّ الحوت كان حيّاً ومحفوظاً في ماء لئلّا يتسنّه عند الحاجة إلى الطعام، وقد وضعوه هناك قريباً من البحر، فاتّخذ سبيله في البحر.

ويؤيّد هذا المعنى أنّ الحوت بمعنى الروَغان والتحرّك، ويستعمل في سمك يكون حيّاً ومتحرِّكاً ـ راجع الحوت.

أو أنّهما أخذا الحوت قبيل هذا الوقت، وكان حيّاً في الباطن، وإذا رأى الماء وأحسّ به: فراغ إليه ونجا.

والَّذينَ كَفَروا أعمالُهُم كَسَرابٍ بِقِيعةٍ يَحْسبُه الظَّمآنُ ماءً ـ ٢٤ / ٣٩.

أي كما أنّ السَّراب تظاهرٌ وتبرّز صرف وليس له حقيقة، كذلك أعمال الكفّار إنّما يعملون رياءً ولأغراض نفسانيّة ومقاصد دنيويّة، فإنّ تقوّم الأعمال بالنيّات، والنيّة روح العمل وفصله وبه يكون صالحاً مطلوباً أو طالحاً مذموماً، وما دام الإنسان متوغّلاً في الحياة والعيش الدنيويّ، وليس له نظر إلّا الجريان المادّيّ والمقاصد النفسانيّة: فلا يتمكّن من نيّة صالحة خالصة.

وفُتِحَت السَّماءُ فكانَتْ أبواباً وسُيِّرَت الجِبالُ فَكانَتْ سَراباً ـ ٧٨ / ٢٠.

قلنا في الجبل إنّه ما يكون بالفطرة عظيماً من أيّ نوع كان، فالمعنى ـ إذا ينفخ في الصُّور وفُتحت أبوابُ السماء وسُيّرت الجبال أي كلّ ما يكون عظيماً خَلقاً وفطرةً في عالم الطبيعة كمّاً أو كيفاً، فكانت سراباً.

فإنّ العظمة الطبيعيّة إذا خرجت من عالمها وسُيّرت إلى عالم فوقها لا يبقى لها أثر من تلك العظمة المخصوصة المحدودة، وتكون تلك العظمة مبدّلة إلى السَّراب (نمود).

فتدلّ الآية الكريمة على أنّ كلّ مقام أو عظمة أو عنوان في عالم الدنيا والطبيعة، إنّما يختصّ بها، ويزول بالانتقال عنها.

فاليَومَ تُجزَوْنَ عَذابَ الهَوْنِ بِما كُنتُم تَسْتكبِرون.

* * *

سربال:

لسا ـ السِّربال: القميص والدِّرع، وقيل كلّ ما لُبِس فهو سِربال، وقد تَسربلَ

به وسَرْبَله إيّاه، وسربلته فتَسرْبل، أي ألبستُه السِّربال.

سرل: أمّا سرل فليس بعربيّ صحيح. والسَّراويل: فارسيّ معرّب يذكّر ويؤنّث. قال الليث: السراويل أعجميّة أُعربت وأُنّثت، والجمع سَراويلات. وسَرْوَله فتَسرْول: ألبسه أيّاها فلبسها. الأزهريّ: جاء السَّراويل على لفظ الجماعة وهي واحدة، قال وسمعت غير واحد من الأعراب يقول سِروال. وحَمامة مُسروَلة: في رجلها ريش. والسَّراوين: السَّراويل، زعم يعقوب أنّ النون فيها بدل من اللّام.

صحا ـ السِّربال: القميص، وسَرْبَلته فتَسَرْبَلَ أي: ألبستُه السِّربال.

بديع اللّغة للميبدي ـ السَّراويل جمع سروال وهو معروف، معرّب شلوار، فقلب في التعريب أو عُرِّب مقلوباً، وهو الأظهر.

السِّربال بالكسر: القميص معرّب سَربال بالفتح، واصل وضعه في الفرس: الثوب الّذي يوضع على الكتف، سَر: هنا بمعنى الفوق، كقولهم سركوه، سردرخت، تشبيهاً بالرأس الحقيقيّ، وكذا بال هنا بمعنى اليد، وإن كان في الأصل بمعنى جناح الطائر.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو لباس مخصوص يلبس على النصف العالي من البدن أو يطرح ويشدّ عليه، كما أنّ السروال ما يلبس على القسمة السافلة من البدن.

وهذه الكلمة ـ سِربال: عربيّة خالصة، وإن كانت مأخوذة من لغة خارجيّة وتعرّبت، كما في نظائرها.

فالسِربال أعمّ من لباس مخيط أو غيره، ومن أيّ جنس كان، من قطن أو

صوف أو نبات أو حديد أو غيره.

والله جَعَلَ لَكُم مِمّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِن الجِبال أكنافاً وَجَعَلَ لَكُم سَرابيلَ تَقيكُم الحَرّ وسَرابيلَ تقيكُم بأسَكُم ـ ١٦ / ٨١.

فإنّ الله خلق الأرض وكوّن منها النبات والحيوان وأنواع الجماد والمعادن وجعل للماء والهواء والشمس والقمر تأثيراً في تربيتها ونشوئها وتكميلها ثمّ جعل منها ما يستفاد منها للغذاء واللباس والفراش وسائر وسائل العيش في الحياة الدنيا، ومع هذا جعل الإنسان مستعدّاً لأن يستفيد من هذه الموادّ والوسائل في إدامة حياته.

فليس للإنسان إلّا ما يقصده ويختاره، وهو بحول منه وقوّة، وإيجاد ما هو المقتضى ورفع ما هو المانع، قُل كُلٌّ مِن عِند الله.

ومن الوسائل في الحياة: السِّربال، ومن فوائده حفظ الإنسان من الحرّ كالمظلّة الّتي يقال لها الشمسيّة، فإنّ التوجّه في المناطق الحارّة إلى هذه الجهة، دون جهة البرودة.

وأيضاً من السربال: ما يحفظ من الشدّة والابتلاء الّذي يتوجّه إلى الإنسان ويجعله في معرض خطر وهلاك، كالدرع في الحرب. ويمكن شموله على كلّ شدّة، كالريح العاصف، والبرد الشديد، والمطر، وغيرها.

فالموادّ الأوّليّة وتحوّلاتها وكيفيّاتها وشرائط تكوّنها وبقائها وسائر الإمكانات والمقترنات في كلّ مصنوع للإنسان إنّما هي من الله تعالى، بل نفس الإنسانِ الصانعِ، وجودُه وقواه وتمييزه وحياته وكلّ شيء منه أيضاً من جانب الله العزيز الوهّاب، فليس للإنسان إلّا جهة الظلّيّة منه تعالى، وهو أيضاً من الله ـ جَعَلَ لَكُم مِمّا خَلَقَ ظِلالاً.

سَرابيلُهُم مِن قَطِرانٍ وتَغشىٰ وُجوهَهُم النّارُ ـ ١٤ / ١٥.

القطران سيّال يترشّح من بعض الأشجار وهو كريه، فالسِّربال يشمل على هذا النحو ممّا يستر جهة من البدن في أيّ عالم ومن أيّ جنس وبأيّ كيفيّة.

ولمّا كان البدن في يوم الجزاء مبدّلاً ببدن ألطف من الجسد والمادّة ـ يَومَ تُبَدّلُ الأَرضُ غَيرَ الأَرض والسَّمٰوات ـ ١٤ / ٤٨ ـ فيكون المراد من المادّة السيّالة المترشّحة من ذلك البدن: ما يترشّح من داخله من الصفات الخبيثة والأخلاق الذميمة والعقائد والأفكار المنحرفة الفاسدة، فتكون هذه القطرات المتظاهرة المترشّحة سربالاً لأهل الجحيم.

لا يخفى أنّ السِّربال غير الملائم: إذا كان من نفس الوجود وناشئاً منه فهو أشدّ تأثيراً وعقوبة ممّا يوجد من الخارج. كما أنّ ما يتظاهر ممّا في داخل البدن من صفات خبيثة ظلمانيّة راسخة: أشدّ عذاباً وتألّماً بمراتب ممّا يطرأ من الخارج من أمور جسمانيّة.

* * *

سرج:

مقا ـ سرج: أصل صحيح يدلّ على الحسن والزينة والجمال، من ذلك السراج، سمّي لضيائه وحسنه، ومنه السَّرج للدابّة، هو زينته، ويقال سرّج وجهه أي حَسّنه.

مصبا ـ سَرج الدابّة: معروف، وتصغيره سُرَيج وبه سمِّي الرجل، وجمعه سُروج. وأسرجت الفرس: شددت عليه سرجَه أو عملت عليه سرجاً. والسِّراج: المِصباح، والجمع سُرُج. والمَسْرجَة: الّتي توضع عليها المِسرجة الّتي فيها الفتيلة والدهن. وأسرجت السراج مثل أوقدته وزناً ومعنىً. والسرجين: الزبل كلمة أعجميّة وأصلها سركين.

صحا ـ السرج: معروف. وقد أسرجنا الدابّة. والسِّراج: معروف وتسمّى الشمس سِراجاً. والسُّرجوجة: الطبيعة والطريقة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الوقار والزهرة وهذا المعنى يختلف بحسب اختلاف الموارد، فكلّ مورد له ما يناسبه.

فالوقار مع الزهرة في الدابّة إنّما هي بشدّ السرج لها. وفي الوجه بما يتزيّن به. وفي الحديث الكذب بما يختلقه. وفي البيت المظلم بالسراج. فلازم أن يكون القيد ملحوظاً في كلّ مورد.

فإطلاق السراج على ما يستضاء به: إنّما هو باعتبار كونه وقاراً وزهرة، لا مطلق كونه وسيلة استضاءة. وهكذا إطلاقه على الشمس والنبيّ الأكرم، لكونهما وقاراً وزهرة في المحيط.

ثمّ إنّ هذا المعنى أعمّ من أن يكون في الأُمور المادّيّة ومن جهتها، أو من جهة الأُمور المعنويّة، كما في الرسول الأكرم.

فظهر الفرق بين هذه المادّة وموادّ النور والضياء والمصباح والزهرة والملاحة وغيرها.

فإنّ النور: مطلق الضياء من حيث هو، مادّياً أو معنويّاً، متحصّلاً من شيء آخر أو يكون متقوّماً في نفسه، ويقابله الظلمة.

والضياء: يلاحظ فيه تحصّله من شيء آخر، ولا يقال: الوجود ضياء.

والمصباح: من الصباحة وهو إشراق الوجه وصفاء البشرة والبريق.

والزُّهرة: تلألؤ تكمَّل في شيء مادّياً أو معنويّاً.

والملاحة: كون الشيء مقبولاً بجملته وإن لم يكن حسناً على التفصيل.

ويؤيِّد الأصل في المادّة: ذكر ـ المنير، الوهّاج، بعد ذكر السراج كما في ـ وسِراجاً مُنيراً، وسِراجاً وَهّاجاً.

وَجَعَلَ القَمَر فيهنّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمسَ سِراجاً ـ ٧١ / ١٦.

تَبارَكَ الَّذي جَعَلَ في السَّماء بُروجاً وَجَعَلَ فيها سِراجاً وقمراً مُنيراً ـ ٢٥ / ٦١.

وبَنَينا فَوقَكُم سَبْعاً شِداداً وَجَعَلنا سِراجاً وَهّاجاً ـ ٧٨ / ١٣.

فيراد خصوص هذه الشمس في منظومتنا أو مطلق الشموس في أيّ برج وفي أيّ منظومة من السبع الشداد.

فالشمس وقار وتلألؤ في منظومته، وهي وهّاجة، أي فيها توقّد وتوهّج وتلألؤ في عالمها.

وَداعِياً إلى اللهِ بإذنِه وسِراجاً مُنيراً ـ ٣٣ / ٤٦.

فإنّ الرسول (ص) وقار متلألئاً في الأُمّة في جهة تكمّل الإنسانيّة، وهو منير في جهة العلم والتربية والآداب والمعارف وتهذيب النفس.

فالوقار والتلألؤ في الرسول الأكرم معنويّ روحانيّ، وفي الشمس مادّيّ ظاهريّ. وكلّ منها متكمّل في جهة مخصوصة به.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في مورد الشمس والرسول (ص)، دون القمر، فإنّ الوقار والتلألؤ والتكمّل تناسبهما دون غيرهما.

❊ ❊ ❊

سرح :

مقا ـ سرح : أصل مطّرد واحد، وهو يدلّ على الانطلاق. يقال منه أمر سَريح، إذا لم يكن فيه تعويق ولا مَطل، ثمّ يُحمل على هذا السَّراح وهو الطلاق، يقال سرّحتُ المرأةَ. والسُّرُح : الناقة السريعة. ومن الباب المُنسَرِح وهو العُريان الخارج من ثيابه. والسَّرح : المال السائم. والسارِح : الراعي، ويقال السارح : الرجل الّذي له السَّرْح. وأمّا الشجرة العظيمة فهي السَّرْحة، ولعلّه أن يكون شاذّاً عن هذا الأصل، ويمكن أن يكون سَرْحة لانسراح أغصانها وذَهابها في الجهات. ومن الباب : السِّرْحان : الذئب، لأنّه ينسرح في مَطالبه.

مصبا ـ سَرَحَت الإبلُ سَرْحاً من باب نفع، وسُروحاً أيضاً : رعَتْ بنفسها، وسَرَحْتها يتعدّى ولا يتعدّى، وسرّحتها : مبالغة وتكثير، ومنه قيل سرّحتُ المرأةَ إذا طلّقتُها، والإسم السَّراح. ويقال للمال الراعي سَرْح تسمية بالمصدر. وسرّحتُ الشَّعر تسريحاً. والسِّرحان : الذئب والأسَد، والجمع سَراحين. ويقال للفجر الكاذب سِرحان على التشبيه.

جمهرة اللغة ٢ / ١٣٢ ـ والسَّرْح : ضرب من الشجر، ويقال بل كلّ شجرة طويلة سَرْحة. وأعطاه إعطاءً سهلاً سَرْحاً. وقال قوم إذا سهلت ولادةُ المرأة قيل ولَدته سَرْحاً. وسرّحَت المرأة رأسها تسريحاً، إذا خللت رأسها بالمشط، والمُشط يسمّى المِسرح. وسرحتُ الماشيةَ إذا غدوتَ بها إلى المَرعى، وربّما قيل سرحَت الماشية، فيُجعل الفعل لها، وقالوا المال سارح ومُراح. وسَرّحت العبدَ إذا أعتقته، لغة يمانيّة. والسِّرحان : الذئب، وأهل الحجاز يُسمّون الأسدَ سِرحاناً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الإمساك، فإنّ الإمساك جعل شيء متمسّكاً ومرتبطاً ومتعلّقاً (وابسته)، وفي قباله الإسراح وهو جعل الشيء منطلقاً غير متعلّق.

وهذا المعنى له مصاديق: كالانطلاق في المرأة بقطع تعلّقات الزوجيّة، والانطلاق في الشَّعْر بالتسريح بالمُشط وإخراجه عن التجعّد، والانطلاق في الماشية والمال برفع المحدوديّة عنها حتّى يخرجن إلى الرعي، والانطلاق في العبد باعتاقه عن تعلّق الرّقيّة، والانطلاق في الشجر بطول أغصانه والتوسّع والاسترسال فيه، والانطلاق في الأمر برفع الحدود والشرائط المضيّقة حتّى يكون سهلاً وفي سعة، وهكذا الانطلاق عن قيد التلبّس، والانطلاق عمّا يوجب البطء في الحركة.

فقيد رفع التعلّق: لابدّ أن يلاحظ في كلّ من ـ الذهاب، والسهولة، والطول، والخروج، والرعي، والعتق، والانطلاق.

فأمسِكوهنَّ بمَعروف أو سَرِّحوهنّ بمَعروف ـ ٢ / ٢٣١.

الطّلاق مرّتانِ فإمساك بمَعروف أو تسريح بإحسان ـ ٢ / ٢٢٩.

فيخيّر المرء بين إبقاء التعلّق وحفظ المرابطة بينهما، وبين قطع العلاقة والتخلية والاسترسال، ولابدّ أن يكون كلّ منهما بالمعروف ـ وَلا تُمسِكوهنّ ضِراراً لِتَعْتَدوا ـ ٢ / ٢٣١.

فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَميلاً ... فمَتِّعوهُنَّ وسَرِّحوهُنَّ سَراحاً جَميلاً ـ ٣٣ / ٢٨ و ٤٩.

التمتيع: جعل شخص متمتّعاً وإعطاؤه متاعاً. فيقدّم التمتيع على التسريح إذا اختير

التسريح، فاللّازم حينئذ ترضية المطلّقة بالتمتيع، ثمّ الطلاق والتسريح بأجمل طريق وأحسن برنامج، حتّى يصدق الإحسان واللطف.

وَلَكُم فيها جَمالٌ حينَ تُريحونَ وحينَ تَسرحون - ١٦ / ٦.

قلنا في ـ جمل: إنّه عبارة عمّا اجتمع فيه النضج والتناسب، ومرجعه إلى الكمال والبلوغ، والإراحة والتسريح للأنعام إشارةً إلى ظهور النعمة وبدوّ رفاه وسعة عيش، فله كمال ونضج وبلوغ في هذه الجهة.

ولمّا كان المقام في بيان الجمال: فيقدّم الإراحة على التسريح، فإنّ بالإراحة وهو الرجوع من المَرعى إلى المُراح، يقطع بتحقق الجمال.

❊ ❊ ❊

سرد:

الاشتقاق ـ ٤٦١ ـ والسَّرْد: ضمُّك الشيء بعضَه إلى بعض نحو النظم وما أشبهه، ومنه قولهم سَرْدُ الدرع أي ضمّ حديد بعضها إلى بعض. وفي التنزيل ـ وقَدِّر في السَّرْد. والمُسرَّد المنظَّم من خَرز أو غيره. وقيل لأعرابيّ: أتَعرف الأشهُر الحُرُم فقال: إنّي لأعرفها: ثلاثة سَرْد وواحد فرد.

مقا ـ سرد: أصل مطّرِد منقاس، وهو يدلّ على توالي أشياء كثيرة يتّصل بعضها ببعض. من ذلك السَّرْد إسم جامع للدُّروع وما أشبهها من عمل الحِلَق.

مصبا ـ سردت الحديث سَرْداً من باب قتل: أتيت به على الولاء. والمِسرد: المِثقب، ويقال المِخرز. والسرادق: ما يُدار حول الخيمة من شقق بلا سقف، والسرادق أيضاً: ما يُمدّ على صحن البيت، وقال أبو عبيدة: السرادق الفسطاط.

التهذيب ١٢ / ٣٥٦ ـ قال الله عزّ وجلّ ـ وقَدِّر في السَّرْد، قال الفرّاء: يقول لا تجعل مِسمار الدِّرع دقيقاً فينفلِق ولا غليظاً فيفصِم الحَلَق. وقال الزجّاج: السَّرْد في اللغة تَقْدِمة شيء إلى شيء حتّى يتّسق بعض إلى إثر بعض مُتتابعاً. ويقال سَرَد فلانٌ الحديثَ يَسْرِدُه سَرْداً: إذا تابَعه، وسَرَد فلان الصومَ: إذا والاه. وقال في التفسير: السَّرْد السَّمْر وهو غير خارج من اللغة، لأنّ السَّمْر تقديرك طرف الحلقة إلى طرفها الآخر، قال: والسَّرَد الزَّرَد، ومنه قيل لصاحبها سَرّاد وزَرّاد. وقال الليث: السَّرْد إسم جامع للدُّروع وما أشبَهها من عمل الحَلَق، وسمّي سَرْداً لأنّه يُسرَّد فيُثقب طرفا كلّ حلقة بالمسمار، فذلك الحَلَق المُسرَّد، والمِسرد: المِثقب. وقال أبو بكر: سَرَد فلان الكتاب معناه درسه مُحكماً مُجوّداً، أي أحكم درسه وأجاده، من قولهم سردت الدِّرع إذا أحكمتَ مَساميرَها.

مفر ـ السرد: خرز ما يخشن ويغلظ كنسيج الدرع وخرز الجلد، واستعير لنظم الحديد، قال ـ وقَدِّر في السَّرْد، ويقال سَرْدٌ وزَرد، والسِّراد والزراد نحو سراط وصراط وزراط.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو وصل شيء أو أجزاء بآخر شبيهاً بالنسج والخرز، كالشباك.

والفرق بين هذه المادّة وموادّ ـ الخرز والنسج والخصف والنظم والوصل والتتابع واللحوق والتوالي والضمّ:

إنّ الخرز: هو خياطة شيء كالجلد يحتاج إلى الثقب أو نظم ما هو مثقوب كالحبّ.

والنسج: هو الحياكة للثوب وأمثاله.

والخصف: هو إطباق شيء على مثله وخرزه، كالنعل.

والنظم: جمع مع ترتيب وارتباط بين الأجزاء.

والوصل: مطلق الصلة وهو يقابل الفصل.

والتتابع: تبعيّة مطلقة متصلة أو منفصلة في ظاهر أو معنى.

والتوالي: وقوع شيء فيما وراء شيء.

واللحوق: إدراك ما سبق بعدما كان بعيداً عنه.

والضمّ: وصل شيء إلى ما هو أقوى منه.

ويمكن أن نقول إنّ الحقيقة في مادّة السرد: هي ربط أجزاء فلزّيّة مع أخرى، كما في الدروع وأمثالها، ثمّ تستعمل في ربط أيّ أشياء صلبة شديدة خشنة، كما في ربط مطالب مشكلة ومسائل صعبة وربط أيّام الصيام متوالية وربط الأحاديث المستصعبة وهكذا.

وألنّا لهُ الحَديدَ أن اعمَلْ سابِغاتٍ وقَدِّر في السَّرد ـ ٣٤ / ١١.

أي لتعمَل في أثر لين الحديد مصانع سابغة لا تضييق فيها، وتكون في صنعة السَرْد والدروع على تدبير وتقدير لطيف دقيق وعلى معايير ومقاييس دقيقة.

فتليين الحديد قرينة على أنّ التوسّع في المصانع والتقدير في السَّرْد لابدّ أن يكون راجعاً إلى الحديد وفي خصوصه.

* * *

سرادق:

المُعرَّب ـ السُّرادق: فارسيّ معرّب، وأصله بالفارسيّة سَرادار، وهو الدِّهليز.

لسا ـ السُّرادق: ما أحاط بالبناء، والجمع سُرادقات. قال الزجّاج: والسُّرادق كلّ ما أحاط بشيء نحو الشُّقّة في المِضرب أو الحائط المشتمل على الشيء. ابن الأثير: وقد ورد في الحديث ذكر السُّرادق في غير موضع، وهو كلّ ما أحاط بشيء من حائط أو مِضرب أو خِباء. وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى ـ وظِلٍّ مِن يَحْموم: هو من سُرادق أهل النار. الجوهري: السُّرادق واحد السُّرادقات الّتي تُمدّ فوق صحن الدار، وكلّ بيت من كُرسُف فهو سُرادق. والسرادق: الغبار الساطع.

مفر ـ السُّرادق: فارسيّ معرّب، وليس في كلامهم إسم مفرد ثالثه ألفٌ وبعده حرفان.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما علا الشيء ممّا تبعه، وهذا المعنى يشمل الخباء واليحموم وما يمد فوق الدار والغبار المرتفع.

ويمكن إطلاقه على الدّهليز والحائط وأمثالها، باعتبار الإحاطة والتبعيّة، فكأنّها ممّا يعلو ويتبع المحلّ المنظور.

إنّا اعتَدْنا لِلظّالمينَ ناراً أحاطَ بهم سُرادِقُها ـ ١٨ / ٢٩.

الإعتاد: من العتد بمعنى التهيئة. ولمّا كان أثر الظلم هو الظلمة ـ الظُّلم ظُلُماتٌ يوم القيامة ـ فتكون الظلمات المنبعثة المرتفعة منه سُرادقاً للظالم.

وتوضيح ذلك: أنّ الظلم يوجب الانحراف والتعدّي والتجاوز عن الحقّ الّذي هو سبيل الله ومن الله ـ وقُل الحقُّ مِن ربِّكُم فَمَن شاءَ فليؤمِن ومَن شاءَ فليَكفُر إنّا اعتَدْنا ـ وبهذا تتّقد نار البُعد والحرمان، وتتحصّل منها الظلمة والعمى والضلال

والغفلة.

ثمّ إنّ تلك الظلمة لمّا كانت غير مادّية ومن الاُمور المعنويّة المتحصّلة فيما وراء عالم الطبيعة: فالسُّرادق المتكوّن في تلك العالم، وهي غير محدودة بما بعد الموت الطبيعيّ، بل من شؤون الروح ومن حالاته، فهذه الظلمة تحيط بالروح وتحجبه في العالَمَينِ المادّية والروحانيّة.

وبهذا اللحاظ ترى التعبير بصيغة الماضي في قوله تعالى ـ أحاطَ بِهِم سُرادقُها ـ إشارة إلى أنّ ذلك السرادق قد أحاط بهم في حياتهم الدنيا أيضاً.

وهذا كما في قوله تعالى ـ يَستعجلونَكَ بالعَذابِ وإنَّ جَهَنَّم لُمحيطَة بالكافرين.

* * *

سرّ:

مقا ـ سرّ: يَجمع فروعَه إخفاءُ الشيء وما كان من خالصه ومُستقرّه، لا يخرج شيء منه عن هذا. فالسِّرّ خلاف الإعلان، يقال أسررتُ الشيءَ إسراراً، خلاف أعلنته. ومن الباب: السِّرّ وهو النِّكاح، وسمِّي به لأنّه أمر لا يُعلَن به. ومن ذلك السِّرار والسَّرار، وهو ليلة يستسرّ الهلال ليلة أو ليلتين إذا تمّ الشهرُ. وأمّا الّذي ذكرناه من مَحض الشيء وخالصه ومستقرّه: فالسِّرّ: خالص الشيء ومنه السرور، لأنّه أمر خال من الحُزن. والسُّرَّة: سُرّة الإنسان، وهو خالص جسمه ولينه، وجمعه أسِرَّة. والسِرَر: الخطّ من خطوط بطن الراحة. فأمّا الأسارير: وهي الكسور الّتي في الجبهة، فمحمولة على أسارير السُّرّة، وذلك تكسّرها. وأمّا الّذي ذكرناه من الاستقرار: فالسَّرير، وجمعه سُرُر وأسِرَّة. والسَّرير: خفض العيش، لأنّ الإنسان يستقرّ عنده وعند دَعَته. وسَرير الرأس: مستقرّه.

مفر ـ الإسرار: خلاف الإعلان ـ ويَعلم ما يُسرّون وَما يُعلنون ـ ويستعمل في الأعيان والمعاني. والسِّرّ: هو الحديث المُكتم في النفس ـ إنَّ اللّهَ يَعلم سِرَّهُم ونَجواهُم. وقوله ـ تُسِرّون إليهم بالمَوَدَّة: أي يُطلعونهم على ما يُسِرُّون من مودّتهم، وقد فُسّر بأنّ معناه يُظهرون، وهذا صحيح فإنّ الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسرّ وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره، فإذاً قولهم ـ أسررت إلى فلان: يقتضي من وجه الإظهار ومن وجه الإخفاء. واستعير للخالص فقيل هو من سرّ قومه، ومنه سِرّ الوادي وسِرارته. وسُرّة البطن: ما يبقى بعد القطع، وذلك لاستتارها. والسُّرور: ما ينكتم من الفرح. والسرير الّذي يُجلس عليه من السرور، إذ كان ذلك لأُولي النعمة.

الجمهرة ١ / ٨١ ـ السرّ: خلاف العلانية. وسرّ كلّ شيء خالصه، فلان في سرّ قومه، أي في صميمهم وشرفهم. وسرّ الوادي وسِراره: أطيبُه تراباً. والسُّرّة في البطن: موضع السرر التي تقطع. والسُّرّ: ضدّ الضُّرّ. وقال قوم: السُّرّ والسُّرور واحد. ويقال أسررت الشيء أظهرته. وأسررته: كتمته. وأسِرَّة الكفّ: معروفة.

أسا ـ أسرَّ الحديثَ. واستَسرّ الأمر: خفي. ووقفت على مُستسرّه. واستسرّ القمر. وهذه ليلة السِّرار. وأفشى سِرّه وسَريرَته وأسراره وسرائره. وتعلّمتُ العلم قبل أن يقطع سُرُّك وسُرُرُك، وهو ما يقطع. وأمّا السُّرَّة: فهي الوَقبة. وبَرِقَتْ أسِرّة وجهه وأساريره. ونظرت إلى أسرار كفّه. وهو في سُرور ومَسرّة ومَسارَّ، وسُرّ به واستَسرّ.

الفروق ٢٢٠ ـ ونقيض السرور الحـزن، ومعلوم أنّ الحزن يكون بالمرازي، فينبغي أن يكون السرور بالفوائد وما يجري مَجراها من المَلاذّ، ونقض الفرح الغمّ، وقد يغتمّ الإنسان بضرر يتوهّمه من غير أن يكون له حقيقة، وكذلك يفرح بما لا حقيقة

له. ولا يجوز أن يحزن ويسرّ بما لا حقيقة له. والسُّرور: إسم وضع موضع المصدر في قولك سُرَّ سُروراً وأصله سَرّاً، وهو فعل يتعدّى ويقتضي فاعلاً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الإعلان، وهو الكتمان والبطون والخفاء، بمعنى أنّ هذه المادّة تستعمل في موارد كلّ من هذه الكلمات ـ سَواءٌ مِنكُم مَن أسرَّ القولَ ومَن جَهَرَ به، ثُمَّ إنّي أعلنتُ لَهم وأسررتُ لَهم إسراراً، فأسرَّها يوسفُ في نَفسِه ولَم يُبدِها، إنَّ الله يَعلم سرَّهم ونَجواهم.

والفرق بين هذه المادّة وموادّ الكتمان والبطون والخفاء والستر والخفات، مضافاً إلى ما قلنا في هذه الموادّ:

أنّ السَّتر ـ هو المستوريّة وكون الشيء تحت ستر بأيّ وسيلة كان.

والكتمان: في مقابل الإبداء وهو إخفاء ما في الضمير والقلب.

والخفاء: هو كون شيء في الخفاء بأيّ وسيلة كان مطلقاً.

والخفات: يقابله الجهر، ويستعمل في الأصوات.

والبطون: يقابله الظهور، وهو ما بطن في الأشياء من حيث هو.

والسِّرّ: ما يكون غير محسوس بالحواسّ الظاهرة، فيشمل كلّاً من مفاهيم الكتمان والخفاء والبطون والخفات.

فهذا المعنى مفهوم كلّي تختلف خصوصيّاته باختلاف الموضوعات:

ففي الأصوات تستعمل المادّة في مقام الخفات وفي مقابل الجهر:

وأسِرّوا قولَكُم أو اجهَرُوا به إنَّه عَليمٌ بِذاتِ الصُّدور ـ ٦٧ / ١٣.

وقد تستعمل في مقام الكتمان وفي مقابل الإعلان والإبداء:

واللهُ يَعلم ما تُسِرّون وَما تُعلِنونَ ـ ١٦ / ١٩.

فأسرَّها يوسفُ في نفسِه ولَم يُبدِها لَهم ـ ١٢ / ٧٧.

وقد تستعمل في مقام الخفاء في قبال الإعلان:

تُسِرّونَ إلَيهم بالمَوَدَّة وأنا أعلمُ بما أخفَيتُم وَما أعلَنتُم ـ ٦٠ / ١.

ثمّ إنّ المادّة تستعمل في المادّيّات كما في:

يا بُشرى هذا غُلامٌ وأسَرّوه بِضاعةً ـ ١٢ / ١٩.

وفي المعنويّات ـ وأسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رأوا العَذابَ ـ ٣٤ / ٣٣.

وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعضِ أزواجِه حَديثاً ـ ٦٦ / ٣.

تُسِرّون إلَيهم بالمَوَدَّة ـ ٦٠ / ١.

الباء للتأكيد، وحرف إلى: في الآيتين متعلّق بما بعده، أي الحديث والمودّة، أي أسرّ الحديث المُلقى إلى بعض أزواجه، وتسرّون المودّة المتعلّقة إليهم عن غيرهم، وهو إخفاء المودّة.

فظهر أنّ المادّة في الموردين مستعملة في الأصل لا بمعنى الإظهار.

واللهُ يَعلَمُ ما تُسِرّونَ وَما تُعلِنون ـ ١٦ / ١٩.

إنّا نَعلَمُ ما يُسِرّونَ وَما يُعلِنون ـ ٣٦ / ٧٦.

يَعلَمُ سِرّكُم وجَهْركُم ـ ٦ / ٣.

أنَّ اللهَ يَعلَم سِرّهم ونَجْواهم ـ ٩ / ٧٨.

أم يَحْسبُون أنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهم ونَجواهم ـ ٤٣ / ٨٠ .

إنّ الإنسان محدود بالحدود المادّيّة والحجب الطبيعيّة وهو يرى ويسمع ويلمس

بهذه القوى البدنيّة الظاهريّة، وهذه القُوى والحواس محدودة ومقيّدة بحدود وشرائط وقيود زمانيّة ومكانيّة وذاتيّة.

وأمّا الله عزّ وجلّ: فهو منزَّه عن كلّ حدٍّ وعن أيّ حجاب ذاتيّ وداخليّ وخارجي وعرضي، فهو سميع بصير من دون أيّ حدّ وضعف.

وسائر المفاهيم المستعملة فيها المادّة: راجعة إلى الأصل.

أمّا مفهوم الخالص والصميم والشريف: فإنّ خالص كلّ شيء هو حقيقته الذاتيّة وباطنه الأصيل الصافي عن الكدورات والعوارض والتلوّنات الخارجيّة والتحوّلات الظاهريّة. فيقال هو من سرّ قومه، وهنالك سرّ الوادي وسِرارته أي أطيبه وخالصه.

وقريب من هذا المفهوم: معنى السرور، فإنّ حقيقته انبساط في الباطن وصفاؤه وخلوصه عن عروض تحوّلات توجب الإنقباض والحزن والتألّم والتكدّر والتلوّن.

إنَّها بقرةٌ صَفراءُ فاقع لَونُها تَسُرُّ النّاظِرين ـ ٢ / ٦٩.

فَوَقاهُم اللهُ شَرَّ ذلِكَ اليَوم ولَقّاهُم نَضرةً وسُروراً ـ ٧٦ / ١١.

يراد ظهور حالة باطنيّة خالصة عن الانقباض والكدورات والتألّمات.

وينقلِبُ إلى أهلِه مَسروراً ـ ٨٤ / ٩.

أي مرتفعاً عنه الانقباض.

وأمّا قوله تعالى: ويَصْلَى سَعيراً إنَّهُ كانَ في أهلِه مَسروراً ـ ٨٤ / ١٣.

ظهور حالة السرور بالإطلاق في الحياة الدنيا مذموم، فإنّ المؤمن بُشره في وجهه وحزنه في قلبه، وهو يدوم حزنه بلحاظ التوجّه إلى قصوره وتقصيره في العمل بوظائف العبوديّة، والوحشة عن سوء العاقبة.

فالسرور المطلق في الدنيا علامة الجهل والغفلة، ويقابله الخوف والخشية، وهذا خلاف السرور الحاصل للمؤمن في الآخرة، فإنّه الفراغ عن العذاب، والتخلّص عن الاضطراب، والوصول إلى جزيل الثواب.

الَّذينَ يُنفِقون في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ ـ ٣ / ١٣٤.

وقالوا قَد مَسَّ آباءَنا الضَّرّاءُ والسَّرّاءُ ـ ٧ / ٩٥.

قلنا إنّ السرور هو الانبساط وخلوص الباطن ويقابله مطلق الانقباض بأيّ سبب كان، والضرّ هو الشدّة والضيق وسوء الحال، والظاهر أنّ هذه الصيغة للتأنيث صفة كحَمراء.

ولا يخفى أنّ لُبّ الإنسان وباطنه لا يخلو من إحدى الحالتين السرّاء، والضرّاء، والإنسان لازم له أن يكون حاكماً على الحالتين لا محكوماً ومغلوباً تحت تأثيرهما واقتضائهما.

وأمّا تقديم السرّاء في الآية الأُولى وتأخيرها في الثانية: فإنّ الإنفاق في السرّاء أشدّ اقتضاءً للتقدير والتوجّه، من حالة الضرّاء والشدّة. وأمّا الثانية فإنّ النظر فيها إلى نزول العذاب والبأساء والشدّة إلى آبائهم ـ أخذنا أهلَها بالبأساء والضَّرّاء لَعَلَّهُم يَضَّرَّعون ثُمَّ بَدَّلنا... الآية.

ويناسب هذه المعنى: مفهومُ السَّريرة، وهو الحالة الباطنيّة القلبيّة الخالصة، وباعتبار أنّ كلّ صفة مكنونة في القلب مستسرّة: يطلق على كلّ من هذه الصفات أنّها سريرة، وجمعها سرائر.

وهكذا أسرار الكف وسُرّة البطن وأسرّة الوجه والحديث المستسرّ وغيرها.

وأمّا السُّرُر والسَرير بمعنى المُستَقرّ والّذي يُجلَس عليه: فهي إمّا جسمانيّة أو

روحانيّة، أمّا الجسمانيّة: فباعتبار الخفاء والمستوريّة فيها، إذ السُّرُر مستورة بالفرش والنمارق والزرابيّ وأمثالها، وأمّا الروحانيّة المعنويّة: فيراد منها الصـفات النـفسانيّة والسرائر الباطنيّة القلبية الصافية الخالصة الّتي يعتمد إليها النفس ويستقرّ عليها.

ولِبُيوتهم أبواباً وسُرُراً عَلَيها يَتَّكِئون ـ ٤٣ / ٣٤.

ونَزَعنا ما في صُدورِهم مِن غِلّ إخواناً عَلى سُرُر مُتقابِلين ـ ١٥ / ٤٧.

مُتَّكِئينَ عَلى سُرُرٍ مَصفوفة ـ ٥٢ / ٢٠.

وقَليل مِن الآخرين عَلى سُرُر مَوضونة ـ ٥٦ / ١٥.

فيها سُرُر مَرفوعَة ـ ٨٨ / ١٣.

راجع في توضيح الخصوصيّات الموادَّ المذكورة.

فظهر الفرق بين المادّة والأخلاق والصـفات والسـجايا والطـبايع وغـيرها، وخصوصيّة المادّة منظورة في جميع موارد استعمالاتها.

إنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِر يَومَ تُبلَى السَّرائِر ـ ٨٦ / ٩.

أي تتقلّب وتتحوّل ما في البواطن وما يخفى في النفوس، فإنّ السرائر أعمّ ممّا في الباطن من صفة حميدة روحانيّة أو مذمومة حيوانيّة، وهو يطلق على كلّ صـفة باطنيّة مستسرّة، صحيحة أو فاسدة.

* * *

سرع:

مصبا ـ أسرَع في مشيه وغيره إسراعاً، والأصل أسرعَ مشـيُه، وفي زائـدة، وقيل الأصل أسرع الحركة في مَشيه، وأسرَع إليه أي أسرع المضيّ إليه، والسُّرعة إسم منه. وسَرُع سِرَعاً فهو سَريع، وزان صغُر صِغَراً فهو صَغير. وسَرَعان الناس:

أوائلهم، يقال جئت في سَرَعانهم أي في أوائلهم. وجاء القوم سِراعاً أي مُسرِعين.

مقا ـ سرع: أصل صحيح واحد، يدلّ على خلاف البُطء. فالسريع خلاف البَطيء. وسَرَعانُ الناس: أوائلهم الّذين يتقدَّمون سِراعاً. وتقول العرب: لسَرْعانَ ما صَنعتَ كذا، أي ما أسرعَ ما صنعتَه. وأمّا السِّرع: من قضبان الكرم، فهو أسرع ما يطلُع منه.

صحا ـ السُّرعة: نقيض البُطء، تقول منه: سَرُع سِرَعاً مثال صَغُر صِغَراً، فهو سَريعٌ، وعجيب من سُرعة ذاك وسِرَع ذاك، وأسرَع في السير، وهو في الأصل متعدّ، والمسارَعة إلى الشيء: المبادرة إليه، وتسرَّع إلى الشرّ، وسُرعانَ: ثلاث لغات.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل البُطء، وهو أعمّ من أن يكون في أمر مادّيّ أو معنويّ وفي خير أو شرّ.

فالسرعة في أمر مادّيّ: فتَرى الَّذينَ في قلوبهم مَرَضٌ يُسارِعونَ فيهم ـ ٥ / ٥٢.

وفي أمر معنويّ كما في: وسارِعُوا إلى مَغفِرَة مِن ربّكم ـ ٣ / ١٣٣.

وفي الخير: أُولئِكَ يُسارِعونَ في الخَيرات وهُم لَها سابِقون ـ ٢٣ / ٦١.

وفي الشرّ: وتَرَى كَثيراً مِنهُم يُسارِعُونَ في الإثم والعُدوانِ ـ ٥ / ٦٢.

والفرق بين هذه المادّة وموادّ الجدّ والجهد والمبادرة والعجلة:

إنّ التعجيل: هو سرعة خارجة عن الاعتدال، وهو مذموم غالباً.

والمبادرة: هي السبقة في سرعة، أو سرعة مع سبقة.

والجهد: بذل الطاقة في الوصول إلى المقصود.

والجدّ: عزم وقطع مع العظمة، أو ما يتحصّل من الجلال والعظمة.

فالسرعة مطلق مبادرة، والمسارعة والسِّراع: تدلّ على إدامة الفعل، والتسارع مطاوعة المسارعة. والسَّريع فعيلٌ: يدلّ على ثبوت الحدَث والحركة لمن ينتسب إليه.

سارعوا إلى مَغفرةٍ ـ يدلّ على الأمر بإدامة السرعة إلى المغفرة ودوامها.

والله سَريعُ الحِساب ـ أي إنّ سرعة الحساب وتسريعه ثابتة له تعالى، وقلنا في الحسب: إنّه بمعنى الاختبار والنظر بقصد السَّبر والتطلّب.

فهو تعالى لا يؤخّر المحاسبة، ولا يُمهل أحداً في تطلّب ما له وما عليه، فهو يوفّي كلّ أحد حسابه بالفور.

لِيَجْزي اللهُ كُلَّ نَفس ما كَسَبَتْ إنَّ اللهَ سَريعُ الحِساب ـ ١٤ / ٥١.

واللهُ يحكُمُ لا مُعقِّبَ لحُكمِه وهوَ سَريعُ الحِساب ـ ١٣ / ٤١.

وَوَجَدَ اللهَ عِندَه فَوفّاه حسابَه واللهُ سَريع الحِساب ـ ٢٤ / ٣٩.

ألا لَهُ الحُكمُ وهوَ أسرَعُ الحاسِبين ـ ٦ / ٦٢.

فيتحقّق الحساب ويصدر الحكم من دون تأخير وفصل.

* * *

سرف:

مقا ـ سرف: أصل واحد يدلّ على تعدّي الحدّ والإغفال أيضاً للشيء. تقول: في الأمر سَرَف أي مجاوزة القدر. وأمّا الإغفال: فقول القائل ـ مررت بكم فسَرفتكم، أي غفلتكم. ويقولون إنّ السَّرَف الجهل، والسَّرِف الجاهل. ويقولون: إنّ لِلَّحْم سَرَفاً

كسَرَف الخمر، أي ضَراوة، وليس هذا بالبعيد من الكلمة الأُولى.

مصبا ـ أسرفَ إسرافاً: جاز القصـد. والسَّرَف: إسم منه. وسَرِف سَرَفاً من باب تَعِبَ: جهل أو غفل، فهو سَرِفٌ.

مفر ـ السَّرَف: تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، ويقال تارة اعتباراً بالقدر، وتارة بالكيفيّة، وقوله ـ يا عِبادِيَ الَّذينَ أسرَفوا عَلى أنفسهم: فتناول الإسراف في المال وفي غـيره. وقوله ـ فَلا يُسرِف في القَـتل: فسَرَفه أن يقتل غير قاتله، إمّا بالعدول عنه إلى من هو أشرف منه، أو بتجاوز قتل القاتل إلى غيره حسبما كانت الجاهليّة تفعله.

صحا ـ السَّرَف: ضدّ القصد. والسَّرَف: الإغفال والخطاء. وقد سَرِفتُ الشيءَ إذا أغفلته وجهلته. ورجل سَرِف الفؤاد: غافله. والسَّرَف: الضَّراوة. والإسراف في النفقة: التبذير. والسُّرفة: دُويبة. وإسرافيل: إسم أعجميّ، كأنّه مضاف إلى أيل.

التهذيب ١٢ / ٣٩٨ ـ عن ابن الأعرابيّ: السرف تجاوز ما حُدّ لك. والسَّرَف: الخطأ، وإخطاء الشيء: وضعه في غير موضعه. والسَّرَف: الإغفال. والسَّرَف: الجهل. قال شَمِر: سَرَفُ الماء: ما ذهب منه في غير سَقي ولا نفع. والّذينَ إذا أنفقوا لم يُسرِفوا: أي لم يضَعوه في غير موضعه، ولم يَقتُروا: أي لم يُقصِّروا به عن حقّه. وقال أياسُ بن معاوية: الإسراف: ما قُصِّر به عن حقّ الله. والسَّرَف: ضدّ القصد. قال شَمِر: لم أسمع أحداً ذهب بالسَّرَف إلى الضَّراوة، وكيف يكون ذلك تفسيراً له وهو ضدّه، والضَّراوة للشيء كثرة الاعتياد له، والسَّرَف بالشيء: الجهل به، إلّا أن تصير الضَّراوة نفسها سَرَفاً، أي اعتياده وكثرة شِرائه سَرَف.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو عمل يتجاوز عن الحدّ الملحوظ فيه عقلاً أو عرفاً، كما في الأكل الزائد عن الحدّ، والإنفاق الخارج عن المعروف، والبناء زائداً عن شؤونه ومقامه، وجمع أثاث البيت متجاوزاً عن الحدّ العرفيّ، والتوسعة في المعاش على خلاف العقل، وأعمال خارجة عن الحدّ والمعروف في المعيشة مطلقاً.

وقلنا في البذر: إنّه عبارة عن التفريق بلا نظم.

وأمّا مفاهيم الجهل والخطأ والغفلة: فهي من أسباب الإسراف وعِلله الموجبة لظهوره، فكأنّ الإسراف تجلّيها وظهورها.

وأمّا الضَّراوة: فهي تجاوز عن الحدّ في عمل استعداده.

وَلا تُسرِفوا إنَّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفين ـ ٦ / ١٤١.

وإنَّ المُسْرِفينَ هُم أصحابُ النّار ـ ٤٠ / ٤٣.

وَلا تُطيعوا أمرَ المُسْرِفينَ ـ ٢٦ / ١٥١.

وإنَّ فرعَونَ لَعالٍ في الأَرض وإنَّهُ لَمِنَ المُسْرِفين ـ ١٠ / ٨٣.

إنَّ اللهَ لا يَهدي مَن هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ ـ ٤٠ / ٢٨.

كَذلك يُضِلّ اللهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مرتاب ـ ٤٠ / ٣٤.

بَل أنتُم قَومٌ مُسْرِفون ـ ٣٦ / ١٩.

كَذلك زُيِّنَ للمُسْرِفين ما كانوا يَعمَلون ـ ١٠ / ١٢.

قلنا إنّ الإسراف مَنشأه الجهل والغفلة ومورده الحياة الدنيا والمعيشة الدنيويّة المادّيّة، فالمُسرِف من توغّل في حبّ الدنيا، واشتدّ تعلّقه وتوجّهه إليها، وغفل عن الحقّ والآخرة، فهو محجوب بالدنيا عن الآخرة، ومشغول بالمادّة عن عالم النور،

وقريب من الطبيعة وبعيد عن الله تعالى، فهو خارج عن صراط الهداية إلى طـريق الضلالة، وعن محيط المحبّة والرحمة إلى منزل البغض والغواية.

فالإسراف مرتبة نازلة ظلمانيّة، ومنزل مَن علا في الأرض وطغى في الحـياة الدنيا ـ وإنَّ فرعونَ لَعالٍ في الأَرضِ وانَّهُ لَمِنَ المُسْرِفينَ.

وكُلوا واشرَبوا وَلا تُسْرِفوا ـ ٧ / ٣١.

وآتوا حَقَّهُ يَومَ حَصادِهِ وَلا تُسْرِفوا ـ ٦ / ١٤١.

فَلا يُسْرِفْ في القَتل إنَّهُ كانَ مَنصوراً ـ ١٧ / ٣٣.

والَّذينَ إذا أنفَقوا لَم يُسْرِفوا ولَم يَقتُروا ـ ٢٥ / ٦٧.

وَلا تَأكُلُوها إسْرافاً وبِداراً ـ ٤ / ٦.

يُصرّح بالنهي عن الإسراف في موارد الأكل، والشرب، وإعطاء حقّ الصدقة من الثمر والزرع، وفي القتل، وفي الإنفاق، وفي مال اليتامى.

ولا يخفى ما فيما بين موادّ السرف والسرى والسرع والسرح والسرب والسفر والسير، وممّا فيه السين والراء، من التناسب لفظاً ومعنى.

* * *

سرق:

مصبا ـ سَرَق مالاً يسرِقه من باب ضرب، وسرق منه مالاً، يتعدّى إلى الأوّل بنفسه، وبالحرف على الزيادة، والمصدر سَرَقٌ، والإسم السَّرِق، والسَّرِقة مثله، وتخفّف مثل كلمة، ويسمّى المسروق سرقة تسمية بالمصدر. وسرق السمع مجاز، واسترقه: إذا سمعه مستخفياً.

مقا ـ سرق: أصل يدلّ على أخذ شيء في خفاء وسِـتر، يقال سَرَق يَسرِق

سَرِقةً، والمَسروق سَرَق، واستَرق السمع إذا تسمّع مختفياً. وممّا شذّ عن الباب السَّرَق جمع سَرَقة، قِطعة من الحرير.

الجـمهرة ٢ / ٣٣٤ ـ سَرَق يَسرِق سَرَقاً، فهو سـارق. والسَّرَق ضـعف في المفاصل، سَرِقت مفاصـله سَرَقاً: إذا ضعفت. والسَّرَق ضرب من الحرير، فارسيّ معرّب، وذكر الأصمعيّ: إنّ أصله سره أي جيّد. وسرق الشيء إذا خفي.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو أخذ شيء خفاء عن صاحبه بغير حقّ. يقال سَرَقه سَرَقاً، واسترق افتعل يدلّ على القصد واختيار الفعل، واستَرَقَ السمعَ: اختار السرَقَ من السمع، وهو استماع كلمات على سبيل السرَق.

وأمّا قولهم سرِقت مفاصله: فإن لم يكن مجازاً فبمناسبة الخفاء، فكأنّ المفاصلَ سَرِقت من قواها وأخفت فضعفت، وكسر العين في الفعل يدلّ على اللزوم والثبوت.

والسّارقُ والسّارقةُ فاقطَعوا أيديَهما جَزاءً بِما كَسبا ـ ٥ / ٢٨.

قطع اليد بمناسبة مفهوم السَّرَق وهو الأخذ بغير حق، والأخذ إنّما يكون باليد، فلازم أن تقصر اليد العادية وتقطع.

يُبايِعنَكَ عَلى أن لا يُشرِكنَ باللهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقنَ ـ ٦٠ / ١٢.

الشرك هو تجاوز إلى حق الله تعالى وسَرَق من سلطانه وملكوته وسعة حكومته وهذا في الأُمور المعنـويّة وفي الاعتقاديّات، والسَّرَق هو تجاوز إلى حـقوق النّـاس والأخذ ممّا تحت سلطتهم (الناسُ مُسَلّطون على أموالهم) وهذا في الأُمور الاجتماعيّة المادّية. فالآية الكريمة لإصلاح المعنى والخارج.

ثُمّ أذَّنَ مؤذِّنٌ أيَّتُها العِيرُ إنّكُم لَسارِقون ـ ١٢ / ٧٠.

التمسّك في جلبهم بهذه الخصلة: فإنّها توجب رفع الطمأنينة والنظم والاعتماد والأمن في الاجتماع، وتقتضي الاختلال والاغتشاش والتزلزل والاضطراب.

وأمّا نسبة السرَق إليهم: فإنّهم قد سرقوا يوسف من أبيه.

إلّا مَن استَرَقَ السّمعَ فاتبَعه شَهابٌ مُبين ـ ١٥ / ١٨.

أي فحفظناها من نفوذ كلّ شيطان، إلّا من اختار السرق من جهة السمع، فسرق منها في خفاء وسرّ باختلاس ليطّلع على بعض الأُمور المكتومة.

فيظهر من الآية الكريمة: أنّ اطّلاع الشياطين على بعض الأُمور إنّما هو من هذا الطريق، لا من جهة معرفتهم ونورانيّتهم.

وقلنا في البرج: إنّه كلّ شيء جالب متفوّق ظاهر عالٍ، فيكون البروج في السماء المعنويّ عبارة عن حقائق ومعارف إلهيّة وأسماء وصفات متجلّية، عليها مدار العوالم ونظم الخلقة، ولا يطّلع عليها إلّا المصطَفون الّذين اختارهم الله عبيداً وأولياء وحملة لأسراره.

وأمّا الشياطين والنفوس البعيدة عن مقام النور والرحمة: فإنّهم محرومون عن هذه المعارف والحقائق النورانيّة، إلّا بطريق الاستماع والاختلاس.

فأتبعَه شَهاب مُبين ـ راجع ـ شهب.

* * *

سرمد:

مقا ـ ومن ذلك السَّرْمد: الدائم، والميم فيه زائدة، وهو من سَرِدَ إذا وصل، فكأنّه زمان متّصل بعضه ببعض.

التهذيب ١٣ / ١٥٢ ـ الليث: السرمد دوام الزمان مِن ليـل ونهـار. وقـال الزجّاج: السرمد الدائم.

لسا ـ السرمد: دوام الزمان من ليل أو نهار. وليل سرمد: طويل. وفي حديث لقمان ـ جَوّاب ليل سرمد: الدائم الذي لا ينقطع.

* * *

والتحقيق:

أنّ هذه الكلمة على وزان فعلل أو فعمل أو فرعل، وأمّا المناسبة: فإنّ السرد بمعنى الضمّ والوصل. والسمد بمعنى الانتصاب والذهاب والدوام.

ويسبق إلى الذهن: أن يكون النظر الأخير أنسب وأولى، فإنّ زيادة الراء فيما بين السين والميم أقرب إلى التلفّظ وألين، مع أنّ التناسب في المعنى أكثر وأشدّ فيه.

إنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيكُم اللَّيْلَ سَرْمَداً إلى يَوم القِيامة ـ ٢٨ / ٧١.

إنْ جَعَلَ الله عَلَيْكُم النَّهارَ سَرْمَداً إلى يَوْم القِيامَةِ مَنْ إلٰهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُم بلَيْل ـ ٢٨ / ٧٢.

النهار لتأمين المعيشـة، والليّل لرفع مَتاعب المَشاغل وللاستراحة، ولا يـتمّ واحد منهما بدون آخـر، ولايمكن دوام الحياة إلّا بتحقّق الأمـرين، فإنّ الاستراحة للإنسان كتأمين القوى اللّازمة المصروفة لإدامة الحياة.

وترتيب نظام اللّيل والنّهار: إنّما يتحقّق بـنظم الحـركة في الأرض، وبـانتفاء الحركة الوضعيّة فيها ينتفي هذا الترتّب.

ثمّ إنّ التعبير بالسرمد دون الدوام: فإنّ السرمد يدلّ على حركة دائـمّية، أي

دوام في نوع واحد من الحركة. وأمّا الدوام: فهو يدلّ على مطلق الاستمرار.

* * *

سرى:

مصبا ـ سريتُ الليلَ وسرَيتُ به سَرْياً، والإسمُ السِّراية، إذا قطعتَه بالسير، وأسريتُ: لغة حجازيّة، ويُستعملان متعدّيين بالباء إلى مفعول، فيقال سَريتُ بزيد وأسريت به. والسرية بضمّ السين وفتحها أخصّ، يقال: سَرينا سُرْية من اللّيل وسَرْيَة، والجمع السُّرىٰ. قال أبو زيد: ويكون السرى أوّل الليل وأوسطه وآخره، وقد استعملت العرب سَرى في المعاني تشبيهاً لها بالأجسام مجازاً واتّساعاً، ـ واللّيل إذا يَسرِ ـ أي إذا يمضي، وقال البغوي: إذا سار وذهب. وسَرى عليه الهمُّ: أتاه ليلاً، وسَرى همُّه: ذهب. وقول الفقهاء: سَرى الجرح في النفس معناه دام ألمه حتّى حدث منه الموت. وسَرَى التحريمُ وسَرى العتق: بمعنى التعدية. والسَّرِيَّة: قِطعة من الجيش، فعيلة بمعنى فاعلة، لأنّها تَسْري في خفية، والجمع سَرايا وسَرِيّات. والسَّرِيّ: الجَدول وهو النهر الصغير والجمع سُريان. والسَّرِيّ الرئيس، والجمع سُراة وهو جمع عزيز لا يكاد يوجد له نظير. وسَراةُ الطريق: وسطُه ومعظمه. والسارِية: السحابة تأتي ليلاً. والسارِيةُ: الأُسطوانة، والجمع سَوارٍ.

مقا ـ سرو: باب معتلّ ومتفاوت جدّاً لا تكاد كلمتان منه تجتمعان في قياس واحد. فالسَّرْو: سخاء في مروءة، يقال سَرِي وقد سَرُوَ. والسَّرْو: كشف الشيء عن الشيء، سَرَوْتُ عنّي الثوبَ أي كشفته. والسُّرىٰ: سير اللّيل، يقال سَرَيْت وأسريتُ. وسَراة الشيء: ظهره. وسَراة النّهار: ارتفاعه. والسَّراء: شجر. والسارية الاسطوانة. وهذا الّذي ذكرناه بعيد بعضه من بعض فلذلك لم نحمله على القياس، وإذا همز كان

أبعد، يقال سرأت الجرادة: ألقت بيضها.

التهذيب ١٣ / ٥٢ ـ قال أبو إسحاق: أسرى بعبده ـ معناه سَيّر عبدَه، يقال أسرَيْت وسَرَيْت: إذا سرت ليلاً. وفي ـ واللّيْلِ إذا يَسرِ ـ معنى يسري: يمضي، وحذفت الياء لأنّها رأس آية. وقال الليث: السُّرى سَير اللّيل. والسارِية من السحاب الّذي يجيء ليلاً، وجمعها السَّواري. والسارية أسطوانة من حجارة أو آجُرّ، وعِرق الشجر يسري في الأرض. وعن ابن الأعرابيّ: السُّرى: السَّراة من الناس. وقال ابن السكّيت وغيره: سَرُؤ الرجل يَسْرُؤ، وسَرا يَسرُو، وسَرِي يَسرَى، إذا شَرُف. وسَراة الفرس: أعلى مَتنه، وتُجمع سَرَوات. والسَّرْو: الشرف. والسَّرْو من الجبل: ما ارتفع عن مَجرى السَّيْل وانحدر عن غلظ الجبل. وسَراة النهار: وقت ارتفاع الشمس في السماء. وسَرُوَ الرجل يَسْرو أي ارتفع يرتفع. وسَراة الطريق: متنه ومعظمه، ويقال استريته، إذا اخترتَه وأخذتَ سَراته، اي خِياره.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو سير بلا تظاهر وإعلان وجهر بل بالسرّ والخفاء، مادّياً أو معنويّاً.

فالمادّيّ كما في ـ فأسرِ بأهلِك بِقِطعٍ مِنَ اللَّيْل.

والمعنويّ: أسرىٰ بعَبْده لَيلاً مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إلى المَسجِدِ الأقصى.

وفي هذا المفهوم لا يلاحظ قيد الإقبال ولا الإدبار كما يلاحظ في الذهاب والمجيء والإتيان.

ولا قيد زمان معيّن كما في ـ المضيّ والتقدّم.

ولا قيد ابتداء ولا انتهاء نقطة ملحوظة فيه كما في ـ التـجاوز والدَّرّ والصَّبّ والتعدّي.

ولا قيد تقدّم أو تأخّر كما في ـ التقدّم والسبق والمسارعة.

ولا قيد الإطلاق كما في الحركة والجري.

ولا قيد القَدَم كما في المشي.

وأمّا الفرق بين هذه المادّة وموادّ ـ السُّلوك، والسَّيَلان، والسَّـير، والجَـري، والمُرور:

فالسُّلوك: هو سير على خطٍّ معيّنٍ مادّياً أو معنويّاً.

والسَّيلان: جريان في مايع من حيث هو ومن دون قيد.

والسَّير: ذهاب مطلق من دون قيد، مادّياً.

والجَرْي: حركة منظّمة دقيقة في طول مكان.

والمرور: اجتياز بشيء وعنه.

فالسَّرى: يلاحظ فيه مفهوم السَّير والسِّرّ.

ولايخفى أنّ مفهوم السير المطلق أو السرّ: مأخوذان فيما فيه حرفا الراء والسين، كما في ـ السرب، السرح، السرو، السرق، السرف، السرع، السرط، السفر، الستر، ـ راجع ـ الحركة، الجري، المجيء، الذهاب وغيرها.

فظهر أنّ تفسـير المادّة بالسَّير ليلاً أو بعِرق شـجر يسري أو بسحابة ليلاً أو بقطعة جيش تسير خفاء وباللّيل وأمثالها: بلحاظ هذا الأصل، فلابدّ من لحاظ هذا الأصل وقيده في موارد استعمالها.

وأمّا التفسير بالذهاب والمجيء والمضيّ والسَّير والإتـيان والدوام والتـعدِّي،

بطور مطلق: فمن باب التسامح.

وأمّا مفاهيم الارتفاع والشرف والعلوّ والرياسة والاسطوانة والمعظّم والظهور وأمثـالها: فمن مادّة السرو واويّاً، أو من السرء مهموزاً، فـإنّ السرو والسرء بمـعنى الارتفاع والشرف، وقد اشتبهت واختلطت هذه المعاني بين الموادّ المزبورة.

فأسرِ بأهلِك بِقِطعٍ مِنَ اللَّيْل ـ ١١ / ٨١.

ولَقَد أوحَينا إلى موسىٰ أن أسرِ بِعِبادي ـ ٢٠ / ٧٧.

فأسرِ بِعِبادي لَيلاً إنَّكُم متَّبَعون ـ ٤٤ / ٢٣.

فالإسراء في هذه الموارد لازم أن يكون سرّاً وبالإخفاء دون الجهر والإعلان، اتّقاءً من كيد العدوّ وتحفّظاً من مقابلته.

وذكر الليل يدلّ على أنّ هذا القيد غير مأخوذ في مفهوم المادّة، وإنّما يـذكر تأكيداً لمفهوم الإخفاء والاسرار.

والفَجرِ ولَيالٍ عَشْرٍ والشَّفْعِ والوَتْرِ واللَّيْلِ إذا يَسرِ ـ ٨٩ / ٤.

فإنّ الليل فيه جهة الظّلّية، والظّلّ فيه جهة الظلمة، وهو يسير سِرّاً وفي ظلمة ومن دون إجهار.

ثمّ إنّ السَّرْي في اللّيل، بلحاظ كونه منتهياً إلى الفجر والنور مطلوب جـداً، سواء كان نوراً ظاهريّاً بالإصباح، أو نوراً باطنياً بروحانيّة في القرب من الفجر.

ولا يبعد شموله على المنازل الظلمانيّة المنتهية إلى رفع الحجب للسالك حتى يرد في مراحل النور واليقين، فهو متعلّم في سبيل الهدى.

فَناداها مِن تَحتِها ألّا تَحزَني قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتكِ سَرِيّاً ـ ١٩ / ٢٤.

السريّ هذا من السرو، وأصله سريو، وهو بمعنى الشريف المـرتفع الرفـيع،

وهذا إشارة إلى أنّ الطفل الصغير الّذي لا يستطيع على جلب نفع وخير ولا على دفع ضرر وشرّ وهو تحت اختيار أُمّه وتصرّفها وتربيتها، قد جعله الله تعالى رفيعاً عالياً فوق العالم المحسوس الظاهر.

أو من الباب يائيّاً، فيكون بمعنى ـ الّذي يسير سيراً معنويّاً وهـو في طـريق الجري والحركة إلى الكمال.

وأمّا تفسير السَّريّ بجدول الماء والنَّهر: فبعيد جداً، فأوّلاً إنّه معنى مجـازيّ. وثانياً ـ إنّه لا يناسب ما قبله ـ فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذعِ النَّخلَةِ قالَت يا لَيتَني مِتُّ قَبلَ هذا وكُنتُ نَسياً مَنسِيّاً ـ فهذا الكلام في مقام إظهار التألّم والاضطراب بالنسبة إلى وقوع المخاض، لا من جهة الشرب والأكل والغذاء، فرجع النداء والجواب إلى أنّ هذا المخاض والوضع ينتهي إلى وجود طفل رفيع شريف فوق أفراد الناس، فـيعلو ذكرها ويرفع مقامها ويخضع الناس في مقابل عظمة ولدها. وثالثاً ـ إنّ الماء في تلك الأراضي كثير وفير ولا حاجة إلى إخراجه بطريق غير عاديّ.

سُبحانَ الَّذي أسرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المَسْجِدِ الأقصَى الَّذي بارَكنا حَولَه لنُرِيه مِن آياتِنا ـ ١٧ / ١.

التسبيح: هو جعل شيء على الحقّ وفي مسيره منزّهاً عن نقطة ضعف.

السجود: هو كمال الخضوع بحيث لا يبقى أثر من الأنانيّة.

الإسراء: جعل شيء في المسير سِرّاً ومن دون إعلان.

البركة: هو الفيض والخير والزيادة والفضل.

الحرام: ما يكون ممنوعاً من الأصل.

والمسجد الحرام: ذكر في القرآن المجيد في خمسة عشر مورداً، مراداً به المسجد

بمكّة فيه بيت الله. وأمّا المسجد الأقصى: فلم يذكر إلّا في مورد واحد وهو في هذه الآية الكريمة.

فالبحث في هذا الإسراء وحقيقته إنّما يقع في أمور:

١ ـ يُبتَدأ هذا الموضوع بالتسبيح: بمناسبة الإسراء، فإنّ حقيقته في هذا المورد السير الروحاني من محدودة هذا العالم الجسمانيّ الدنيويّ إلى العالم العلويّ الروحانيّ اللّاهوتي، كما أنّ التسبيح هو الاعتراف والإذعان واليقين بأنّ الله هو الحقّ وعلى الحقّ منزّهاً عن كلّ نقص وضعف. فهو تعالى يليق ويقدر بأن يُسرِي عبدَه إلى المقام الأعلى الأقصى، وهذا من شأنه.

٢ ـ يعبّر النبيّ الأكرم بالعبد: إشارة إلى أنّ هذا السير إنّما يتحقّق في مقام العبوديّة الحقّة، والعبوديّة منتهى مقام السالك، وفيه تنتفي الأنانيّة والنفسانيّة المتظاهرة ـ عَبداً مَملوكاً لا يَقدِرُ عَلى شَيء، فأوحىٰ إلى عَبده ما أوحىٰ، هوَ الَّذي يُنَزِّل عَلى عَبدِه آياتٍ بَيِّنات.

٣ ـ وقد وقع الإسراء بالليل: إشعار بأنّ الصفاء والنور الروحانيّ إنّما يتحصّل في الفراغ عن العلائق المادّية وبانتفاء التظاهرات والتجلّيات الدنيويّة، وكلّما قلّ التظاهر المادّيّ تجلّت الأنوار الروحانيّة.

وأيضاً إنّ الإسراء الروحانيّ لابدّ وأن يكون في محيط خال عن الأغيار وفي انقطاع عن المشاغل والشواغل، حتّى يتحصّل التجرّد والخلوص، فلازم أن يتحقّق في حال الخلوة وفي أوقات فارغة عن الإنس وإشراف الناس.

٤ ـ حقيقة مفهوم المسجد: مقام يتحقّق فيه الخضوع التامّ والانكسار الكامل بحيث تنتفي الأنانيّة، وهذا المفهوم يصدق في الخارج بصورة السجدة المعمولة في الصلوات وغيرها، فحلّ هذه السجدة يطلق عليه المسجد، والمسجد الحرام أفضل

المساجد الدنيويّة وأكرمها، وفيه امتياز مخصوص في الشرف والمنزلة والانتساب إلى الله المتعال.

ومصداقه في العالم الروحانيّ كلّ مقام للسالك يتحقّق فيه هذا المفهوم وتصدق فيه هذه الحقيقة، وأعلى هذه المساجد مقاماً وفضلاً هو المسجد الأقصى الّذي يتجلّى فيه منتهى حقيقة السجود، ويُبارك ما حوله، ويرى فيه آياته الباهرة المتجلّية.

فالمسجد الأقصى: مقام تحقّق حقّ الخضوع بكماله وحقيقة السجود بتمامها ونهاية مرتبة الفناء ومنتهى درجة سقوط الأنانيّة، بحيث تنتفي فيه الحجب قاطبة من ظلمانيّة ونورانيّة.

٥ ـ من المسجد الحرام: هذا المقام مبدأ الإسراء وابتداء المسير، وهو في عين كونه أشرف وأفضل المساجد والمقامات الظاهريّة: متّصف بكونه حراماً، أي ممنوعاً في نفسه ومحدوداً في ذاته ومقيّداً بقيود معلومة من جهة السكنى والورود والخروج والآداب والأعمال والطاعات، فالإسراء من هذه المحدودة يواجه أموراً معضلة، ولا سيّما إذا كان منتهى السير المقصد الأسنى والمسجد الأقصى، وهذا المعنى من مظاهر القدرة ومن الآيات البيّنة الإلهيّة ـ نَرفعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاء.

وظاهر الآية الكريمة وقوع الإسراء من المسجد الحرام، لا من بلدة مكّة من بيت النبيّ (ص)، ولا نحتاج إلى تأويل.

ولا يبعد أن يكون الإسراء بمرّات عديدة، يشير إلى كلّ منها وإلى خصوصيّاته آية أو رواية خاصّة واردة، ولا حاجة لنا إلى حصره بمرّة واحدة ثمّ تأويل جميع الآيات والروايات إليها.

٦ ـ باركنا حولَه: إشارة إلى أنّ ما حول هذا المقام والنزول فيه بفضل منه تعالى ورحمة زائدة وفيض وتوجه خاصّ، ولا يمكن لسالك أن يصل إلى هذا المقام ويستغرق

في هذا البحر العميق الزخّار إلّا بإسرائه وتأييده، وتحت تربيته ولطفه وفضله.

فهذا مقام خارج عن السير الطبيعيّ والإمكانيّ للبشر ـ يَهدي بِهِ مَن يَشاء.

٧ ـ لِنُرِيَه مِن آياتِنا: يُشعر بأنّ شهود الآيات الخاصّة له تعالى إنّما يتحصّل بعد الوصول إلى هذا المقام، فإنّ من لم ينقطع عن نفسه وعن أنانيّته وعمّا يتعلّق به حقّ الانقطاع: كيف يمكن له شهود آيات الحقّ ومعاينة تجلّيات الجلال والجمال كما هي ـ إذ يَغشَى السِّدرةَ ما يَغشىٰ ما زاغَ البَصرُ وَما طَغى، لَقَد رَأىٰ من آيات ربِّهِ الكُبرى.

٨ ـ الإسراء: قلنا إنّه سيرٌ سِرّاً، وهذا الإسراء كذلك، وهو جريان خاصّ وفضل مخصوص ولطف ممتاز ورحمة رحيميّة، لا يُنال به إلّا من اختاره الله في الأوّل وفي مقام التربية ثانياً.

ويناسب هذه الحقيقة ذكر السبّوحيّة المقتضية للإفاضة المناسبة، وذكر العبوديّة المشعرة بتحقّق الاقتضاء في المورد ووجود الاستعداد الخاصّ، وذكر المسجد مشيراً إلى تحقّق حالة الخضوع التامّ وانتفاء الأنانيّة.

٩ ـ وأمّا تفسير المسجد الأقصى بمسجد القدس في بيت المقدّس: فلا يلائم المورد. فأوّلاً ـ فإنّ الأقصى بمعنى الأبعد الأعلى، ومسجد القدس ليس بأبعد مسجد من مكّة المكرّمة.

وثانياً ـ إنّ الإسراء إلى مسجد القدس أمر ماديّ ظاهريّ ولا فائدة فيه أزيد ممّا في تشرّف ورحلة اليه، ولا سيّما أن ذلك المسجد وتلك الأراضي كانت تحت سلطة من إيران والرّوم، بين نفوذ مسيحيّة وزدشتيّة، وذلك في زمان سابور ذي الأكتاف.

وثالثاً ـ إنّ الآية مصرّحة بأنّ الإسراء كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فيكون منتهى السير هو المسجد الأقصى، وأمّا ما فوقه من عوالم أُخر فلا

يدلّ عليه هذا الكلام الشريف.

ورابعاً ـ إنّ السير إلى ما فوق المسجد الأقصى إمّا في جهة مادّية أو روحانيّة: فالأوّل لا يفيد عروجاً معنويّاً ومعرفة إلهيّة أزيد ممّا في السير في الأرض. والثاني لا يلائم السَّير في الجهة الأُولى.

وخامساً ـ إنّ الإسراء المادّي لا يلائم كلمات ـ سُبحان، أسرَى، عَبد، المسجد، اللّيل، المبارَكة ـ إراءة الآيات.

١٠ ـ إنّ هذا الإسراء كان روحانيّاً في جسمانيّة: بمعنى أنّ مشاهدة تلك العوالم والآيات كانت في اليقظة، لا في حال النوم ولا في عالم التجرّد والانقطاع الكامل الخارجيّ عن البدن، بل بالشهود في حال التعلّق خارجاً بالبدن، أي شهود القلب مع كونه متعلّقاً بالبدن ومتوجّهاً إليه، وإن شئت فعبِّر بحال الجمع في الجمع، وهذا المعنى إنّما يتحقّق للخواصّ من الأولياء وهو المرتبة القصوى والحدّ الأعلى من الشهود.

ولعلّ هذا المعنى هو المراد من كون المعراج جسمانيّاً.

١١ ـ إنّ مشاهدة ما شوهد في المعراج: ليس للبدن فيه أدنى تأثير، ولا حاجة في هذا المعنى إلى إسراء البدن، بل وهو رفيق سوء في هذا المسير، بل ولا حاجة إلى السير المكانيّ الظاهريّ، فإنّ السّماوات والأرض قاطبة مادّية محدودة جسمانيّة ظلمانيّة، وليس في إسرائها مزيد فائدة.

وهذا خلاصة ما يعبّر بهذه الكلمات القاصرة ممّا يشاهده بعض أهل المعرفة واليقين في خصوص هذه الآية الكريمة ـ فتدبّر فيها.

وأمّا الروايات الواردة الصحيحة: فتنزيلات وتأويلات على لسان القوم كما في سائر الحقائق والمعارف المربوطة بعوالم ما وراء المادّة، فلابدّ من تنزيلها إلى صور

تلائم المادّة وأهلها ـ كلِّموا النّاسَ عَلى قَدر عقولهم.

ومع هذا فالاحتياط في الدِّين يقتضي أن يُرجَع كلّ ما لا يُعرَف علماً يقينيّاً، إلى عالم الغيب والشهادة، وهو العليم الخبير.

* * *

سطح:

مقا ـ سطح: أصل يدلّ على بسط الشيء ومدِّه، من ذلك السطح معروف. وسطح كلّ شيء: أعلاه الممتدّ معه، ويقال انسطح الرجل: إذا امتدّ على قفاه فلم يتحرّك، ولذلك سمّي المنبسط على قفاه من الزَّمانة سَطيحاً، وسَطيح الكاهن سمّي سَطيحاً، لأنّه كذلك خُلق بلا عظم. والمَسْطح: الموضع الّذي يبسط فيه التمر. والمِسطح: الخِباء، والجمع مَساطح، وإنّما سمّي بذلك لأنّه تُمدّ الخيمة به مدّاً. والسَّطيحة: المَزادة، وإنّما سمِّيت بذلك لأنّه إذا سقط انسطح، أي امتدّ.

مصبا ـ سطح البيت وغيره: أعلاه، والجمع سطوح. وانسطح الرجل امتدّ على قفاه زمانة ولم يتحرك، فهو سَطيح. وسطحت التمر من باب نفع بسطته. والمِسطح: عمود الخيمة.

صحا ـ السطح: معروف، وهو من كلّ شيء أعلاه، وسطَح اللهُ الأرض سَطحاً: بَسَطها. وتسطيح القبر: خلاف تسنيمه. وأنف مُسَطَّح: مُنبسط جدّاً. والسَّطيحة والسَّطيح: المَزادة. والسَّطيح: المُستلقي على قفاه من الزَّمانة. والسُّطّاح: نبت، الواحدة سُطّاحة، والمِسطَح: الصفاة يُحاط عليها بالحِجارة فيجتمع فيها الماء.

أسا ـ سَطَح الشيءَ: بسطه وسوّاه، ومنه ـ سَطَح الخُبزَ بالمِسطح وهو المِحور. وسطح الثَّريدة في الصحفة. ومنه ـ سَطْح البيت وسَطْح مُسَطّح: مستو. وبسط لنا

المِسطح والمَساطِح وهو الحصير من الخوص. وضربه فسطَحه: إذا بطحه على قفاه ممتدّاً، فانسطحَ وهو سَطيح ومُنسطِح، وبه سمّي سَطيح. وضربه بالمِسطَح وهو عمود الخِباء. وشرب من السَّطيحة وهي المَزادة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو البسط مع الاستواء، وهذا هو الفرق بينها وبين البسط والاستواء والمدّ.

وإطلاق السطح على أعلى البيت: فإنّ السطح في قبال الجدران المرتفعة عموداً، فهو ما يُبسط ويُستوى فوق الجدران.

وأمّا المِسطح بمعنى عمود الخباء: فإنّ العمود كالجدار ويبسط فوقه الخباء.

وأمّا مفهوم المدّ: فباعتبار لحاظه في ضمن البسط.

وأمّا إطلاق المِسطح على نفس الخباء إن صحّ: فلعلّ الخباء قبل البسط والاستواء، وهو المراد، فإنّه آلة للانبساط.

وإلى الأرضِ كيفَ سُطِحَتْ ـ ٨٨ / ٢٠.

أي بُسطت واستَوت حتّى جُعلت مهيّأة للحياة الإنسانيّة والحيوانيّة، وللنباتات.

* * *

سطر:

مقا ـ سطر: أصل مطَّرِد يدلّ على اصطفاف الشيء، كالكتاب والشجر، وكلّ شيء اصطفّ. وأمّا الأساطير فكأنّها أشياء كتبت من الباطل فصار ذلك إسماً لها، مخصوصاً بها. يقال: سطّر فلان علينا تسطيراً: إذا جاء بالأباطيل، وواحد الأساطير

إسطار وأُسطورة. وممّا شذّ عن الباب: المُسيطِر وهو المتعهّد للشيء المتسلِّط عليه.

مصبا ـ سطرت الكتاب سطراً من باب قتل: كتبته. والسطر الصفّ من الشجر وغيره، وتفتح الطاء في لغة بني عجل فيجمع على أسطار، ويُسكن في لغة الجمهور فيجمع على أسطُر وسُطور.

التهذيب ١٢ / ٣٢٦ ـ ابن السكّيت: فمن قال سَطْر: فجمعه القليل: أسطُر، والكثير: سُطور. ومن قال سَطَرْ: جَمَعَه أسطاراً. وقال الليث: يقال سَطَرٌ مِن كُتب، وسَطْرٌ من شجر مغروس ونحو ذلك. وقال الزجّاج: في ـ وقالوا أساطيرُ الأوَّلين: خبر لابتداء محذوف. قال: وواحد الأساطير أُسطورة كما قالوا أُحدوثة وأحاديث. وقال اللحياني: واحده: أُسطور وأُسطورة وأسطير، ويقال سَطْر ويجمع إلى العشرة أسْطار ثمّ أساطير جمع الجمع. وقال الليث: سَطَّر فلان علينا تسطيراً، إذا جاء بأحاديث تُشبه الباطل، يقال هو يُسطِّر ما لا أصل له، أي يؤلّف. وسَطَر يَسْطُر إذا كتب. ويقال سطر فلان فلاناً بالسيف سَطَراً إذا قطعه به، كأنّه سَطْر مَسْطور، ومنه قيل لسيف القصّاب ساطور. قال الفرّاء: في ـ أم هُم المُسيطِرون: كتابتها بالصاد وقراءتها بالسين وبالصاد، ومثله ـ لستَ عليهم بمُصيطِر، ومثله ـ بسطة وبصطة. وقال الزجّاج: المُسيطِرون ـ الأرباب المسلّطون، يقال قد تسيطر علينا وتصيطر، والأصل السين، وكلّ سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً، نقول سطر وصطر، وسطا عليه وصطا. وقال الليث: السيطَرة مصدر المسيطِر وهو كالرقيب الحافظ المتعهّد للشيء.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الاصطفاف مع النظم في كتابة أو إنسان أو

شجر أو أحاديث أو غيرها مادّياً أو معنويّاً.

يقال سَطرٌ من الكتاب ومن الشجر ومن الأحاديث ومن الإنسان ومن الكتاب المحفوظ ومن اللوح ومن الوحي.

وأمّا الأُسطورة والإسطارة والأسطير: فمزيدة وتدلّ على زيادة وإضافة عن السطر الطبيعي، وهو السطر المجعول. وهكذا التسطير وهو جعل السطر، أي السطر المصنوع المجعول.

والاستطار افتعال يدل على اختيار السطر، وهو مُستطِرٌ ومُستَطَرٌ، والسَّيْطَرة ملحق بباب فَعْلَلةٍ: بمعنى الاصطفاف في قبال شيء وعليه.

والطُّورِ وكتابٍ مَسْطورٍ في رَقّ مَنشور - ٥٢ / ٣.

كانَ ذلِكَ في الكِتاب مَسْطُوراً - ١٧ / ٥٨.

يراد مطلق ما يكتب ويضبط فيه الأُمور والجريانات الواقعة والأحكام اللّاحقة والمقدّرات المربوطة، وهذا الكتاب إمّا تكوينيّ أو تدوينيّ أو أنفسيّ، وكلّ منها فيه يضبط أمور مربوطة به، فالقرآن كتاب تدوينيّ مسطور فيه الأحكام التكليفيّة والضوابط الأخلاقيّة والمعارف الإلهيّة. والنفس الإنسانيّ كتاب مسطور فيه ضوابط الصفات والخُلقيات والطبايع والقوى، وكلّما اشتدّ الروح قوّة وكمالاً اشتدّ احتواءً وضبطاً، إلى أن يقال إنّه كتاب مبين جامع المراتب والمقامات.

فكلّ كتاب في اللّاهوت يحتوي ما لا يحتويه الكتاب الجبروتي، وكلّ ما في الجبروت يحتوي ما لا يضبطه الكتاب الملكوتيّ، وهكذا إلى أن يصل إلى عالم اللفظ والتدوين، فالتدوين ظهور وتجلّي من التكوين.

فمراتب ما وراء التدوين: لا يتصوّر فيها لفظ وكلام ومادّة وتزاحم وتكاثف،

بل هي من التكوينيّات، وكلّما قلّ فيه الحدود ازداد قوّة ونوراً وضبطاً، إلى أن ينتهي إلى الحيّ القيّوم العزيز العليم المحيط ـ راجع الكتاب.

ن والقَلَمِ وَما يَسطُرون ـ ٦٨ / ١.

الكتاب مسطور وفيه جهة القابليّة والقلم ساطر وفيه جهة الفاعليّة، وبه يتجلّى النظم والضبط.

ولا يبعد أن تكون هذه الجملة الكريمة ناظرة إلى قوله تعالى ـ يوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتونة ... نورٌ عَلى نورٍ يَهدي اللهُ لِنورِهِ ـ ٢٤ / ٣٥.

فيكون القلم إشارة إلى الشجرة المباركة، فإنّ القلم ما يقطع من الشجرة ويكون آلة للكتابة وغيرها، والنون إشارة إلى النور وعليه نور، (الله نورُ السَّماواتِ والأَرْض)، والتعبير بالنون المجرّد إشارة إلى تجرّده الكامل، كما يقال هُو بإشباع الهاء.

ثمّ إنّ النور يساوي عدده ـ ٢٥٦، وبيّنته الباطنيّة ـ ٢٠٦ = و ـ ر، وهذا يساوي عدد الملفوظ الظاهر من ـ والقلم ـ ٢٠٦، والقلم متجلّي ومتظاهر من النور الأصيل المجرّد، وهذا ليس من تفسير الآية.

وأيضاً إنّ عدد النون ـ ٥٠، وهو أوّل سَنة من الخلافة الحقّة للإمام عليّ (ع) بناء على أنّ وفاة النبيّ (ص) كانت في سنة ٢٥ من البعثة، وعمره ـ ٦٥ سنة، كما في بعض التواريخ والسير المعتبرة.

وأيضاً إنّ عدد ٥٠ باسقاط المرتبة يكون ٥، فيكون إشارة إلى الخمسة أهل الكساء من أهل البيت، وهم من مصاديق القلم.

وأمّا صيغة الجمع في ـ وَما يَسطُرون: فإنّ القلم للجنس، مضافاً إلى أنّ النون أيضاً مصداق حقيقيّ وأصيل من الساطر.

هذه ذوقيّات في هذه الآية الكريمة، والعلم عند الله المتعال.

وكُلُّ شَيْءٍ فَعلُوه في الزُّبُرِ وكُلُّ صَغيرٍ وكَبيرٍ مُستَطَرَ ـ ٥٤ / ٥٣.

أي كلّ شيء وأمر صغير أو كبير موضوعاً أو حكماً فهو على مختار كونه على صفّ ونظم في البُعد الطوليّ والعرضيّ والذاتي، فلا يخرج شيء ما عن كونه في سطر، فهو مسطور على أيّ حال وفي أيّ جهة.

إنْ هذا إلّا أساطيرُ الأوَّلين ـ ٦ / ٢٥.

وقالوا أساطيرُ الأوَّلينَ اكتَتَبها فَهي تُملَى عَلَيْه بُكرة وأصيلاً ـ ٢٥ / ٥.

أي سطور زائدة مصنوعة مجعولة من الماضين، وليست منسوبة إلى الله أو الوحي أو القلم.

إنَّما أنتَ مُذَكِّرٌ لَستَ عَلَيهم بمُصَيْطِرِ ـ ٨٨ / ٢٢.

أي وعليك التذكرة والتنبيه وبيان الحقائق، وليس لك إعمال الحكومة والسيطرة والقيام على اصطفافهم ونظمهم وتدبير أمورهم جبراً وبالسلطة. فالسيطرة هو السطر بالغلبة والحكومة والقهر والاستعلاء.

وزيادة الياء في السطر للإلحاق بالرباعيّ: تدلّ على الاستيلاء والقهر، فإنّ الياء يدلّ على النفوذ والتعمّق، وانكسار الطرف.

* * *

سطو:

مقا ـ سطا: أصل يدلّ على القهر والعلوّ. يقال: سطا عليه يسطو، وذلك إذا قهره ببطش. ويقال فرس ساطٍ: إذا سطا سائر الخيل. والفحل يسطو على طَروقته. ويقال سطا الماء إذا كثر.

مصبا ـ سطا عليه وبه يسطو سَطواً وسَطوة: قهره وأذلّه وهو البطش بشدّة. وسطا الماءُ: كثر.

الجمهرة ٣ / ٢٩ ـ السَّطْو: مصدر سَطا يَسْطو سَطْواً، والإسم السَّطْوة، وسطا الفحل إذا صال. وفرس ساطٍ: إذا رفع ذنبه في حُضره (عَدْوه).

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصول والحملة بالقهر. وإذا استعملت بحرف على تدلّ على الاستعلاء أيضاً، بخلاف ما إذا استعملت بحرف الباء فتدل على الرّبط فقط.

وإذا تُتلىٰ عَلَيهم آياتُنا بَيِّناتٍ تَعرِف في وُجوه الَّذينَ كَفَروا المنْكَر يَكادونَ يَسطون بالَّذينَ يَتلونَ عَلَيهم آياتِنا ـ ٢٢ / ٧٢.

أي يصولون بالقهر بالنسبة إلى الّذين يتلون عليهم الآيات.

ولمّا لم يكن لهم استعلاء عليهم عبّر متعلّقاً بالباء.

* * *

سعد:

مصبا ـ سَعِد فلان يَسعَد من باب تعب في دين أو دُنياً سَعداً، والفاعل سَعيد، والجمع سُعَداء، والسَّعادة إسم منه، ويعدّى بالحركة في لغة فيقال سَعَدَه الله يَسْعَدُه، فهو مَسعود، وقرئ في السبعة بهذه اللغة في قوله تعالى ـ وأمّا الَّذينَ سُعِدوا، بالبناء للمفعول. والأكثر أن يتعدّى بالهمزة فيقال أسعَده الله. وسَعُد بالضمّ خلاف شقي.

والساعد هو العضد، والجمع سواعد، وساعَدَه مساعَدة بمعنى عاونه.

مقا ـ سعد: أصل يدلّ على خير وسرور خلاف النحس، فالسَّعْد: اليُمن في الأمر. والسَّعْدان: نبات من أفضل المرعى. وسعود النجم عشرة، مثل سعد بُلَع وسعد الذابح، وسُمّيت سعوداً ليُمنها. هذا هو الأصل. ثمّ قالوا لساعد الإنسان ساعد، لأنّه يتقوّى به على أموره، ولهذا يقال ساعده على أمره، إذا عاوَنه، كأنّه ضمّ ساعده إلى ساعده.

التهذيب ٢ / ٦٩ ـ روي عن النبيّ (ص): إنّه كان يقول في افتتاح الصلاة ـ لبَّيك وسَعْدَيك والخير في يدَيْك والشرّ ليس إليك. فأمّا لبّيك: فهو مأخوذ من لبّ بالمكان وألبّ إذا أقام به، لَبّاً وإلباباً، كأنّه يقول: أنا مقيم في طاعتك إقامة بعد إقامة، ومساعدة لك ثمّ مساعدة وإسعاداً لأمرك بعد إسعاد، وأصل الإسعاد والمساعدة: متابعة العبد أمر ربّه. والسَّاعد: ساعد الذِّراع وهو ما بين الزَّنْدين والمِرْفَق، سمِّي ساعداً لمساعدته الكفّ إذا بطشت شيئاً أو تناولته. أبو عمرو: السَّواعد مجاري البحر الّتي تصبّ إليه الماء، واحدها ساعد. والسَّعْد: ضدّ النحس يقال: يَوم سَعد ويوم نَحْس. والسُّعود: مصدر كالسعادة. ابن المظفّر: سَعِد يَسعَد سَعْداً وسَعادة، فهو سَعيد، نقيض شَقِي.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو حالة تقتضي الخير والفضل والصّلاح، وهذا المعنى إمّا في ذات من حيث هو، تكويناً واستعداداً، وإمّا في عمل من جهة توفيق الأعمال الصالحة.

ويقابل هذا المفهوم: الشّقاء والنحوسة، أي حالة شدّة وعناء وكلفة تمنع عن

الخير والصلاح والفضل والسلوك إلى الكمال.

وأمّا جملة ـ لبّيك وسَعْديك: فمفهومها قياماً لك وفي محضرك وفي الخدمة والعمل لك، والفعل مقدّر = أُلبّ لبّاً.

وفي حالة مهيّأة للعمل الصالح والسلوك إليك وطلب الفضل والكمال، بمعنى وجود الاقتضاء والتهيّؤ للخير والصلاح = أسعَدُ سَعْداً.

يَومَ يَأت لا تكَلّمُ نَفسٌ إلّا بإذنِه فمِنهُم شَقيٌّ وسَعيدٌ، فأمّا الَّذينَ شَقُوا فَفي النّار لَهُم فيها زَفيرٌ وشَهيق، ... وأمّا الَّذينَ سُعِدوا فَفي الجَنَّة خالِدين فيها ـ ١١ / ١٠٨.

أي لا تقدر نفس أن تُظهر ما في نفسها من إحاطة العظمة والسطوة والهيبة، إلّا أن يؤذَن بالإظهار، فيومئذ يكون الناس على صنفين، إمّا شقيّ وهو في حالة الشدّة والعناء، فهو بمقتضى تلك الشدّة والكلفة يكون له زفير وشهيق وهو في النار.

وإمّا سعيد وهو في حالة الشوق إلى اللقاء والعلاقة بالروحانيّات، فهو بمقتضى تلك الحالة الفعليّة له مستقرّ في الجنّة.

فظهر أنّ السعادة لها ثلاث مراحل، الأُولى ـ السعادة الفطريّة الذاتيّة بحسب اقتضاء الأسباب والعلل، من الخصوصيّات في الوالد والأُمّ والزمان والمكان والغذاء والرحم والتحوّلات فيها، إلى أن يستعدّ لنفخ الروح، فهو في تلك الحالة بعد هذه التحوّلات والشرائط والمقتضيات إمّا له درجة من السعادة أو في منزلة من الشقاء.

والثانية ـ السعادة المكتسبة بالأعمال والعبادات والطاعات والرياضات، فإنّ كلّ نفس مكلّفة بمقدار وسعها وعلى ما آتاها، والعمل الصالح بأيّ كيفيّة كان وفي أيّ مقام وحالة: يؤثّر في إيجاد السعادة، ويوجب قوّة وروحانيّة وانشراحاً في الصدر.

والثالثة ـ السعادة الفعليّة المتحصّلة من المرحلتين الذاتيّة والمكتسبة: وهي

المتظاهرة في الآخرة، وهي مَبنى الثواب والعقاب.

فقوله تعالى ـ فَمِنهُم شَقيّ وسَعيد: يراد الشقاوة والسعادة الفعليّتان، لا ما كان مراداً في الحياة الدنيا، وعلى هذا يعبّر بقوله ـ ففي النار، ففي الجنّة، لا بقول ـ يَدخلون إلى النار والجنّة، فإنّهم بمقتضى اتّصافهم بهما فعلاً فقد استقرّوا في النار والجنّة، لا أنّهم يستقرّون بعد.

وأمّا التعبير في ـ سُعِدوا، بصيغة المجهول: إشارةً إلى أنّ السعادة كانت من الله المتعال وبتأييده وتوفيقه كما في المرحلتين الأوليين، وهذا بخلاف الشقاوة فإنّها بسوء الاختيار وفي نتيجة سوء العمل.

وأمّا تقديم الشقاء: فإنّ المقام لبيان أحوال المشركين والظالمين.

* * *

سعر:

مصبا ـ سعّرت الشيءَ تسعيراً: جعلت له سعراً معلوماً ينتهي إليه، وأسعرته لغة. وسَعَرْتُ النارَ سَعْراً من باب نفع، وأسعرتها إسعاراً: أوقدتها، فاستعرَتْ.

مقا ـ سعر: أصل واحد يدلّ على اشتعال الشيء واتّقاده وارتفاعه. من ذلك السعير، سعير النار، واستعارُها: توقّدها. والمِسعر: الخشب الّذي يُسعر به، والسُّعار: حرّ النار. ويقال سُعِر الرجل إذا ضربته السَّموم. وسَعَرْتُ النارَ وأسعرتها فهي مُسعَرة ومَسعورة، ويقال استَعر اللّصوص، كأنّهم اشتعلوا. ومن هذا الباب السُّعر وهو الجنون، وسمِّي بذلك لأنّه يستعر في الإنسان، ويقولون ناقة مَسعورة، وذلك لحدّتها كأنّها مجنونة. فأمّا سِعر الطعام فهو من هذا أيضاً لأنّه يرتفع ويعلو.

صحا ـ سَعرتُ النار والحربَ: هيّجتُها وألهبتها، وقرئ ـ **وإذا الجَحيمُ سُعِرَتْ**، وسُعِّرَتْ أيضاً للمبالغة. وسَعَرْناهم بالنبل: أحرقناهم وأمضَضْناهم. والمِسْعَر والمِسْعار: الخشب الّذي تُسعَر به النار، ومنه قيل للرجل: إنّه مِسعرُ حَرب، أي تُحمى به الحرب. ومَساعِر الإبل: آباطها وأرفاغُها. واستَعر الجرب في البعير: إذا ابتدأ بمَساعِره. واستَعرت النار وتسعَّرَتْ أي توقّدت، والسَّعير: النار. **في ضلال وسُعُر** ـ قال الفرّاء: العَناء والعذاب، والسُّعُر أيضاً: الجنون.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو شدّة حرارة مع الالتهاب، والسَّعير هو الشديد حرارةً والملتهب.

والفرق بين هذه المادّة وموادّ ـ التوقّد والاشتعال والالتهاب والغليان والتهيّج والإمضاض والتحرّق والحرارة والحمّ والحمى:

أنّ الحرارة ضدّ البرودة، وهو معنى عامّ بلا قيد.

والحمّ والحمى: الحرارة الشديدة، ولعلّ الحمى قد أخذت من الحمّ وتستعمل غالباً في الحرارة الباطنيّة كالعطوفة ـ راجع الحمى.

والتحرّق: فوق الحمّ، بحصول التهيّج والتحرّك في الأجزاء قريباً من الالتهاب.

والالتهاب: فوق التحرّق، وهو التحرّق الشديد الخالص من الدخان.

والغليان: يلاحظ فيه جهة الجيش من حيث هو.

والتهيّج: يلاحظ فيه جهة الانبعاث والثوران.

والإمضاض: يلاحظ فيه الإيلام والإيجاع وإيجاد المشقّة.

والاشتعال والتوقّـد: إنّما يحصـلان بعد التحرّق، وهو التـلألؤ في النـار، وفي الإشتعال تلألؤ وتظاهر شديد.

وإذا الجَحيمُ سُعِّرَتْ وإذا الجَنَّةُ أُزلِفَتْ ـ ٨١ / ١٢.

فالتسعير إنّما يتحقّق في موضوع الجحيم، وقلنا في الجحيم: إنّه شدّة الحـرارة بالغة حدّ التوقّد، فالتسعّر وهو الالتهاب في حرارة هو بعد الجحم.

إلى عَذابِ السَّـعير، مِن أصحابِ السَّعير، وفَريقٌ في السَّـعير، وسَـيَصلَوْنَ سَعيراً، لِمَنْ كَذَّبَ بالسّاعَة سَعيراً.

يراد ما يكون في شدّة من الحرارة مع الالتهاب.

ويستفاد هذا المعنى أيضاً من موارد استعمالها في:

مَأواهُم جَهَنَّم كُلَّما خبَتْ زِدناهُم سَعيراً ـ ١٧ / ٩٧.

ومِنهُم مَن صَدَّ عَنه وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعيراً ـ ٤ / ٥٥.

فإنّ الخبى انخفاض الصولة وانكسار اللّهب والحدّة، وأصله الستر مع الانكسار. وجهنّم إسم لما فيه مضيقة وكلوح وغلظة.

إنَّ المُجرِمينَ في ضَلال وسُعُر ـ ٥٤ / ٤٧.

صيغة الجمع باعتبار المجرمين، والمجرم من انقطع عن الله تعالى بالخلاف والعصيان، ومن ينقطع عن مبدأ الرحمة والنور والحياة الروحانيّة: فقد ضلّ عن سبيل السعادة والفلاح وهو في السعير.

فالسعير في مقابل الجـنّة: فإنّ الجـنّة ما يُغطّى ويُلَفّ تحت الأشجار مـادّيةً، وتحت ظلال الرحمة والعطوفة معنويّة، ويقابلها السعير.

❊ ❊ ❊

سعى :

مصبا ـ سعَى الرجل على الصدقة يَسْعى سعياً: عمِل في أخذها من أربابها. وسعى في مَشيه: هرول. وسعى إلى الصلاة: ذهب إليها على أيّ وجه كان. وأصل السعي: التصرّف في كلّ عمل. وسعى على القوم: ولي عليهم. وسعى به إلى الوالي: وشَى به. وسعى المُكاتب في فك رقبته سعاية، وهو اكتساب المال ليتخلّص بـه. واستسعيته في قيمته: طلبت منه السعي. والفاعل ساعٍ.

صحا ـ سعى الرجل يَسْعى سَعْياً أي عدا، وكذلك إذا عَمِل وكَسَب، وكلّ من وَلِي شيئاً على قوم فهو ساعٍ عليهم، وأكثر ما يقال ذلك في وُلاة الصدقة. والمَسْعاة واحدة المَساعي: في الكلام والجود. والسِّعو: الساعة من اللّيل، يقال مضى من اللّيل سِعوٌ. وساعاني فلان فسعيته أسعيه، إذا غلبته فيه.

مفر ـ السَّعي: المشيُ السريع وهو دون العَدْو، ويُستعمل للجَدّ في الأمر خيراً كان أو شرّاً. قال تعالى ـ وسَعى في خَرابها، نورُهم يسعَى بينَ أيدِيهم. وأكثر ما يستعمل السعي في الأفعال المحمودة. وخُصّ السعي فيما بين الصفا والمروة من المشي. والمساعاةُ بالفجور.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو مرتبة من الجهد، فإنّ الجهد كما سبق هو السعي البليغ إلى أن ينتهي النهاية.

وهذا المعنى يختلف في الموارد، ففي كلّ شيء بحسبه: ففي المشي والسَّير: إنّما يتحقّق بالتصميم وتهيئة المقدّمات وعدم التساهل في الحركة. وفي الكسب والتجارة:

بالدقّة والاستقامة والمراقبة. وفي فكّ الرقبة: بتحصيل المقدّمات من المال وغيره.

وهكذا السعي في تحصيل الكمال والوصول إلى المقصود، وفي البلوغ إلى العيش المادّيّ أو الأُخرويّ، وفي سبيل الفساد والخراب أو الإصلاح، فالجهد في كلّ موضوع بحسب ما يناسبه.

ولعلّ هذا مراد من يفسّرها: بالتصرّف في كلّ عمل، أي بتغييرات وتحوّلات وتردّدات ومجاهدات حتّى يوفَّق في منظوره.

وأمّا مفاهيم العَدْو والهرولة والذهاب وغيرها: فمن المصاديق.

وأمّا السِّعوة: فكأنّها من مادّة السوع والساعة بالتبديل.

وأمّا السَّعي بين الصّفا والمروة: بالهرولة والذهاب والرجوع وغيرها فإنّ هذا جهد بعد الإحرام والطواف ليبلغ المقصود.

والَّذينَ سَعَوْا في آياتنا مُعاجِزين ـ ٢٢ / ٥١.

آيات الله لا بدّ وأن يُتوقّف فيها ويُتفكّر ويُتذكّر ويُتعقّل، لا أن يُتردّد ويُذهب ويُجهد ويُسعى فيها.

وإذا تُليت عَلَيهم آياتُه زادَتهُم إيماناً، إنَّما يُؤمِن بآياتنا الَّذينَ إذا ذُكِّروا بِها خَرّوا سُجَّداً.

مضافاً إلى أنّ نيّتهم في هذا السعي هي المعاجزة وتضعيف الآيات وتحقيرها. فكلمة معاجزين: حال.

وأن لَيسَ للإِنسانِ إلّا ما سَعىٰ ـ ٥٣ / ٣٩.

الَّذينَ ضَلَّ سَعيُهم في الحَياة الدُّنيا ـ ١٨ / ١٠٤.

ومَن أرادَ الآخِرَةَ وسَعىٰ لَها سَعْيَها وهوَ مؤمِن فأُولئِكَ كانَ سَعيُهم مَشكوراً ـ ١٧ / ١٩.

سبق في سعد: أنّ السعادة لها ثلاث مراحل: سعادة ذاتيّة تكوينيّة، وسعادة مكتسَبة تحصيليّة، وسعادة متحصِّلة أُخرويّة، وكلّ منها إنّما ينتج ويؤثّر ويتحقّق له فعليّة وثبوت: إذا تحقّقت السعادة الاكتسابيّة، فإنّ بهذه السعادة تتمّ السعادة الذاتيّة وتحيي الفطرة السليمة وتتحقّق لها فعليّة، وفي نتيجة هذا التحقّق في هذه المرحلة: تتحقّق المرحلة الثالثة الأُخرويّة، وإذا انتفت السعادة الاكتسابيّة وضلّ السعي في الحياة الدنيا واكتساب الأُمور المادّية: انتفت السعادة كلّاً ولم يتحصّل منها شيء.

فليس شيء ينفع للإنسان في الآخرة إلّا سعيٌ سعى لها في الدنيا، حتّى يحفظ فطرته الأصيلة السليمة ويقوّيها ويكمّلها بالسعادة الاكتسابيّة.

يَومَ يَتَذَكَّرُ الإنسانُ ما سَعىٰ ـ ٧٩ / ٣٥.

وأنّ سَعيَه سَوفَ يُرىٰ ـ ٥٣ / ٤٠.

إنَّ السّاعَةَ آتيَةٌ أكادُ أُخفِيها لتُجزَىٰ كُلُّ نَفسٍ بِما تَسعىٰ ـ ٢٠ / ١٥.

يَومَ تَرى المؤمنينَ والمؤمناتِ يَسعىٰ نورُهُم بينَ أيديهِم ـ ٥٧ / ١٢.

والَّذينَ آمَنوا مَعَه نورُهم يَسعَىٰ بَيْنَ أيديهم وبأيمانهم ـ ٦٦ / ٨ .

فإنّ المؤمن هو المنقطع عن العلائق النفسانيّة والمرتبط المتعلّق بالله عزّ وجلّ، ومن يرتبط به تعالى ويجعل نفسه خالصاً طاهراً عن الشوائب والحجب: استعدَّ للاستفاضة والاستنارة، ويكون جميع أُموره وأعماله وحركاته على بصيرة ونور من الله تعالى، فيتجلّى نور وجوده، وتتظاهر أشعّة حياته الخالصة الروحانيّة.

وجَعَلنا لَهُ نوراً يَمشي به في النّاسِ كَمَنْ مَثلهُ في الظُّلماتِ لَيسَ بخارجٍ مِنها.

وإطلاق السَّعي في هذا المورد: باعتبار شدّة تلألؤه وقوّة ظهوره أي النور، في جميع أموره وحركاته المتوالية.

والمراد من النور فيما بين الأيدي والأيمان: تلألؤه وتجلّيه في طول المسير وهو أمام السالك، وفي عرضه وهو جنبه.

وينطبق ما في أمامه: على المعارف والحقائق والمقامات الّتي فوق مقامه. وما في أيمان: على صفات كريمة وأعمال مرضيّة له.

* * *

سغب:

مقا ـ سغب: أصل واحد يدلّ على الجوع، فالمَسْغَبة: المَجاعة، يقال سَغِب يَسغَب سُغوباً، وهو ساغب وسَغبان. قال بعض: لا يكون السَّغَب إلّا الجوع مع التعب. وربّما سمّي العطش سَغَباً، وليس بمستعمل.

أسا ـ هو ساغِب لاغب، وقد سَغَب وسَغِبَ، وبه سَغَبٌ ومَسغَبة وسَغابة: جوع مع تعب، وهو سَغبان، ويوم ذو مَسغبة، وتقول: لو بقي الليث في الغابة لمات من السَّغابة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الجوع الشديد مع انتفاء الموادّ الغذائيّة في ذلك المحيط والناس في مضيقة.

فَكُّ رَقَبة أو إطعامٌ في يَوم ذِي مَسْغَبَةٍ يَتيماً ذا مَقرَبَة أو مِسْكيناً ذا مَترَبَة ـ ٩٠ / ١٤.

أي إطعام يتيم قريب أو مسكين فقير عاجز في يوم يصاحب المضيقة والمجاعة.

* * *

سفح :

مقا ـ سفح: أصل واحد يدلّ على إراقة شيء، يقال سفَح الدمَ إذا صبَّه. وسفَح الدم: هراقَه. والسِّفاح: صبّ الماء بلا عقد نكاح، فهو كالشيء يُسفَح ضَياعاً. وأمّا سَفح الجبل: فهو من باب الإبدال، والأصل فيه صفح. والسَّفيح: أحدُ السهام الثلاثة الّتي لا انصباء لها، وهو شاذّ عن الأصل.

صحا ـ سفح الجبل: أسفلُه حيث يُسفَح فيه الماء وهو مُضطَجعُه. وسفحتُ الماءَ: هرقته. وسفحتُ دمَه: سفكته. والسِّفاح: الزِّنا، يقول سافَحها مسافَحة وسِفاحاً. والسَّفيح: سهم من سِهام المَيْسر ممّا لا نصيب له.

أسا ـ ماء سافح ومَسفوح، وفلان سَفّاح: سفّاك للدماء، وسفحَت العينُ دمعَها. وجَفن سَفوح. وللوادي مَسافح: مَصابّ، ونزلنا بسفح الجبل، وهو ما اضطجع منه، كأنّما سُفِح منه سفحاً.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصَّبّ فيما من شأنه المحفوظيّة، وهو يقابل الحَصانة وهو الحفظ المطلق في الظاهر والمعنى، فالسَّفح أيضاً يكون أعمّ من المادّيّ والمعنويّ.

والفرق بين هذه المادّة وبين موادّ ـ السَّقط والصَّبّ والسَّكب والسَّفك:

أنّ السقط هو نزول شيء من العلوّ دفعة وبلا اختيار.

والصَّبّ انحدار من فوق مادّياً أو معنويّاً وبلا قيد.

والسَّكب مطلق انحدار في مادّة بدون لحاظ جهة الحصانة.

والسَّفك انحدار يلاحظ فيه جهة العُدوان.

فتفسير المادّة بهذه الكلمات تقريب في المعنى لا تحقيق فيها.

وقلنا إنّ السَّفح في مقابل الحَصْن: والحَصْن هو المحفوظيّة في الظاهر والباطن من حيث هي. فيكون السفح عدم كون شيء محفوظاً في نفسه، بل متجاوزاً عن حدّ العفّة والوقار والعصمة، ولم يعصم نفسه. وإذا استعمل من باب المفاعلة: فيدلّ على الاستمرار وزوال العفّة، ويلازم هذا المعنى: ما يفسَّر السفاح بالفجور والزنا.

وأُحِلَّ لَكُم ما وراءَ ذلكُم أن تَبتَغوا بأموالكُم مُحصِنينَ غَيرَ مسافِحين ... وآتوهنَّ أُجورَهنَّ بالمعروف مُحصَناتٍ غَيرَ مُسافِحات ولا متّخذاتِ أخدانٍ فإذا أُحصِنَّ ـ ٤ / ٢٥.

يراد انحدار العصمة والعفّة والحفظ عن محدودتها، وهذا في قبال الحصانة.

ولا يخفى أنّ الحصانة في الرجال: بمعنى واحد وهو حفظ عفاف النفس. وأمّا في النساء: فظاهريّ ومعنويّ، فالظاهريّ: هو الحصانة بالتزويج ومن ناحية الزوج. والمعنويّ: هو التحفّظ والتعفّف.

فالمحصَنات عند الإطلاق: يراد منها معناها المطلق أو معناها الظاهريّ الخارجيّ، وبالقرينة تحمل على المراد.

قُل لا أجدُ فيما أُوحِيَ إليَّ مُحرَّماً على طاعِمٍ يَطعمُه إلّا أن يكونَ مَيتَةً أو دَماً مَسفوحاً أو لحمَ خِنزير ـ ٦ / ١٤٥.

يراد ما ينحدر من الدم بالذبح، فإنّه محرَّم، دون ما يبقى في ضمن اللحوم.

فظهر لطف التعبير بالمادّة دون ما يرادفها.

* * *

سفر :

مصبا ـ سفَر الرجل سَفْراً من باب ضرب، فهو سافر، والجمع سَفْر، مثل صاحب وصَحب، وهو مصدر في الأصل، والإسم السَّفَر، وهو قطع المسافة، يقال ذلك إذا خرج للارتحال أو لقصد موضع فوق مسافة العدوى، واستعمال الفعل وإسم الفاعل منه مهجور، وجمع الإسم أسفار، وسافَر مسافَرة: كذلك، وكانت سَفْرته قريبة، وقياس جمعها سَفَرات. وسَفَرت الشمسُ سَفْراً: طلعت. وسفرت بين القوم أسفِرُ سِفارةً: أصلحت، فأنا سافر وسفير. وقيل للوكيل ونحوه سَفير، والجمع سُفَراء، وكأنّه مأخوذ من قولهم ـ سَفَرت الشيءَ: إذا كشفتَه وأوضحته، لأنّه يوضِح ما يَنوب فيه ويكشفه. وسَفَرَت المرأة سُفوراً: كشفت وجهها، فهي سافر بغير هاء. وأسفر الصبح إسفاراً: أضاء. وأسفر الوجه من ذلك إذا علاه جمال. وأسفر الرجل بالصلاة: صلّاها في الأسفار. والسُّفرة: طعامٌ يُصنع للمسافر، والجمع سُفَر، وسمّيت الجِلدة الّتي يوعَى فيها الطعام سُفرة مَجازاً.

مقا ـ سفر: أصل واحد يدلّ على الانكشاف والجلاء. من ذلك السَفَر، سمّي بذلك لأنّ الناس ينكشفون عن أماكنهم. والسَّفْر المسافرون. ومِن الباب وهو الأصل سفرتُ البيتَ: كنسته، ولذلك يسمّى ما يسقط من ورق الشجر: السفير، وإنّما سمّي سفيراً لأن الريح تسفره. وأمّا قولهم: سَفَر بين القوم سِفارة إذا أصلح: فهو من الباب لأنّه أزال ما كان هناك من عداوة وخلاف. وسفرت المرأةُ عن وجهها إذا كشفته. وأسفَر الصبح: وذلك انكشاف الظلام. ووجه مُسفِر: إذا كان مُشرِقاً سُروراً، ويقال

استَفرت الإبل: تصرّفت وذهبت في الأرض. والسَّفر: الكتابة، والسَّفَرة: الكَتَبَة، وسمّي بذلك لأنّ الكتابة تُسفر عمّا يُحتاج إليه.

الاشتقاق ١٦٦ ـ مسافِر: مُفاعل من السَّفَر. والسَّفْر: القوم المسافِرون، لا يُتكلّم بواحده، لا يقال سافر وسَفْر، وهو الأصل. وقد يجمع سَفر سفّاراً، ولم يقولوا رجل سافر، في معنى السَّفَر، اقتصروا على مسافِر، يقال: سافر الرجل يُسافر سفاراً ومسافَرة. والسَّفْر: الكتاب من التوراة والإنجيل وما أشبههما، والجمع أسفار. والسفير: الماشي بين القوم في الصلح. سفَر يسفر سَفارة. والسَّفير: ما طرحته الرِّيح من وَرَق الشجر. والسِّفار: حديدة شبيهة بالحَكَمة يجعل على خطم البعير، وبعيرٌ مِسفر: قويّ على السفر. وسَفرَت المرأةُ عن وَجهها تَسفِر سفراً لا غير، وكذلك سَفَر الصبح وأسفَر.

مفر ـ السفر: كشف الغطاء، ويختصّ ذلك بالأعيان نحو سَفَر العمامةَ عن الرأس، والخمارَ عن الوجه، وسفر البيتَ: كنسه بالمِسفر، أي المِكنس. والإسفار يختصّ باللّون، نحو والصُّبح إذا أسـفَر أي أشرق لونـه. والسِّفر: الكتاب الّذي يُسفِر عن الحقائق. والسفير: الرسول بين القوم يكشف ويزيل ما بينهم من الوحشة. فالرسول والملائكة والكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم ما استبهم عليهم.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحركة إلى محيط خارج عن محدودته، وهذا القيد ملحوظ في جميع موارد الاستعمال.

ففي السَّفَر: خروج عن محدودة الوطن، وهو في قبال الحَضَر.

ومن ذاك المعنى السفير: وهو خروج عن محيط يتوطّن فيه إلى محيط خارج،

ويلاحظ فيه هذه الخصوصيّة فقط، وأمّا الرسالة والإبلاغ والعمل بوظائف خاصّة، أو قيد الخروج من جانب شخص معيّن وغيره: فإنّما يستفاد بقرائن أُخر، فيقال إنّه سفير من جانب تلك الحكومة. وظيفته العمل والمذاكرة على طبق هذا المحيط، بأيّ نحو وخصوصيّة يوافق صلاح حكومته ووطنه.

وهذا هو الفارق بينه وبين الوكيل والرسول والنبيّ والمصلح.

وأمّا الفرق بينه وبين المسافر: فإنّ فاعَلَ يدلّ على استمرار السفر وإدامته، كما في المسافرة العرفيّة، والسفير ليس له إلّا خروج من محيط وورود إلى محيط معيّن.

وأمّا السُّفرة: كاللُّقمة بمعنى ما يُسفَر به، وهو الطعام وظرفه.

وأمّا السِّفر بمعنى الكتاب: فهو مخصوص بكتاب سماويّ، فكأنّه خرج من محيط روحانيّ علويّ ونزل في محيط دنيويّ، وإطلاقه في الكتب المتداولة مجاز.

وأمّا السَّفير بمعنى الورق الساقط: فمن ذاك الأصل.

وأمّا مفهوم الكَنس: فهو باعتبار إخراج ما هو من الزوائد، والمِسفرة هي المِكنسة.

وأمّا مفهوم كشف الوجه: فهو باعتبار خروج المرأة عن محدودة العفاف إلى محيط ووضع مخالف، وليس الكشف بخصوصه من الأصل.

وأمّا مفاهيم الإيضاح والإضاءة والجمال وانكشاف الظلام والإشراق وما يماثلها: فمن لوازم الأصل في موارد استعماله، والأصل ما قلناه.

والصّبح إذا أسفَر ـ ٧٤ / ٣٤.

وجوهٌ يَومئذٍ مُسفِرة ضاحِكَةٌ مُستَبشِرَة ـ ٨٠ / ٣٨.

أي إذا جَعلَ الصبحَ محيطاً سافِراً وأخرجه من محدودة الظلمة إلى الضياء

والإشراق والانكشاف.

ووجوه يوم القيامة تكون ضاحكة بتحوّل حالتها وتبدّلها إلى حالة نـاعمة، وخروجها إلى النور والسرور والانشراح، فتدخل إلى محيط وسيع روحانيّ نورانيّ.

وقلنا في السابق إنّ الملحوظ في صيغة أفعَلَ: هو جهة الصدور، بمعنى أنّ النظر فيها إلى قيام الفعل بالفاعل وصدوره منه.

وإذا أُريد من الصبح: تجلّي النور وظهورُه، ومن الوجوه: ما يكون فيه وجهة من الله تعالى: فيُشـار إلى مقام روحانيّ يرتفع فيه الظلام، وتتحصّل فيه المرابـطة، وتتحقّق الاستنارة والاستشراق.

مَثَل الَّذينَ حُمِّلوا التّوراةَ ثُمَّ لَم يَحمِلوها كَمَثَل الحِمار يَحملُ أسفاراً ـ ٦٢ / ٥.

أي يحمل كتباً سماويّة نازلة من الله تعالى فيها حقائق ومعارف يهتدي بها من يشاء إلى الحقّ والسعادة والكمال والنور.

ويؤيّد ما ذكرنا من معنى السفر: ذكر التوراة في المورد، وأنّ الكتب المعمولة في الفنون المختلفة لا تزيد لمن راجعها بصيرة واهتداء، وأنّهم في تركهم الكتب السماويّة وعدم استفاضتهم منها كالحمار الحامل أسفاراً سماويّة.

في صُحُف مُكَرَّمَة مَرفوعَةٍ مُطهَّرة بأيدي سَفَرة كِرام بَرَرة ـ ٨٠ / ١٥.

جمع سافر وهو من يخرج من محيط إلى محيط خارج، كالرسول المبعوث المرسل، والملك المرسل المبعوث، والسَّفَرة هم المبعوثون من جانب الله تعالى وبأيديهم كتب وصحف سماويّة، يبلّغونها إلى الناس.

والتعبير بالسَّفَرة دون النبيّ والرسول: إشارة إلى أنّهم قد بُعثوا خارجين من مقام فوق عالم المادّة، وليسوا من أهل الدنيا المحجوبين.

فَمَن كانَ مِنكُم مَريضاً أو عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ ـ ٢ / ١٨٤.

وإن كُنتُم عَلى سَفَرٍ ولَم تَجِدوا كاتِباً ـ ٢ / ٢٨٣.

التعبير بالسفر دون المسافرة: إشارة إلى أقلّ مرتبة منه يتحقّق فيه السفر ويصدق فيه هذا المفهوم من دون توقّف على استمراره، وأمّا التعبير بالمادّة دون ألفاظ أُخر: إشارة إلى أنّ المَبنى في الحكم هو تحقّق معنى السفر وهو الخروج من الموطن والبُعد عنه إلى أن يدخل في محيط خارج، والمقدار المسلّم في تحقّق هذا المعنى هو البلوغ إلى حدِّ ثمانية فراسخ، فإذا قصد الإنسان هذا المقدار من المسافة: فهو في سفر.

فالمناط هو الخروج عن الموطن قاصداً أو واصِلاً إلى المسافة. وأمّا كيفيّة السَّفر وخصوصيّته وسائر جهاته من جهة المدّة والمركب والزمان وغيرها: فليس لها موضوعيّة وتأثير في الحكم.

فالفرق بين المركب السريع والبطيء والمقدار الزمانيّ: خارج عن المنظور ومَبنى الحكم وحدود الموضوع.

فالسفر كالمرض له موضوعيّة كما في موارد تلك الآيات أيضاً.

وإن كُنتُم مَرضىٰ أو عَلى سَفَرٍ أو جاءَ أحَدٌ مِنكُم، وإن كُنتُم عَلى سَفَرٍ ولَم تَجِدوا.

فإنّ الكون على سفر إذا لم يوجد ماء ولا كاتب هناك يوجب تغيّر التكليف.

* * *

سفع:

مقا ـ سفع: أصلان، أحدهما لون من الألوان، والآخر تناول شيء باليد. فالأوّل ـ السُّفعة وهي السواد قيل للأثافيّ سُفع، ومنه قولهم ـ أرى به سُفعة من غضب، وذلك إذا تمعَّر لونه. والسَّفعاء: المرأة الشاحبة، وكلّ صَقر أسفع، وكان الخليل

يقول: لا تكون السُّفعة في اللّون إلّا سواداً مشرَباً حُمرة. وأمّا الأصل الآخر ـ فقولهم سَفعتُ الفرسَ إذا أخذتَ بمقدّم رأسه وهي ناصيته. ويقال سفع الطائر ضريبته، أي لَطَمه، وسفعتُ رأس فلان بالعصا، هذا محمول على الأخذ باليد.

الاشتقاق ٩٧ ـ والسَّفع أن يأخذ الرجلان كلّ واحد منهما بناصية صاحبه، وأصل السَّفع الجذب، يقال اسفَعْ بيده، أي خُذ بيده. وكان بعض قضاة البصرة مولِعاً بأن يقول: يا حرسيّ اسعفاً بيده، وسفعت بناصية الفرس، إذا أخذتها بشمالك وألجمتَه بيمينك، ويقال سفَعَتْه النارُ تَسفَعه سَفعاً، إذا مسّت جلده فأثّرت فيه.

ص ١٣٢ ـ مُسافِع: من السَّفع وهو الأخذ بالناصية. والسُّفعة حُمرة فيها كدرة وسواد.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو القبض الشديد، يقال سفَعَ بيده وبناصيته، وبه من الغضب سُفعة أي انقباض شديد، وفي لونه سُفعة أي انقباض في زهرته.

وأمّا مفاهيم ـ الأخذ والضّرب واللّطم والتناول والجذب: فهي من آثار الأصل ولوازمه في الموارد المختلفة.

وأمّا قيد الناصية: فهو مأخوذ من استعمال الكلمة في القرآن الكريم في ذلك المورد، وهذا اللحاظ كثيراً ما يوجب خلطاً لأهل اللغة، حيث قيّدوا اللغات بالقيود الموجودة في موارد استعمال المادّة في كلام الله تعالى.

وأمّا الناصية وفرقها مع الجبهة والجبين والنزعة والصُّدغ:

فإنّ الجبهة: ما فوق الحاجبين إلى الناصية، وطرفاها يسمّى بالجبين.

والناصية: ما فوق الجبهة وهو مقدّم الرأس وفيه الشعر.

وطرفاه البياضان وهما النزعتان ويقابله القفا من الرأس. والصُّدغ: تحت الجبين.

كَلّا لَئِن لَم يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بالناصِيَة ناصِيَةٍ كاذبةٍ خاطِئَةٍ ـ ٩٦ / ١٦.

إن لم يَنتهِ عن النواهي والزواجر، لنقبضه قبضاً شديداً في الظاهر وفي المعنى، أمّا في الظاهر فبالقبض بناصيته، بحيث لا يقدر أن يتحرّك إلى جانب ويميل إلى ناحية ويتفكّر في أموره، فهو مغلوب مقهور تحت سلطة القابض المقتدر. وأمّا المعنويّ: فإنّ مقدّم الرأس مركز الإحساسات والإدراكات والتوجّهات، فإذا قبضت الناصية بيد غيبيّ إلهيّ جبّار: يكون محدوداً ومقيّداً ومحكوماً ومأخوذاً بأخذ عزيز مقتدر، وفي هذا عذاب أليم ليس فوقه عذاب.

* * *

سفك:

مقا ـ سفك: كلمة واحدة، يقال: سَفَكَ دمَه يسفكه سَفْكاً: إذا أساله، وكذلك الدمع.

مصبا ـ سَفَكَ الدم والدمع سَفكاً من باب ضرب، وفي لغة من باب قتل: أرقته، والفاعل سافِك، وسَفّاك مبالغة.

مفر ـ السفكُ في الدم: صبّه، وكذلك في الجوهر المُذاب وفي الدمع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو انحدار وصبّ فيه نظر عُدوان، كما سبق في السفح، وأكثر استعماله في الدم.

قالوا أتَجعَلُ فيها مَن يُفسِد فيها ويَسفِك الدِّماءَ ـ ٢ / ٣٠.

الفساد في إخلال النظم التشريعيّ ونقض القوانين الإجتماعيّ والعرفيّ. وذلك إذا يتجاوز الحدّ يبلغ حدّ الإخلال في التكوين كسفك الدماء.

وإذْ أخَذنا ميثاقكُم لا تَسفِكون دِماءَكُم ولا تخرجون أنفسكُم مِن ديارِكُم ـ ٢ / ٨٤.

الخطاب لبني إسرائيل.

والتعبير بالمادّة دون الإماتة: فإنّ الحياة والموت من النظام، وأمّا سفك الدماء: فيدل على إخلال في النظام بقصد التجاوز والعدوان، وعلى أشدّ ظلم وعصيان ومنكر وطغيان.

* * *

سفل:

مقا ـ سفل: أصل واحد وهو ما كان خلاف العلوّ. فالسُّفل: سُفل الدار وغيرها، والسُّفول: ضدّ العُلوّ، والسَّفِلة: الدون من الناس، يقال هو من سَفِلة الناس ولا يقال سَفِلة، والسَّفال نقيض العَلاء، وإنّ أمرهم لفي سَفال. ويقال قعد بسُفالة الريح وعُلاوتها، والعُلاوة من حيث تَهُبّ. والسُّفالة ما كان بإزاء ذلك.

مصبا ـ سَفَل سُفولاً من باب قعد، وسَفُلَ من باب قَرُب لغة صار أسفل من

غيره، فهو سافل، وسَفَل في خُلقه وعَمله سَفلاً وسَفالاً من باب قتل، والإسم السُّفل بالضمّ. وتَسفّل خلاف جاد، ومنه قيل للأراذل سَـفِلة، وفلان من السَّـفِلة، ويقال أصله سَفِلةُ البهيمة وهي قوائمها، ويجوز التخفيف فيقال سَفْلة مثل كَلِمَة وكَلْمَة، والسُّفل خلاف العُلو، والكسر لغة.

أسا ـ سَفِلَ الحجرُ وغيره سُفلاً. ومررتُ بعالِية النَّهر وسافلته ونزلوا في أعالي الوادي وأسافِله. ونزل أسفل منّي. وسَفِلة البعير سالمة وهي قوائمه. وأنا أسكن في معلاة مكّة وفلان في مَسفلتها. وسَفّلَ الشيءَ: صَوَّبَه. ومن المجاز ـ سَفِلت منزلته عند الأمير، وأمره كلّ يوم إلى سَفال. وقد سَفُل في العلم والنّسب واستفل وتسفّل. وهو من السَّفِلة. ومَن قال السِّفلة فهو على وجهين: أن يكون تخفيف السَّفِلة كـاللِّبْنَة في اللَّبِنةَ، وجمعَ سَفيل كعِلْية في جمع عَليّ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل العلوّ.

وسبق في ـ تحت: أنّ تحت في مقابل الفوق، ويستعمل في المنفصل كما أنّ السفل يستعمل في ما يتصل وهو مفهوم نسبيّ في مقابل العلوّ.

وقلنا في ـ دون: هو يدلّ على الغيريّة مع التسفّل.

ثمّ إنّ المادّة تسـتعمل في المادّيات وفي المعـنويّات: أمّا المعـنويّات، فكما في: وَجَعَلَ كلمةَ الَّذينَ كَفَروا السُّفلى وكَلمةُ الله هيَ العُليا ـ ٩ / ٤٠.

أي موهـونة ضعيفة خالية عن القـوّة والبرهان، فإنّها خلاف الحقّ وخلاف

النظام والفطرة والحقائق الثابتة.

رَبَّنا أرِنا اللَّذَيْنِ أضَلّانا مِن الجنّ والإنس نَجْعَلْهُما تَحْتَ أقدامِنا لِيَكونا مِن الأسْفَلين ـ ٤١ / ٢٩.

أي من الّذين يستقرّون في المنازل السافلة من منازل الآخرة، والدرجات فيها غير مادّية.

وأمّا المادّيات فكما في: لَقَد خَلَقنا الإنسانَ في أحسَن تَقويم ثُمَّ رَدَدناهُ أسفَلَ سافِلينَ إلّا الَّذينَ آمَنوا وعَمِلُوا ـ ٩٥ / ٥.

إشارة إلى جريان حياة الإنسان المادّية، فإنّه خلق على أحسن تقويم وأكمل ترتيب ونظم جامع لجميع ما يحتاج إليه من الجوارح والأعضاء والقوى والجمال، ثمّ يردّ في آخر سنين من عمره إلى تحليل القوى والضعف في البدن حتّى يموت ويفنى جميع أعضائه وبدنه بالكلّية ولا يبقى منه جمال ولا صورة.

فلا يعتمد على الحياة المادّية الدنيويّة وزينتها وجمالها، إلّا أن تكون قائمة بالحياة الروحانيّة ـ إلّا الَّذينَ آمَنوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنون.

وهكذا قوله تعالى: فَلَمّا جاءَ أمرُنا جَعَلنا عالِيها سافِلَها ـ ١١ / ٨٢.

وأمّا ما يحتمل فيه الأمران فكما في: إنَّ المنافِقينَ في الدَّرَكِ الأسفلِ مِن النّار ـ ٤ / ١٤٥.

فيعمّ الحياة الدنيا وحياتهم الآخرة، فإنّ النِّفاق لا يزيد لصاحبه إلّا اختلالاً واغتشاشاً في الفكر، وسلب الاعتماد والاطمينان والتصديق له في جامعة الناس، فهو مضطرب دائماً في الدنيا. ويحشر في الآخرة في زمرة المنكرين والمخالفين الكافرين.

* * *

سفن :

مصبا ـ السفينة معروفة، والجمع سَفين وسفائن، ويجمع السَّفين على سُـفُن، وجمع السفينة على سَفين شاذّ لأنّ الجمع الّذي بينه وبين واحده الهاء: بابه المخلوقات مثل تمرة وتمر ونخلة ونخل، وأمّا في المصنوعات: فمسموع في ألفاظ قليلة، ومنهم مَن يقول: السَّفين لغة في الواحدة، وهي فعيلة بمعنى فاعلة لأنّها تسفن الماء أي تقشره. وصاحبها سَفّان.

مقا ـ سفن: أصل واحد يدلّ على تنحية الشيء عن وجه الشيء كالقَشْر. قال ابن دُريد: السَّفينة فعيلة بمعنى فاعلة لأنّها تَسْفن الماءَ كأنّها تقشره. وأصل البـاب السَّفن وهو القشر، يقال سفَنْت العودَ أسفِنُه سَفناً. والسَّفَن: الحديدة الّتي يُنحَت بها وسفنَت الرِّيح التراب عن وجه الأرض.

التهذيب ١٣ / ٤ ـ ابن السِّكّيت: السَّفْن القشر، يقال سفنه يَسْفِنه سَفْناً: إذا قشره. والسَّفَن والمِسفن والشَّفْر: شِبه قَدوم يُقشَر به الأجذاع. وقيل: السَّفَن جـلد السمك الّذي يُحلّ به السياط والقِدحان، ويكون على قائم السيف. وقال الليث: وقد يُجعل من الحـديد ما يُسفن به الخشب. والريح تَسفُن التراب تجعله دُقاقاً. وقال أبو عبيد: السَّوافِن الرياح الّتي تَسفِن وجهَ الأرض كأنّها تمسحه، وقال غيره: تقشره. ابن الأعرابي: قيل لها سفينة لأنّها تسفن بالرمل إذا قلّ الماء، فهي فعيلة بمعنى فاعلة، وتكون مأخوذة من السَّفَن وهو الفأس الّذي ينجر به النجّار.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحـد في هذه المادّة: هو الحركة مـع التـنحية والقـشر، ومـن

مصاديقه الرياح العاصفة الّتي تُنحّي الزوائد عن وجه الأرض وتزيلها، والفأس أيضاً يزيل بالحركة قشر العود الّذي هو زائد، والسفينة الجارية على وجه الماء تنحّي عنه كلّ ما على وجه الماء بالحركة.

وأمّا السَّفَن وهو الجلد الخشن يجعل على قائمة السَّيف أي مقبضه: فباعتبار النحت والقشر في القائمة حتّى يتّصل بها ويساويها، أو بلحاظ أنّ ذلك الجلد مقشور من سمك لهذا المنظور.

ولا يبعد أن يكون اللفظ مأخوذاً من العبريّة، فإنّ الكلمة فيها قريبة منه.

قع ـ (سِفيناه) سفينة، مَركب، زورق.

فعلى هذا لا نحتاج إلى إثبات تناسب بين الكلمة والمادّة ـ سفن.

حَتَّى إذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقها ـ ١٨ / ٧١.

فأنجيناهُ وأصحابَ السَّفينَةِ وجَعَلناها آيَةً ـ ٢٩ / ١٥.

أي أنجيناهم من الطوفان العامّ، وجعلنا السفينة وجريان نجاتهم من بين هذه البليّة آية للعالَمين.

* * *

سفه:

مقا ـ سفه: أصل واحد، يدلّ على خفّة وسخافة، وهو قياس مطّرِد، فالسَّفَه ضدّ الحِلم، يقال ثوب سَفيه، أي رديء النَّسج. ويقال تَسفّهت الريحُ، إذا مالت. ويقال تسفّهتُ فلاناً عن ماله، إذا خدعته كأنّك مِلت به عنه واستخففته. وذكر ناس أنّ السَّفَه أن يُكثر الإنسان من شُرب الماء فلا يُروى، وهذا إن صحّ فهو قريب من ذاك القياس.

مصبا ـ سَفِه سَفَهاً من باب تعب، وسَفُه سَفاهة فهو سَفيهٌ والأُنثى سَفيهة،

والجمع سفهاء. والسَّفَه: نقص في العقل وأصله الخفّة. وسفِه الحـقَّ: جهله. وسفّهته تسفيهاً: نسبته إلى السَّفَه أو قلت له إنّه سفيه.

التهذيب ٦ / ١٣١ ـ قال الله تعالى ـ **إلّا مَن سَفِه نَفسَه**: قلت ـ قال الأخفش: أهل التأويل يزعمون أنّ المعنى ـ سَفَّه نفسَه. وذهب يونس: إلى أنّ فَعِل للمبالغة، كما أنّ فعَّل للمبالغة، ويجوز على هذا القول سَفِهتُ زيداً بمعنى سفَّهت زيداً. وقال أبو عبيدة: معنى سَفِه نفسَـه أهلَك نفسَه وأوبَقها، وهذا غير خارج من مَذهـب يونس وأهل التأويل. وقال الكسائي والفرّاء: إنّ نفسَه منصوب على التفسير، وقالا: التفسير في النكرات أكثر، نحو طبتُ به نفساً، وقَرِرتُ به عَيناً. وقيل: معناه ـ إلّا مَن سـفِه في نفسه، إلّا أنّ في حُذفت كما حذفت حروف الجرّ في غير موضع. وقال الزجاج: القول الجيِّد عندي في هذا: أنّ سَفِه في موضع جَهِل. وقال بعض أهل اللغة: أصل السَّفَه: الخفّة، ومعنى السفيه الخفيف العقل. ومن هذا يقال ـ تسفَّهَت الرياح الشيء: إذا حرّكته واستخفّته فطـيّرته. ويقال: ناقـة سفيهة الزِّمام إذا كانت خفيفة السَّـير. أبو عبيد: سَفِهتُ الماءَ إذا أكثرت منه ولم تَرو. وقال غيره: سافَهتُ الشرابَ إذا أسرفتَ فيه. وفي حديث ثابت عن النـبيّ (ص): الكِبر أن تَسْفهَ الحـقَّ وتَغْمِطَ الناسَ. وقال أبو زيد: امرأة سفيهة من نِسوة سَفائِه وسَفيهات وسُفُه وسِفاهٍ، ورجل سَفيه من رجال سُفَهاء وسُفَّه وسِفاه. ويقال سفه الرجل يَسفُه فهو سَفيه، ولا يكون هذا واقعاً، وأمّا سَفِه: فإنّه يجوز أن يكون واقعاً، والأكثر فيه أن يكون غير واقع أيضاً.

مفر ـ السَّفَه: خفّة في البدن، ومنه قيل زمان سفيه: كثير الاضطراب، وثوب سَفيه: رديء النَّسْج. واستعمل في خفّة النفس لنقصان العقل، وفي الأمور الدنـيويّة وفي الاُخرويّة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الاختلال، وأكثر استعماله فيما يقابل العقل والحلم، وقد يستعمل في اختلال الأُمور المادّية.

ثمّ إنّ الفعل منها من باب فَعُل: لازم دائماً، يقال سَفُه يسفُه فهو سفيه، وأمّا من باب فَعِلَ وفَعَل: فقد يستعمل متعدّياً.

وأمّا مفاهيم ـ الخفّة والسخافة والرداءة والميل والخدعة والنقص والجهل والاضطراب والإسراف: فمن آثار الأصل ولوازمه في الموارد.

وأمّا شرب الماء: فيستعمل في مورد الشرب من غير تقدير وميزان.

وَلا تؤتوا السُّفَهاءَ أموالكُم الَّتي جَعَلَ الله لَكُم قياماً ـ ٤ / ٥.

فإن كانَ الَّذي عَلَيْه الحقُّ سَفيهاً أو ضَعيفاً ـ ٢ / ٢٨٢.

يراد الاختلال في العقل.

قالوا أنؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ، ألا إنَّهُم هُم السُّفَهاء ـ ٢ / ١٤.

قالَ المَلأُ الَّذينَ كَفَروا مِن قَومه إنّا لَنَرَاكَ في سَفاهَةٍ، قالَ يا قومِ لَيسَ بي سَفاهَة ولكنِّي رَسولٌ ـ ٧ / ٦٧.

ولا يخفى أنّ اختلال العقل أمر باطنيّ معنويّ، ويستدلّ عليه بآثاره المشاهدة في الأعمال والأفكار والآراء، وقد يختلف النظر والحكم فيها باختلاف المحيط والتفكّر مادِّيّاً أو معنويّاً، فمن كان برنامج أموره في حياته راجعاً إلى المادّيات والحياة الدنيويّة والتمايلات النفسانيّة: فهو ضعيف العقل ومختلّ في تعقّله وتشخيصه ما يُصلحه ويُفسده.

هذا بالنسبة إلى الواقع والحقيقة، وأمّا في نظر أهل الدنيا المتوغّلين فيها: فهم

عاقلون يعملون بما هو صلاح وخير لهم في العاجلة، بل إنّهم يُسفِّهون مَن يجاهد في تأمين الحياة الروحانيّة والدارِ الآجلة الآخرة.

فظهر أنّ تشخيص الخير والصلاح من أتمّ آثار العقل وأكملها، وهذا التشخيص إنّما يختلف باختلاف مراتب العقل ـ كُلُّ حِزبٍ بِما لَدَيْهِم فَرِحون.

فالسفيه بالنظر الحقّ الصائب القاطع: هو الّذي يميل عن سعادة نفسه وكماله وصلاحه وحسن عاقبته وتأمين حياته الروحانيّة.

وَمَنْ يَرْغبُ عَن مِلَّةِ إبراهيمَ إلاّ مَن سَفِهَ نَفسَه ـ ٢ / ١٣٠.

قلنا إنّ سفه بكسر العين يستعمل لازماً ومتعدّياً: فعلى اللزوم يكون ما بعده تمييزاً، كما في ـ طِبتَ النفسَ يا قيسُ، أي نفساً، وغبنَ رأيَه، أي رأياً. أو هو منصوب بنزع الخافض كما في ـ وأن تَسترضِعوا أولادَكم. وعلى التعدية يكون ما بعده مفعولاً به، أي أخلّ نفسه وأخرجه عن المسير الحقّ.

وهذا ما يقال، ولكنّ التحقيق أنّه منصوب بنزع الخافض باصطلاح النحاة وحقيقته: أنّ المفعول فيه إمّا في مورد زمان أو في مورد مكان، أو في مورد موضوع، أو عمل. فالأوّل كما في ـ جئت يومَ الجمعة. والثاني كما في ـ جلستُ مَجلسَ زيد. والثالث كما في ـ تسترضِعوا أولادَكم. والرابع كما في ـ عجبتُ أنّ زيداً قائم، أي عجبت قيامه. فالمنصوب بنزع الخافض: نوع من المفعول فيه، وحرف في مقدّر فيها في المعنى لا حقيقةً.

وجملة ـ سَفِه نفساً: من قبيل النوع الثالث، بمعنى أنّ السَّفَه يتحقّق في مورد النفس، وهذا التعبير آكد وأبلغ في الدلالة على المطلوب، ولا سيّما صيغة فَعِلَ بكسر العين الدالّ على النفوذ والرسوخ والتحقّق والثبوت.

* * *

سقر :

مقا ـ سقر: أصل يدلّ على إحراق أو تلويح بنار، يقال سَقرَتْه الشـمسُ، إذا لوّحَتْه. ولذلك سمِّيت سقر، وسقَرات الشمس: حرورها. وقد يقال بالصاد.

مفر ـ سَقرَتْه الشمس، وقيل صقرَتْه، أي لوّحَتْه وأذابَتْه، وجُعل سَـقَر إسم علم لجهنّم ـ ما سَلَكَكُم في سَقَر. ولمّا كان السَقَر يقتضي التلويح في الأصل: نبّه بقوله ـ وما أدراك ما سَقَر لا تُبقي ولا تَذَر لوّاحة للبشر: أنّ ذلك مخالفٌ لِما تَعرِفه من أحوال السَّقر في الشاهد.

الجمهرة ٢ / ٣٣٤ ـ وسقرَتْه الشمسُ تَسْقره سَقْراً، بالسين والصاد، إذا آلَمَتْ دماغه. ومنه اشتقاق سَقَر، ولم تتكلّم بسَقَر إلّا بالسين، وأمّا السَّقْر والصَّقْر: فقد جاء بالسين والصاد.

صحا ـ سَقَراتُ الشمسِ: شدّة وَقعها. وسَقَرَتْه الشمسُ: لَوّحته، ويوم مُسَقَّر ومُصَقَّر: شديد الحرّ. وسَقَر: إسم من أسماء النار.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحرارة الشديدة بحيث يوجب تغيّراً في لون أو صفة، وهذا المعنى قريب من الحمّ وقبل التوقّد والاشتعال والالتهاب والتحرّق، راجع السعر.

إنْ هذا إلّا قولُ البَشَر سأُصليهِ سَقَرَ وَما أدراكَ ما سَقَرُ لا تُبقِي وَلا تَذَر لَوّاحةٌ لِلبَشَرِ عَلَيها تِسعَةَ عَشَر ـ ٧٤ / ٢٦.

ما سَلَكَكُم في سَقَرَ قالُوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّين ـ ٧٤ / ٤٢.

يَومَ يُسحَبُون في النّارِ عَلى وُجوهِهِم ذوقوا مَسَّ سَقَرَ ـ ٥٤ / ٤٨.

ينبغي التنبيه على أمور:

١ ـ إنّ سَقَرَ علَمٌ للنار المعذَّب فيها الكفّار والعُصاة.

٢ ـ وهذه الكلمة غير منصرفة لوجود الوصفيّة والعلميّة، فإنّها في الأصل كانت وصفاً كحَسَن، وهي النار شديدة الحرارة تؤثِّر وتُغيِّر.

٣ ـ قلنا إنّ سَقَرَ علَم للنار لا لمحلّ النار ومحيطِها كجهنّم، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: لا تُبقي وَلا تَذَرُ لَوّاحَةٌ، يُسحَبونَ في النّارِ ذوقُوا مَسَّ سَقَرَ.

فإنّ هذه صفات مربوطة بالنار لا بالمحيط.

٤ ـ لا تُبقي ولا تَذَر: أي لا تبقي الواردَ عليها على الحالة والكيفيّة والمرتبة والخصوصيّات السابقة، بل تُغيّرها وتمحوها، ثمّ لا تَتركه أيضاً حتّى يستريح ويستفرغ عن عذابها، بل يدوم فيها.

٥ ـ لَوّاحةٌ للبشَر: أي إنّها متلألئة ومتجلّية مختصّة للبشر.

٦ ـ يُسحَبون في النار: قد سبق أنّ السَّحب هو الجرّ منبسطاً على الوجه في النار، فمسّ سقر يكون تفسيراً ونتيجة للسحب في النار.

٧ ـ عليها تسعةَ عشر: الظاهر بقرينة ما بعدَه ـ وَما جَعَلنا أصحابَ النّار إلّا مَلائكةً وَما جَعَلنا عِدَّتَهم إلّا فتنةً: أنّ المراد الملائكة الموكّلين عليها.

وأمّا عدد تسعة عشر: فهو حاصل جمع تسعة مع عشر، والتسعة مجموع أعداد الآحاد، فإنّ آحاد الأعداد تسعة، وبعدها هو العاشر وهو أوّل عدد من العشرات، فيجمع التسعة مع العشرة. ولعلّ هذا إشارة إلى كثرة الموكَّلين المحاسِبين القائمين على

السَقَر، وأنّ كلّاً منهم موظّف على طرف وطريق ونوع خاصّ منها بتنوّع أهاليها.

٨ ـ لم نكُ من المصلّين: الصلاة أوّل وظيفة للعبد، فإنّها أحسن وسيلة وأعظم رابطة بين العبد والربّ، ومن لم يك مصلّياً فهو منقطع عن الله تعالى، ومن انقطع عن مبدأ الرحمة والفيض واللطف فهو في السقر.

٩ ـ ما سَلَككم في سَقر: وقد ذُكر كلّ من سقر والسعير وجهنّم والجحيم والحميم والنار، في مورد يناسب مفهوم كلّ واحد منها فراجعها.

١٠ ـ حقيقة هذه العوالم الاُخرويّة وتفصيلُ كيفيّاتها وخصوصيّاتها: غيرُ مدركة لنا في هذه الدنيا المحدودة الجسمانيّة المادّية، إلّا أنّا ندرك منها ما يتيسّر لنا وما في مقدورنا ولنا إليه سبيل من بصيرتنا ومعرفتنا، وما أعطانا الله جلّ وعزّ من النور والعلم. وممّا يمكن لنا معرفته من عوالم الآخرة: الجهة الروحانيّة منها الّتي ندركها بعقولنا ونشاهدها بقلوبنا، وأمّا الجسمانيّة: فليس لنا إليها سبيل.

ونحن نشير إلى هذه الجهة في الموارد المختلفة من هذا الكتاب، فإنّ هذا المقدار هو القدر المسلّم المقطوع به من خصوصيّات العوالم الآخرة.

* * *

سقط:

مصبا ـ سَقط سُقوطاً: وقع من أعلى إلى أسفَل، ويتعدّى بالألف فيقال أسقطته، والسَّقَط: رَديء المتاع والخطأ من القول والفعل، والسِّقاط جمع سَقْطة، والسِّقط: الولد ذكراً كان أو أُنثى يَسقُط قبل تمامه وهو مُستبين الخلق، والتثليث لغة، ولا يقال وقع، وأسقطَتِ الحامل: ألقت سِقطاً. قال بعضهم: وأماتت العرب ذكر المفعول فلا يَكادون يقولون أسقطَتْ سِقطاً، ولا يقال أُسقِطَ الولدُ. وسَقَطُ النار: ما يَسقط من

الزَّند، وسَقَط الرمل حيث ينتهي إليه الطَّرف، بالوجوه الثلاثة فيهما. وقول الفقهاء ـ سقطَ الفرض، معناه سقط طلبه والأمر به. ولكلّ ساقطةٍ لاقطة، أي لكلّ نادرة من الكلام من يحملها ويذيعها، والهاء في لاقطة إمّا مبالغة وإمّا للازدواج، ثمّ استعملت الساقطة في كلّ ما يسقط ضياعاً.

مقا ـ سقط: أصل واحد يدلّ على الوقوع، وهو مطّرِد، من ذلك سقَطَ الشيءُ يَسقُط سُقوطاً. والسَّقَط: رديء المتاع. والسِّقاط والسَّقَط: الخطأ من القول والفعل. والساقطة: الرجل اللئيم في حسبه. والمرأة السقيطة: الدنيئة. ويقال أصبحت الأرضُ مُبيضَّة من السَّقيط، وهو الثّلج والجليد.

الجمهرة ٣ / ٢٦ ـ سَقَط الشيءُ سُقوطاً. ورجل ساقط: من سُفلة النـاس. وسُقاطة كلّ شيء: رُذاله. وسِقاط النخل: ما سقط من بُسره. ومَسقِط الطائر: موقعه، وجمعه مَساقِط. ومَسقِطُه: جَناحه، وكذلك سقطاه أيضاً. وسيف سَقّاط: يسقط وراء ضريبته، أي يقطعها حتّى يجوزها إلى الأرض.

صحا ـ سَقَط الشيءُ مِن يدي سُقوطاً، وأسقطته أنا، والمَسقط السُّقوط. وهذا الشيء مَسْقطة للإنسان من أعين النـاس. وهذا مَسقِط رأسي، أي حـيث وُلدتُ. وساقَطه، أي أسـقطه. وسُقِط في يَدَيْه، أي ندم، ومنه قـوله تعالى ـ وَلَمّا سُقِط في أيديهم.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في هذه المادّة: هو وقوع شيء ونزول دفعـةً بلا اختـيار، وسبق الفرق بينها وبين ما يرادفها في ـ السفح، وهو أعمّ من المحسوس والمعقول.

فالمحسوس كما في:

وَما تَسقُطُ مِن وَرَقَة إلّا يَعْلمُها ـ ٦ / ٥٩.

فأسقِط عَلَينا كِسَفاً مِنَ السَّماء ـ ٢٦ / ١٨٧.

وإن يَرَوا كِسَفاً مِنَ السَّماء ساقِطاً ـ ٥٢ / ٤٤.

والكِسْفَة: القطعة، وجمعها كِسَف.

والمعقول كما في:

ومِنهُم مَن يقول ائذَنْ لي وَلا تَفتِنّي ألا في الفِتنة سَقَطوا ـ ٩ / ٤٩.

أي في الابتلاء والمحنة سقطوا من مقام الوسع.

وهُزّي إلَيكِ بِجِذع النَّخْلة تُساقِط عَلَيكِ رُطَباً جَنِيّاً ـ ١٩ / ٢٥.

أي تُساقط النخلة غير مرّة رُطَباً، فإنّ فاعَلَ يدلّ على الاستمرار.

ولمّا سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنَّهُم قَد ضَلّوا ـ ٧ / ١٤٩.

أي صار العِجل مَسقوطاً في الأيدي، وهذا يُضرب به المثل في العرف لمن يندم على عمل ويعجز عن جبرانه ورفعه، فكأنّ العمل بقي على يديه.

وليعلم أنّ التعدية بالحروف إنّما هو بمقتضى مفهوم الفعل: فقد يقتضي التعديةَ بالباء للربط كما في مررت به، وقد يقتضي التعدية بمن أو إلى كما في قرب منه وقرب إليه، وقد يقتضي التعديَة بفي كما في سقط فيه، أو بعلى كما في ـ مغضوب عليه.

ولا يخفى أنّ السقوط طرفا مفهومه: هما الساقط والمسقوط فيه، فإنّ ما وقع عليه مفهوم السقوط هو محلّ السقوط والنزول، فكلمة المسقوط فيه، كلمة واحدة، كما في المرور به ويراد من المسقوط مورد وقوع السقوط.

فتعدية اللفظ بتعلّقه بمفعول فيه ووقوعه عليه.

* * *

سقف :

مصبا ـ السقف معروف، وجمعه سُقوف مثل فُلوس، وسُقُف أيضاً وهو نادر، وقال الفرّاء: سُقُف جمع سَقيف مثل بَريد وبُرُد. وسَقفتُ البيتَ سَقفاً من باب قـتل عملت له سقفاً، وأسقفته: كذلك، وسـقّفته: مبالغة. والسقيفة: الصُّفّة، وكلّ ما سقف من جناح وغيره. والأُسقُف للنصارى.

مقا ـ سقف: أصل يدلّ على ارتفاع في إطلال وانحناء. من ذلك السقف سقف البيت، لأنّه عال مطلّ. والسقيفة: الصُّفّة، والسقيفة: كلّ لوح عريض في بناء إذا ظهر من حائط. ومن الباب الأسقُف من الرجال، وهو الطويل المنحني.

صحا ـ سقف: السقف للبيت، والجمع سُقوف، وسُقُف أيضاً، عن الأخفش، مثل رَهْن ورُهُن، وقرئ ـ وسُقُفاً من فضّة، والسَّقف: السماء. ويقال أيضاً لَحْيٌ سَقْف أي طويل مُسترخ. والسقائف: ألواح السفينة، كلّ لوح منها سقيفة. والسقيفة: الصُّفّة. والسَّقَف: طول في انحـناء، يقال رجل أسقف: بيّنُ السَقَف. قال ابن السِّكّيت: ومنه اشتقّ أُسقف النصارى، لأنّه يتخاشع، وهو رئيس من رؤسائهم في الدين.

المعرّب ٣٥ ـ أُسقفّ النصـارى: أعجميّ معرّب، وقـالوا اسـقفّ بـالتخفيف والتشديد، ويجمع أساقِفة وأساقِف.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل السطح التحتانيّ الأرضيّ، وهو ما ينبسط فوق الرأس مستنداً على جدار أو جدران، كسقف البيت والسقف في الصُّفّة

ونحوها.

وبمناسبة هذا الأصل يطلق مجازاً على الرجل الطويل المـنحني، وعـلى ألواح السفينة، وعلى أضلاع البعير، فكأنّ الأضلاع بانحنائها قد صارت كالسقف في الصُّفّة والجَناح، وأنّ ألواح السفينة سقف بالنسبة إلى ما تحتها من الماء، ولا سيّما قبل دخولها الماء فإنّها غير ماسّة على الأرض، وعدم إطلاق السطح عليها فإنّها غير منبسطة، ولا سيّما ألواح أطراف السفينة، ولعلّ الأطراف فيها هو المراد.

فخرَّ عَلَيهِمُ السَّقْفُ مِن فَوقهم ـ ١٦ / ٢٦.

لجعَلنا لمن يَكفُر بالرَّحمٰنِ لِبُيوتهم سُقْفاً مِن فِضَّة ـ ٤٣ / ٣٣.

يراد سُقُف البيوت.

وجعلنا السَّماءَ سَقْفاً محفوظاً ـ ٢١ / ٣٢.

يراد من السماء ما يُرى منبسطاً فوق الرأس في الفضاء، ويشمل الهواء الفوقانيّ المنبسط والنجوم، وجميع هذه يُرى كالسـقف الواحد في مقابل الأرض، وهي تحت نظم واحد وتدبير مرتبط وتشكيل بديع، لا اختلال فيها بوجه.

والبَيْتِ المعمورِ والسَّقفِ المَرفوع والبَحْرِ المَسْجور ـ ٥٢ / ٥.

يُراد السماء المادّيّ وهو ما يُرى فوق الرأس، أو السماء الروحانيّ وهو ما يُرى للسالك المعمور قلبه من المقامات العالية وبحر الفيض والرحمة.

* * *

سقم:

مقا ـ سقم: أصل واحد، وهو المرض، يقال: سُقمٌ وسَقَم وسَقامٌ، ثلاث لغات.

مفر ـ السَّقَم والسُّقم: المرض المختصّ بالبدن. والمرض قد يكون في البدن، وفي

النفس نحو في قلوبهم مَرض.

مصبا ـ سَقِم سَقَماً من باب تَعِب: طال مرضه، وسَقُم سُقماً من باب قرُب، فهو سَقيم، وجمعه سِقام، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف. والسَّقام إسم منه. والسَّقمونيا: معروفة، وقيل يونانيّة، أو سِريانيّة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو المرض إذا استقرّ، وأكثر استعمالها في الأمراض الظاهريّة البدنيّة بأيّ منشأ يكون.

والمَرَض مطلق اختلال في صحّة البدن بعد اعتدالها، ويستعمل في الاختلالات المزاجيّة والباطنيّة ـ في قلوبهم مَرض.

فنَبذناه بالعَراء وهوَ سَقيم ـ ٣٧ / ١٤٥.

أي نبذنا يونس من بطن الحوت إلى مكان خال وهو سقيم من هذه الجريانات شديداً. ثمّ أعيدت له الصحّة والاعتدال، وأرسلناه إلى مأة ألف.

فَما ظنّكُم بربِّ العالَمين فنظرَ نَظرَةً في النُّجومِ فَقالَ إنّي سَقيم فتولَّوْا عَنه ـ ٣٧ / ٨٩.

أي فتدبَّرَ في حالات النجوم إعلاماً باطّلاعه وعلمه وتوجّهه ودقّة نظره، فإنّ علم النجوم كان متداولاً فيما بينهم وفي زمانهم، ثمّ أظهر بأنّه سقيم ومتغيّر الحال ومتأثّر شديداً من ضلالهم وانحرافهم وكفرهم بالحقّ وجحودهم بربِّ العالمين، فلا اقتضاء في حاله بالبحث والجدل والسؤال والجواب، ولا يستطيع أن يصبر عليهم، ولازم لهم أن يتدبّروا ويتفكّروا في كلامه وفي الحقّ.

* * *

سق :

مصبا ـ سقيتُ الزرعَ سقياً، وأنا ساقٍ وهو مَسقيّ. ويقال للقناة الصغيرة ساقية لأنّها تَسْقِي الأرض، وأسقيته: لغة. وأسقانا الله الغيثَ وسقانا. ومنهم مَن يقول سقيته إذا كان بيدك، وأسقيته إذا جعلتَ له سِقياً. وسقيتُه وأسقيتُه إذا دعوتَ له فقلتَ له سَقياً لك. وفي الدعاء: سُقيا رحمةٍ ولا سُقيا عذاب، على فُعلى بالضمّ، أي أسقنا غيثاً فيه نفع بلا ضرّ. والسِّقاية: الموضع يتّخذ لسَقي الناس. والسِّقاء يكون للماء واللبن. والاستسقاء طلب السقي مثل الاستمطار لطلب المطر.

مقا ـ سق: أصل واحد وهو إشراب الشيء الماء وما أشبهه، تقول سقيتُه بيدي أسقيه سَقْياً، وأسقيتُه إذا جعلتَ له سِقياً. والسَّقي: المصدر. وكم سِقي أرضِك، أي حظّها من الشرب. وسقيتُ على فلان، أي قلتَ سَقاه الله. والسِّقاية: الموضع الّذي يتّخذ فيه الشراب في الموسم. والسِّقاية: الصُّواع. وسق بطنُ فلان، ذلك ماء أصفر يقع فيه. وسَق فلانٌ على فلان بما يكره، إذا كرّره عليه. والسَّقِيّ على فعيل: السَّحابة العظيمة القطر.

مفر ـ السَّقي والسُّقيا: أن يُعطيه ما يشرب. والإسقاء: أن يجعل له ذلك حتّى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السَّقي، تقول أسقيته نَهراً. ويقال للنصيب من السَّقي سِقيٌ.

صحا ـ السِّقاء: يكون لِلَّبن والماء، والجمع القليل أسقِية وأسقيات، والكثير أساقٍ، والوَطْب لِلَّبن خاصّة، والنِّحْيُ للسَّمْن، والقِربة للماء. ويقال سقيته لشفته وأسقيته لماشيته وأرضه. والإسم السِّقي، والجمع الأسقية.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إعداد ما يُشرَب وتهيّته، كما أنّ الإطعام هو إعداد ما يؤكَل وتهيّته.

فالسَقي في مقابل الإطعام، كما أنّ الأكل في مقابل الشُّرب، فالشرب والأكل في مقام التناول والمضغ والجرع. والسَّقي والإطعام في مقام تهيئة ما يؤكل ويشرب.

والَّذي هوَ يُطعِمُني ويَسقينِ ـ ٢٦ / ٧٩.

كُلُوا واشرَبُوا وَلا تُسرِفوا ـ ٧ / ٣١.

فتفسير السَّقي بالإشراب غير وجيه، كما أنّ تفسيره بإعطاء ما يُشرب غير صحيح، ويدلّ عليه موارد:

ولمّا وَرَدَ ماءَ مَدينَ وَجَدَ عَلَيْه أُمَّةً مِنَ النّاس يَسقُون.. قالَتا لا نَسقي حتّى يُصدِر الرِّعاءُ ـ ٢٨ / ٢٣.

فإنّ السَّقي هنا لا يصحّ أن يكون بمعنى إعطاء السقي، بل التهيئة والإعداد.

فَسَقىٰ لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إلى الظِّلّ ـ ٢٨ / ٢٤.

لِيَجْزِيَك أجرَ ما سقَيْتَ لَنا ـ ٢٨ / ٢٥.

وَلا تَسقِي الحَرْثَ ـ ٢ / ٧١.

فَيَسْقِي رَبَّه خَمراً ـ ١٢ / ٤١.

وسُقوا ماءً حَميماً ـ ٤٧ / ١٥.

ويُسقىٰ مِن ماءٍ صَديد ـ ١٤ / ١٦.

وسَقاهُم ربُّهم شَراباً طَهوراً ـ ٧٦ / ٢١.

فيراد الإعداد والتهيئة والتمكين والإحضار.

وأسقَيْناكُم ماءً فُراتاً، لأسقَيْناكُم ماء غَدَقاً، نُسقيكُم ممّا في بُطونه.

التعبير بالإفعال فإنّه يدلّ على أنّ الملحوظ هو جهة الصدور والنسبة إلى الفاعل.

وإذِ استَسْقَىٰ موسىٰ لِقَومه ـ ٢ / ٦٠.

يراد طلب إعداد السِّق.

أجَعَلتُم سِقايَة الحاجّ ـ ٩ / ١٩.

جعلَ السِّقايَةَ في رَحلِ أخيه ـ ١٢ / ٧٠.

السِّقاية مصدر كالعمارة والكتابة، بمعنى إعداد السِّق، والتعبير في الآية الأُولى بالمصدر دون الصفة (من يَسقي أو السقّاء والساقي) إشارة إلى أنّ الملحوظ ومورد البحث هو هذا العمل بنفسه، وهو لا يعادل الإيمان (كَمَن آمَنَ بالله واليَوْم الآخِر وجاهَدَ). وفي الثانية ـ إلى أهمّية ذلك المفقود، فكأنّهم فقدوا برنامج السَّقي، ومع ذلك كان صُواعاً للملك، ثمّ أطلق السِّقاية على المِسق بهذه المناسبة، وهو مجاز.

وقلنا إنّ كثيراً من المعاني المذكورة في كتب اللغة: يؤخذ من المعاني المجازيّة المستعملة في الأشعار العربيّة أو في التفاسير من دون تحقيق، وهذا الأمر أوجَب الانحراف عن الحقائق في كلمات الله تعالى.

أمّا التجوّز في الأشعار: فإنّ الشِّعر مورد تضيّق في استعمال الكلمات وانتخابها من جهة التوازن في البحور والقوافي، والشاعر يستعمل كلمة يختارها من جهة تناسب اللّفظ بأدنى مناسبة في المعنى.

وأمّا في القرآن الكريم: فمن جهة تسامح المفسّرين في تفسير الآيات الإلٰهيّة،

فإنّهم يفسّرون الكلمات بأيّ مفهوم يطابق المورد الخاصّ، على مقتضى أفهامهم وفي حدود علمهم، من دون تحقيق.

فَقالَ لَهُم رَسولُ الله ناقَةَ الله وسُقياها ـ ٩١ / ١٣.

السُّقْيا: ما يُسقَى وما يُتهيّأ للسَّقي، كالسُقية على وزن اللُّقمة.

* * *

سكب:

مقا ـ أصل يدلّ على صبّ الشيء تقول سكب الماءَ يسكبه، وفرس سَكب أي ذَريع كأنّه يَسكب عَدوَه سَكباً، وذلك كتسميتهم إيّاه بحراً.

مصبا ـ سَكبَ الماءُ سَكباً وسُكوباً: انصبّ، وسكَبه غيرُه يتعدّى ولا يتعدّى.

مفر ـ ماء مَسكوب: مَصبوب. وفرس سَكب الجَري. وسكبتُه فانسكب. ودمع ساكب متصوّر بصورة الفاعل، وقد يقال: مُنسَكِب. وثوب سَكب تشبيهاً بالمُنصَبّ لدقته ورقّته كأنّه ماء مَسكوب.

الجمهرة ١ / ٢٨٧ ـ والسكب من المطر: الهطلان الدائم، وفرس سكب إذا كان جواداً سهل الجري، وانسكب الشيءُ انسكاباً كالدّمع وغيره. والاسكوب والاسكاب في بعض اللّغات الإسكاف أو القين وقالوا ماء اسكوب كما قالوا اثعوب أي منسكب، وماء مَسكوب إذا جعلته مفعولاً به، وساكب وسَكوب إذا جعلته فاعلاً، وسكبت العينُ دمعَها وانسكب إذا جعلت الفعل له.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الصَّبّ من دون قيد الحِصانة، كما قلنا في

السفح بأنّه كان صبّاً فيما من شأنه الحصانة والمحفوظيّة، وأكثر استعمال هذه المادّة في المادّيّات وفي المتتابع انحداراً.

ما أصحابُ اليَمين في سِدْرٍ مَخْضودٍ وطَلْحٍ مَنْضودٍ وظِلٍّ مَمْدود وماءٍ مَسْكوب وفاكهَةٍ كَثيرَةٍ ـ ٥٦ / ٣١.

هذه المفاهيم من جهة الظاهر معلومة، وأمّا من جهة المعنى والروحانيّة: فلعلَّ الماء إشارة إلى انحدار العلوم والمعارف اللطيفة والفيوضات الربّانيّة، بعد الاستقرار في محيط ظلّ الربوبيّة وتحت قيموميّة العزيز الحكيم، والانقطاع عمّا سواه، راجع موادّ الكلمات.

* * *

سكت:

مقا ـ سكت: يدلّ على خلاف الكلام، تقول، سكت يَسكُت سُكوتاً، ورجل سِكّيت، ورماه بسُكاتَة، أي بما أسكته، وسكَت الغضبُ، بمعنى سكن. والسُّكتة: ما أسكتَّ به الصبيَّ.

مصبا ـ سكت سكتاً وسكوتاً: صمت. ويتعدّى بالألف والتضعيف فيقال أسكَته وسكَّته، واستعمال المهموز لازماً لغة، وبعضهم يجعله بمعنى أطرق وانقطع. والسَّكتة: المرّة. وسَكت الغضبُ وأسكت بمعنى سكن. والسُّكتة وزان غُرفة: ما يُسكت به الصبيّ. والسُّكات: مداومة السكوت، ويقال للأفحام سُكات على التشبيه. والسُّكَيْت: العاشر من خيل السباق، والتخفيف أكثر.

مفر ـ السُّكوت: مختصّ بترك الكلام، ورجل سِكّيت وساكوت: كثير السكوت، والسَّكتة والسُّكات: ما يعتري من مرض، والسَّكت يختصّ بسكوت النفس في الغِناء.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو السكون بعد هيجان في كلام أو التظاهر بعمل. وبلحاظ هذا القيد تستعمل في إطالة الكلام وهَيجان الغضب وبكاء الصبيّ وسكون العناء.

والفرق بينها وبين السكون والصَّمت: أنّ الصَّمْت في مقابل التكلّم والنطق. والسكون في مقابل الحركة المطلقة.

ولمّا كان السكوت في مقابل هيجان في تظاهر: يُشعَر هذا المعنى بأمرين: الأوّل خروج التظاهر عن حدّ الاعتدال. والثاني ـ كونه غير ممدوح.

فيستظهر بأنّ السكوت يكون ممدوحاً دائماً.

ولمّا سكتَ عَن مُوسى الغَضَبُ أخَذَ الألواحَ وفي نُسخَتِها هُدىً ورَحْمَةٌ ـ ٧/ ١٥٤.

أي أخذ الألواح الّتي طرحها حين الغضب، إشعاراً بطغيان الغضب ولو كان في جهة الدين والهداية وحرصاً في دعوة الناس وسوقهم إلى الله العزيز المتعال.

قالَ رَبِّ اغفِر لي ولأخي وأدخلنا في رَحمتك.

فظهر لطف التعبير بالكلمة دون الصمت والسكوت.

* * *

سكر:

مصبا ـ سَكرتُ النهرَ سَكراً من باب قتل: سددته، والسِّكر: ما يُسدّ به. والسَّكَر معروف، قال بعضهم وأوّل ما عُمِل بطبرزد، ولهذا يقال سَكَر طبرزَديّ،

والسَّكَر أيضاً نوع من الرطب شديد الحلاوة. والسَّكَر: يقال هو عصير الرطب إذا اشتدّ. وسَكِر سَكَراً من باب تعب، وكسرها لغة في المصدر فيبق مثل عِنَب، فهو سَكران وامرأة سَكرى، والجمع سُكارى وفتحها لغة، وفي لغة بني أسد يقال في المرأة سَكرانة، والسِّكر إسم منه، وأسكَره الشراب: أزال عقلَه. ويروى ما أسكَر كثيرُه فقليله حرام.

مقا ـ سكر: أصل واحد يدلّ على حيرة، من ذلك السُّكر من الشراب يقال سَكِر سُكراً، ورجل سِكّير أي كثير السُّكر. والتسكير: التحيير، والسِّكر: ما يُسكر فيه الماء من الأرض، والسَّكْر: حبس الماء، والماء إذا سُكِر تحيّر، وليلة ساكرة فهي الساكنة، ويقال سَكَرت الريح أي سكنت، والسَّكَر: الشراب، وحكى ناس سَكَره إذا خَنَقه.

مفر ـ السُّكر: حالة تَعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يعتري من الغضب والعشق، ومنه سَكَرات الموت، والسَّكَر إسم لما يكون منه السُّكر. والسَّكر حَبس الماء، وذلك باعتبار ما يعرض من السدّ بين المرء وعقله، والسِّكر: الموضع المسدود، وليلة ساكرة أي ساكنة اعتباراً بالسكون العارض من السُّكر.

الجمهرة ٢ / ٣٣٥ ـ والسِّكر ما سكرتَ به الماءَ فمنعتَه عن جَرْيته، وأصله من قولهم سكرت الريحُ إذا سكن هبوبها، ويوم ساكر لا ريح به. والسَّكَر: كلّ شراب أسكر. فأمّا السُّكّر ففارسيّ معرّب. وقال المفسّرون في تفسير السَّكَر في القرآن: إنّه الخَلّ، وهذا شيء لا يعرفه أهل اللّغة. والسُّكر معروف، واشتقاقه من سكرت الريح إذا سكنت كأنّ الشراب سكر عقلَه أي سدّ عليه طريقه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحيلولة في جريان طبيعيّ بحيث يتحصّل جريان خلاف ما كان. ومن مصاديقه السُّكور الحاصل في جريان الريح والحرارة والنظر بحيث يتوقّف جريان الهواء الطبيعيّ، وينتهي جريان الحرارة، ويتوقّف امتداد النظر. ومنها السَّكر والسدّ الحاصل في قبال جريان النهر والباب والتنفّس، ومنها السُّكر الحاصل في جريان التعقّل والتفكّر. فالمادّة تشعر بتحصّل حيلولة في جريان شيء ونظمه الطبيعي، وهذا القيد لابدّ وأن يلاحظ في كل مورد تستعمل المادّة.

ثمّ إنّ الأغلب في فعَل يفعُل منها: هو الاستعمال متعدِّياً. وفي فَعِلَ يفعَل لازماً، تقول ـ سُكِرَت الريحُ إذا توقّفت في جريانها الأصيل. وسَكِر من الشراب وأمثاله فهو سَكرانُ إذا صار نظم عقله مختلاً.

وسَكَرتُ النهرَ إذا سددته، وسَكَر البابَ إذا سدّه.

وتَرى النّاسَ سُكارىٰ وما هُم بِسُكارىٰ ولكنَّ عَذابَ الله شَديد ـ ٢٢ / ٢.

وَلا تَقرَبوا الصَّلاةَ وأنتُم سُكارىٰ حَتّىٰ تَعلَموا ما تَقولون ـ ٤ / ٤٣.

لَعَمْرُك إنَّهُم لَفي سَكرتِهِم يَعمَهون ـ ١٥ / ٧٢.

السُّكارى جمع سَكران على عطشان، والسَّكران هو الّذي اختلّ جريان النظم في فكره وعقله وأموره، وهذا الاختلال يتحصّل إمّا بمواجهة الابتلاءات والشدائد العظيمة، وإمّا بتحقّق التعلّقات الدنيويّة والتوغّل في الأُمور المادِّيّة، وإمّا بتناول الشراب المسكر، أو بغيرها ممّا يخرجه عن الإعتدال.

فالسَّكرة في يوم البعث من شدّة العذاب، وفي المذنبين والمخالفين من شدّة توغّل في التعلّقات المادّية والتمايلات النفسانيّة، وفي المصلّين بأيّ نوع يتحصّل.

وجاءَتْ سَكرَةُ الموت بالحقّ ـ ٥٠ / ١٩.

أي اختلال جريان في امتداد الحياة الدنيويّة، والاضطراب والتحوّل الشديد الّذي يواجه عند الموت وانقطاع العلائق المادّية.

ومِن ثَمراتِ النَّخيل والأعنابِ تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَراً ورِزقاً حَسَناً ـ ١٦ / ٦٧.

والسَّكَر وزان حَسَن صفة، وهو المتحوّل على خلاف الجريان الطبيعيّ لشيء، كالمسكر المتحوّل من العنب والتمر، والعصير المتحصّل منهما. فالسَّكَر أعمّ من أيّ نوع متحصّل منهما مسكراً كان أو غير مسكر، ولمّا كان فيه ما هو حرام ممنوع بقرائن خارجيّة: أطلقه من دون توصيف.

ولَو فَتَحْنا عَلَيْهِم باباً مِن السَّماءِ فظَلّوا فيهِ يَعرُجون لَقالوا إنَّما سُكِّرَتْ أبصارُنا ـ ١٥/١٥.

التسكير والإسكار جعل السّكر والتحوّل، والنظر في التفعيل إلى جهة الوقوع، وفي الإفعال إلى جهة الصدور.

فظهر أنّ تفسير المادّة بالحيرة أو بحالة تعرض بين المرء وعقله أو بالسكون ونظائرها: ليس كما ينبغي، وهذه من مصاديق الأصل.

* * *

سكن:

مقا ـ سكن: أصل واحد مطّرِد يدلّ على خلاف الاضطراب والحركة، يقال سكن الشيء يسكن سكوناً، فهو ساكن. والسَّكْن: الأهل الّذين هم يسكنون الدار. والسَّكَن: النار، فإنّ الناظر إليها يسكن ويسكن إليها وإلى أهلها. والسَّكَن: كلّ ما سكنت إليه من محبوب. والسِّكِّين معروف، قال بعض أهل اللّغة هو فعِّيل لأنّه

يُسكّن حركة المذبوح به. ومن الباب السكينة وهو الوقار وسُكّان السفينة لأنّه يُسكّنها عن الاضطراب.

مصبا ـ سكنتُ الدارَ وفي الدار سَكْناً من باب طلب، والإسم السُّكنى فأنا ساكن، والجمع سُكّان، ويتعدّى بالألف فيقال أسكنته الدارَ، والمَسْكن بفتح الكاف وكسرها: البيت، والجمع مَساكن. والسَّكْن ما يسكن إليه من أهل ومال وغير ذلك، وهو مصدر سكَنْت إلى الشيء، والسَّكينة: المهابة والرزانة والوقار. وسَكنَ المتحرّك سُكوناً: ذهبت حركته، ويتعدّى بالتضعيف فيقال سكّنتُه. والمِسكن من هذا لسُكونه إلى الناس. قال ابن السكّيت: المسكين الّذي لا شيء له، والفقير الّذي له بُلغة من العيش. وقال الأصمعيّ: أحسن حالاً من الفقير، وهو الوجيه لأنّ الله تعالى قال: **أمّا السَّفينة فكانَتْ لِمَساكين**، وكانت تُساوي جُملةً. وقال في حقّ الفقراء: **لا يَستطيعونَ ضَرْباً في الأرْضِ يَحْسبُهم الجاهل أغنياءَ من التعفّف**. والمسكين أيضاً: الذليل المقهور وإن كان غنيّاً، والمرأة مِسكينة، والقياس حذف الهاء لأنّ بناء مِفعيل ومِفعال في المؤنّث لا تلحقه الهاء، نحو امرأة مِعطير ومِكسال، لكنّها حُملت على فقير فدخلت الهاء. واستكن إذا خضع وذلّ، وتزاد الألف فيقال استكان، وهو كثير في كلام العرب.

الجمهرة ٣ / ٤٦ ـ السَّكْن: سُكّان الدار. والسَّكَن: الدار أيضاً. والسَّكَن: صاحبك الّذي تَسكن إليه، فلانٌ سَكَني أي الّذي أسكن إليه، وفي التنزيل ـ **جَعَلَ لَكُم اللّيل سَكَناً** ـ أي تَسكُن فيه الحركاتُ. والسَّكْن: النار. والسُّكون: ضدّ الحركة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الاستقرار في مقابل الحركة وهو أعمّ من

الاستقرار المادّيّ والروحيّ. والاستقرار الباطنيّ يعبّر عنه بالطمأنينة ورفع الاضطراب والتشوّش. فيقال سكَن الدارَ وفي الدار، وسكن الشيءُ أي استقرّ في محلّ ولم يتحرّك، ويستعمل متعدّياً إلى مفعول فيه، فإنّ هذا الحدث كما مرّ في سقط: متعلّق وقوعه المفعول فيه.

وإذا استعمل بحرف إلى فيكون بمعنى الاعتماد والاطمينان: فيقال سكن إلى فلان أي استقرّ معتمداً ومطمئنّاً عليه ومتّكئاً إليه.

وأمّا السَّكْن: فهو مصدر في الأصل، ويطلق على الساكن مفرداً وعلى السُّكّان جمعاً بلحاظ تحقّق الحدث في الفاعل وقيامه به كما في العدل بمعنى العادل لمبالغة أو غيرها. وقد يطلق على ما يسكن إليه ويعتمد عليه بهذا اللحاظ، لتحقّق مفهوم الاطمينان فيه.

وأمّا السَكَن: فهو صفة في الأصل كحَسَن، ويطلق بمعنى الساكن، أو إنّه مصدر أيضاً بمعنى السكون والاستقرار والاطمينان، أو إنّه إسم بمعنى مورد السكون والاطمينان. وهذه المعاني مستعملة.

وصَلِّ عَلَيْهِم إنّ صَلاتَك سَكَنٌ لَهُم ـ ٩ / ١٠٣.

واللهُ جَعَلَ لَكُم مِن بُيوتكم سَكَناً ـ ١٦ / ٨٠ .

وجَعَلَ اللّيلَ سَكَناً ـ ٦ / ٩٦.

السَّكَن في هذه الآيات هو بمعنى الاستقرار والسكون والاطمينان، وهو مصدر ويدلّ عليه كونه خبراً عن الصّلاة وهو مصدر، وعطفُ جملة ـ والشمسَ والقمر حُسباناً، على الجملة الثالثة، والحُسبان مصدر.

ولَهُ ما سَكنَ في الليل والنّهار ـ ٦ / ١٣.

وسكنتُم في مَساكن الَّذينَ ظَلَموا ـ ١٤ / ٤٥.

يا آدَمُ اسكُن أنتَ وزوجُك الجَنَّةَ ـ ٢ / ٣٥.

وإذ قيلَ لَهُم اسكُنوا هذه القَريَةَ ـ ٧ / ١٦١.

المراد من السكون في المكالمات العرفيّة وفي الآيات الكريمة: الاستقرار والسكون العرفيّ، لا السكون الدِّقّي الفلسفيّ، حتّى يقال إنّه ما من شيء إلّا وله حركة ما ولو بالتحرّك الذاتيّ، أو تحرّك في أعضاء وأجزاء ولو في مكان معيّن محدود، بل بحركات لازمة، لا تُنافي الاستقرار العرفيّ أيضاً.

فالسكون العرفيّ المنظور: هو أن يكون النظر الأصيل والقصد الصريح إلى استقرار في محلّ معيّن، فيقال إنّه مستقرّ فيه، ولو توقّف استقراره إلى حركات وتشبّثات وذهاب ومجيء وإلى تحصيل ما يحتاج إليه مقدّمةً.

وأيضاً ـ إنّ السكون يلاحظ بالنسبة إلى متعلّقه ومحلّه، فالسكون إذا كان في الجنّة أو في الليل أو في القرية أو في المساكن للظالمين: يراد الاستقرار في تلك المحدودة ولو كان متحرّكاً فيها، فيقال عرفاً إنّه مستقرّ فيها.

أنْ خَلق لَكُم مِن أنفسكُم أزواجاً لتَسكنوا إليها ـ ٣٠ / ٢١.

وجَعَلَ مِنها زَوجَها ليَسْكُنَ إليها ـ ٧ / ١٨٩.

قلنا إنّ المادّة إذا استعملت بحرف إلى وتعدّيت به: تكون بمعنى الاطمينان والاتّكاء، أي استقرار مرتبطاً إليه ومتعلّقاً به ومستنداً إليه، في حياته ومعيشته.

فأسكنّاه في الأَرض، ولنُسكننَّكُم الأَرْض، أسكِنوهنَّ مِن حَيث سكنتُم، إنْ يَشأ يُسكِنِ الرّيحَ.

فتعدّيت المادّة بالهمزة.

هوَ الَّذي أنزَلَ السَّكينة في قلوب المؤمنين ـ ٤٨ / ٤.

فأنزل الله سكينته عَليه وأيَّده بجُنود لَم تروها ـ ٩ / ٤٠.

إنَّ آيةَ مُلكه أن يأتيكُم التّابوتُ فيه سَكينة ـ ٢ / ٢٤٨.

السَّكينة فَعيلة من السكون وهو ما يتّصف بالاستقرار والثبات والسكون، كالشريفة والكريمة. والمراد نزول روح من الله تعالى فيه استقرار وثبات وسكون نفس وطمأنينة، بحيث يرتفع الاضطراب والتشوّش عن الخاطر بالكلّيّة. ولا يخفى أن السكون في النفس والقوّة الروحيّة والشدّة الباطنيّة أعظم بمراتب من القوّة في البدن والظاهر، بل الظاهر تجلّي الباطن وعنوانه.

أُدخلوا مَسَاكِنكُم، وسَكنتُم في مَساكِنِ الَّذينَ ظَلموا، ومَساكنَ تَرضونها، لَقَد كانَ لِسَبَأ في مَسكنهم.

الجمع بمناسبة الأفراد الساكنين، والإفراد في الأخيرة باعتبار ظاهر السَّبأ، وهو إسم قبيلة.

أن تَدخلوا بُيوتاً غَيرَ مسكونة فيها مَتاع لَكُم ـ ٢٤ / ٢٩.

أي غير مسكونة فيها، فحذف الظرف اختصاراً وللحفظ من التكرار، والمتاع مصدر بمعنى الاستمتاع والانتفاع والاستفادة.

وأمّا المِسكين: فهو مِفعيل مبالغة في الساكن، وهو الّذي بلغ في السكون إلى أقصاه وتجاوز حدّه، ويعبّر هذا عمّن يكون محدوداً قدرةً وقوةً وتمكّناً بحيث يعجز عن السعي والجهد في توسعة المعيشة، إمّا لمرض أو هرم أو لضعف في البدن أو في المال. والفقر ما يقابل الغنى، وهو الحاجة، وبينهما عموم وخصوص من وجه.

فقد يذكر المسكين منفرداً كما في: وَلا يَحضُّ عَلى طَعام المِسكين، فَمَن لَم يَستَطع

فإطعامُ سِتّينَ مِسكيناً، ولَم نَكُ نُطعمُ المِسكين، فكفّارتُه إطعامُ عَشرة مَساكين.

قد ذكر في مورد الإطعام عنوان المسكين دون الفقير، فإنّ الفقير له حاجة ولكنّه ليس محصوراً ومحدوداً كالمُقعِد، وهو يتمكّن من الجهد وتحصيل الطعام وتهيئة الوسائل وتوسعة المعيشة، وهذا بخلاف المسكين غير المتمكّن العاجز المحدود.

وقد يذكر بعد ذوي القربى والأيتام كما في: وآتِ ذا القُربى حقَّه والمسكينَ وابنَ السَّبيل، وآتى المالَ عَلى حُبِّهِ ذوي القُربىٰ واليتامىٰ والمساكينَ، فانّ لِلهِ خُمسَهُ ولِلرَّسولِ ولِذي القُربىٰ واليَتامىٰ والمساكين، وبالوالدينِ إحْساناً وذي القُربىٰ واليَتامى والمساكين، يتيماً ذا مَقربة أو مِسكيناً ذا مَتربة، وإذا حضَر القِسمةَ أُولو القُرْبىٰ واليتامى والمساكين.

هذا الترتيب بتقديم ذوي القربى ثمّ اليتامى ثمّ المساكين ثمّ ابن السبيل: بلحاظ لزوم رعايتهم من جهة الشأن والمقام والحيثيّة والمرتبة الخاصّة عند المُعطي.

فإنّ ما يُعطى بإسم الله تعالى في أوّل مرتبة، ثمّ بعده ما يعطى بإسم الرسول (ص)، ثمّ بعده الوالدان، وبعده أُولو القربى من جهة الوالدين، وبعده اليتامى: فإنّ اليتيم مضافاً إلى عجزه ومحدوديّته متأثر محزون مصاب بفقد الوالد، فهو أولى بالرعاية من المسكين، كما أنّ ذا القربى أولى برعاية جانبه من اليتيم فإنّ القريب له توقّع ورجاء وانتظار خاصّ من المعطي وهو قريبه، وهذا التوقّع والرجاء منه ليس لغيره، فأوجب هذا تكليفاً مخصوصاً بحكم الطبيعة والوجدان الإنسانيّ.

وبعد اليتيم ذكر المسكين، فإنّه محدود عاجز بأيّ سبب كان. وبعد المسكين يذكر ابن السَّبيل فإنّه محدود عاجز فعلاً وإن كان غير محدود في الحضر.

وقد يذكر المسكين مع الفقير: فيلاحظ في كلّ منهما معناه الخاصّ به، ويراد من

المسكين جهة كونه محصوراً ومحدوداً، ومن الفقير جهة فقره وحاجته، كما في: إنَّما الصَّدَقات لِلفُقَراء والمساكينِ والعاملينَ عَلَيها ـ ٩ / ٦٠.

فيلاحظ في موضوع الصدقات جهة الحاجة وشدّة الفاقة، والفقير من هذه الجهة مقدّم على المسكين، ثمّ العاملين عليها لوجوب تأمين معاشهم حتّى يتمكّنوا من تحصيل الصدقات وجمعها وتناولها.

ولمّا كان المورد (الصدقة) يقتضي صرفها في أهل الحاجة والفاقة فقط: لم يذكر ما ذكر في الغنائم والعطايا من المصارف المزبورة فيها.

ولا يخفى أنّ أُولي القُربى: يراد منه الأقربون بالنسب والأرحام، ولمّا كان الرسول (ص) أولى وأقدم بالمؤمنين من أنفسهم [النبيُّ أولىٰ بالمؤمنين مِن أنفُسِهِم ـ ٣٣ / ٦]: فيكون أقاربه وأرحامه أيضاً أولى من أقاربهم، فكلّما ذكر ذو القربى يشمل الأقربين من الرسول (ص).

وأمّا المَسْكنة: فهو مصدر ميميّ يدلّ على سكون زائد، بزيادة في المبنى، وهو الاستقرار الأكيد والمحصوريّة والمحدوديّة الشديدة، وهذا المعنى كما ترى محقَّق في بني إسرائيل، حيث لا حرّية في معيشتهم وحياتهم، ولا انطلاق في جريان أمورهم، وهم لا يزالون محدودين في أيّ مملكة كانوا، حتّى أنّهم بعدما بلغوا ما بلغوا من الاستقلال والحكومة والدولة في أراضي فلسطين: واجَهوا بالخلاف والمقابلة والمحدوديّة الشديدة والمحاصرة التامّة من دول العرب.

وضُرِبَتْ عَلَيهِم الذلَّة والمَسكنةُ وباءُوا بغَضبٍ مِن الله ـ ٢ / ٦١.

وباءُوا بغَضَبٍ مِن الله وضُرِبَتْ عَلَيهِم المَسكَنة ـ ٣ / ١١٢.

وأمّا السِّكّين: فهو فعّيل صيغة مبالغة كالشِّرِّير، وهو ما كان بالغاً حدّ الشدّة في السكون والمحدوديّة والمحصوريّة، ولعلّه بلحاظ كونه وسيلة قطع وذبح يجعل في محلّ

محدود ويكون دائماً محفوظاً، فالسكون صفة له ولا يصحّ أن يُجعل صفة للمذبوح.

ولا يبعد أن نقول: إنّ هذه الكلمة مأخوذة من العبريّة.

قع ـ (سَكِّين) سِكّين، شفرة، نصل.

فتكون هذه الكلمة معرّبة من العبريّة، غير مأخوذة من المادّة. وهذ هو الأقوى الأصحّ عندنا.

وَلَهُ ما سَكَنَ في اللَّيْلِ والنَّهارِ وهوَ السَّميع العَليم ـ ٦ / ١٣.

هذه الآية الكريمة نظير قوله تعالى:

قُل اللّهمَّ مالِكَ المُلك، ألم تَعلَم أنَّ الله لهُ مُلك السَّماوات والأرض، ولَم يَكُن لهُ شريكٌ في المُلك، لهُ المُلك ولَهُ الحَمد، لهُ مُلك السَّماوات والأَرض يُحْيي ويُميت وهوَ عَلى كُلّ شَيءٍ قَدير ـ ٥٧ / ٢.

اللّام يدلّ على الاختصاص، فتدلّ الآيات على أنّ كلّ ما هو موجود في العالم مُلك له ولا شريك له في ملكه يُحيي ويميت ويسمع ويعلم ولا يخفى عليه شيء، وبيده أزمّة الأُمور، وبمشيّته التدبير والتقدير، يقضي ويحكم ويريد، وهو على كلّ شيء محيط قدير.

* * *

سلب:

مصبا ـ سلبته ثوبه سَلباً من باب قتل: أخذت الثوب منه، فهو سَليب ومَسلوب، واستلبته، وكان الأصل سلبت ثوبَ زيد، لكن أسند الفعل إلى زيد وأخّر الثوب ونصب على التمييز، ويجوز حذفه لفهم المعنى. والسَّلَب: ما يُسلَب والجمع أسلاب. قال في البارع: وكلّ شيء على الإنسان من لباس فهو سَلَب. والأُسلوب: الطريق والفنّ.

مقا ـ سلب: أصل واحد: وهو أخذ الشيء بخفّة واختطاف، يقال سلبته ثوبه سلباً. والسَّلَب: المَسلوب. وفي الحـديث ـ مَن قتل قتيلاً فـله سَـلَبه. والسَّـليب: المَسلوب. والسَّلوب من النوق: الّتي يُسلب ولدها، والجمع سُلُب.

التهذيب ١٢ / ٤٣٤ ـ قال الليث: السَّلَب: ما يُسلَب به، والجميع الأسلاب، وكلّ شيء على الإنسان من اللباس فهو سَلَب، والفعل سلَبته أسلُبه سَلباً: إذا أخذت سَلَبه. والسَّلوب من النوق الّتي ترمي بولدها، وقد أسلَبَتْ ناقتكم: إذا ألقت ولدها قبل أن يتمّ، والجميع السَّلائب. اللحـياني: امرأة سَلوب وسَليب وهي الّـتي يمـوت زوجها أو حَميمها فتسلّبَ عليه. ويقال للرجل مُسلَب: إذا لم يألَفْ أحداً ولا يسكن إليه، وإنّما شبّه بالوحش، يقال إنّه لَوحشيّ مُسلَب، والسَّلَب: قِشر من قشور الشجرة يعمل منه السِّلال. والسُّلُب: الثياب السود الّتي تلبسها النِّساء في المآتم، واحدها سِلاب. عن أسماء: لمّا أُصيب جعفر أمرني رسول الله (ص) ـ تسلّبي ثلاثاً ثمّ اصنعي ما شئتِ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو أخذ شيء مـن تحت حـيطته وسـلطته ونفوذه، أي أخذ ما في حيطة شخص أو شيء آخر.

يقال سلبت ثوبَـه، وأسلبت الناقـة ولدها، وسلبَت المـرأة ألبِسَـتَها إذا أراد التلبّس بالثياب السود، وسلبت قشر الشجرة.

وقد سبق في الخلع: أنّ الخلع نزع شيء كان مشتملاً وتنحيته.

والقلع: هو النزع من أصل الشيء بالجذب.

والنزع: جذب شيء واقتلاعه من مكان أو من داخل شيء آخر.

فلا يلاحظ في هذه المادّة: النزع ولا قلع ولا خلع.

وإنْ يَسلُبهم الذُّبابُ شَيئاً لا يَستنقِذُوه مِنه ضَعُفَ الطالِبُ والمَطْلوبُ ـ ٢٢ / ٧٤.

يراد الأخذ من حيطتهم وممّا تحت أيديهم.

فظهر لطف التعبير بالمادّة دون نظائرها.

* * *

سلح:

مقا ـ السِّلاح: وهو ما قوتل به، والجُنّة ما اتّقي به. كان أبو عبيدة يفرّق بينهما بهذا.

مصبا ـ السِّلاح: ما يقاتل به في الحرب ويدافع، والتذكير أغلب من التأنيث، فيجمع على التذكير أسلِحَة، وعلى التأنيث سلاحات، والسِّلح وزان حِمل: لغة في السِّلاح. وأخذ القوم أسلحتهم أي أخذ كلّ واحد سِلاحه. وسَلَح الطائر سَلْحاً من باب نفع، وهو منه كالتغوّط من الإنسان وهو سَلحة تسمية بالمصدر.

صحا ـ السِّلاح مذكّر، ويجوز تأنيثه. وتَسلّح الرجل: لبس السلاح. ورجل سالح: معه السِّلاح. والمَسْلحة: قوم ذوو سِلاح. والسُّلاح: النَّجو. وقد سَلَح سَلْحاً وأسلَحه غيرُه، وناقة سالح.

قع ـ (سالوط) تحيّة عسكريّة.

التهذيب ٤ / ٣١٠ ـ الليث: السَّلْح والغالب منه السُّلاح، ويقال هذه الحشيشة تُسلّح الإبل تَسْليحاً. قلت: والإسليح بَقلة من أحرار البقول تنبت في الشتاء تُسلّح الإبل إذا استكثرت منها. وقال: السِّلاح ما يُعدّ للحرب من آلة الحرب، والسَّيف

وحده يسمّى سِلاحاً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إعداد ما يحفظ حيواناً عن الخطر ويتّق به، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد والأفراد، كالسيف والجُنّة وسائر آلات الحرب والدفاع للإنسان. والقَرْن للثور ولكلّ حيوان يذبّ به. وهكذا سائر الأسلحة.

ويقال للعصا إنّه سِلاح، ولسَمَن الإبل إنّه سلاحه.

وأمّا السَّلْح بمعنى النَّجْو: فكأنّ الطائر أو الحيوان يستعدّ به لإدامة العيش وتجديد الحياة ويدفع عن نفسه الخطر والضرر والمانع، فإنّ النجو فضلة في البدن ويجب رفعها ليستريح المزاج بدفعها.

وإذا كُنتَ فيهم فأقمتَ لَهُم الصَّلاةَ فلتَقم طائفةٌ مِنهُم مَعَكَ وليأخُذوا أسلِحَتَهم فإذا سَجدُوا فليَكونوا ... وليأخُذوا حِذرَهُم وأسلِحَتَهم وَدَّ الَّذينَ كَفَروا لو تَغْفُلون عَن أسلِحَتَكُم وأمتِعَتكُم فيَميلونَ عَلَيكُم مَيلةً واحدة ولا جُناحَ عَلَيكُم ... أو كُنتُم مَرضىٰ أن تَضَعوا أسلِحَتَكُم وخُذوا حِذركُم ـ ٤ / ١٠٢.

تدلّ الآية الكريمة على وجوب أخذ الأسلحة الّتي بها يتقوّى وبها يُدفع عن كيان الإسلام والمسلمين وعن حقوق الدين والمتديّنين.

فيجب على كلّ مسلم إذا وقع في معرض تجاوز عدوّ: أن يُهيِّئ السلاح الّذي به يتقوّى وبه يدفع العدوّ. وأن يكون السلاح تحت قدرته وفي اختياره. وأن يتعلّم كيفيّة العمل به. وأن يعمل بالحذر والاحتياط دائماً. وأن يحفظ أمتعته الّتي بها تدوم حياته. وأن يكونوا متّحدين وعلى نظم واحد.

* * *

سلخ:

مقا ـ سلخ: أصل واحد، وهو إخراج الشيء عن جلده، ثمّ يحمل عليه. والأصل سلختُ جلدةَ الشاة سلخاً، والسَّلخ: جلد الحيّـة تنسلخ، ويقال أسود سالخ، لأنّه يَسلخ جلده كلّ عام فيما يقال. وحكى بعضهم سلخَت المـرأة دِرعَها: نزَعَتْه. ومـن قياس الباب سلخت الشهرَ إذا صرتَ في آخر يومـه، وهذا مجاز. وانسلخ الشهـرُ وانسلخ النهار من الليل المقبل.

مصبا ـ سلخت الشاة سَلخاً من بابي قتل وضرب. قالوا ولا يقال في البعير سلخت جلده وإنّما يقال كشـطته ونجـوته وأنجيـته. والمَسْلخ موضع سَلخ الجـلد. وسلختُ الشهر سلخاً من باب نفع وسُلوخاً: صِرت في آخره، فانسلخ، أي مضى. وسَلْخ الشهر: آخره.

أسا ـ سلخ الشاةَ وكشَط مِسلاخَها: أهابَها. وأعطاني مَسلوخةً أي شاة سُلخ جلدها. وأسود سالخ. وانسلخ جلده وتسلّخ. ومن المـجاز: سلخنا الشهر وانسلخ الشهر. وسلخ الله النهار من الليل وانسلخ منه. وسلخت عنها درعها. وسلَخ الحَـرُّ والجرب جلدَه. وفلان حمار في مِسلاخ إنسان.

صحا ـ سلخت جلد الشاة أسلُخ وأسلَخ سَلخاً. ومِسلاخ الحيّة قشرها الّذي تنسلخ منه. والمِسلاخ: النخلة التي ينتثر بُسرها أخضر. وسلختُ الشهر إذا أمضيتَه وصرتَ في آخره، وانسلَخ الشهرُ من سَـنته والرجل من ثيابـه والحيّـة من قشرها والنّهار من اللّيل.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو كشط شيء ونزعه وهو يحيط بشيء آخر متّصلاً ومُلصَقاً، كالجلد للحيوان والقشر الظاهر من الأشياء والضوء للأجسام المظلَمة والعنوان الملحوظ المقرّر لزمان معيّن أو مكان كما في الشهر الحرام أو شهر الصّوم أو محلّ عبادة، والدرع للبدن، والبُسر من التمر الّذي لم ينضج للنخلة.

والكشط أعمّ ممّا يكون مُلصَقاً أو غير ملصق، وظهرت مفاهيم النزع والقلع والخلع في ـ الخلع والسلب ـ فراجع.

وآيَة لَهُم اللَّيْلُ نَسْلخُ مِنه النَّهارَ فإذا هُم مُظلِمونَ ـ ٣٦ / ٣٧.

ولم يعبّر بقوله ـ نسلخ منه الليل: بالنسبة إلى النهار ـ فإنّ الأصل في المادّة هو الظلمة، كما أنّ الأصل في عالم الروحانيّة هو النور، فالضوء عارض في المادّة، كما في الأرض وما فيها، وأمّا الثوابت والشموس: فإنّ الضياء فيها إمّا بالانعكاس أيضاً، أو في أثر الحركة في الأجزاء، فإنّ الحرارة والنور يتحصّلان في المادّة بالحركة، وإذا فقدت الحركة ينعدم النور والحرارة، كما فصّل في محلّه.

ونقول أيضاً: إنّ النظر في الآية الكريمة إلى الأرض وساكنيها، وإلى اللّيل والنّهار المتعاقبين فيها، لا إلى مطلق عالم المادّة.

الحمدُ للهِ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنّورَ ثُمَّ الَّذينَ كَفَروا بربِّهم يَعْدِلون ـ ٦ / ١.

أي يَعدلون عن النور إلى الظلمات.

واتلُ عَلَيْهِم نبأ الَّذي آتَيناه آياتنا فانسلَخ مِنها ـ ٧ / ١٧٥.

الآية عبارة عمّا يكون وسيلة في التوجّه والوصول إلى المقصود، والمرتبة العالية الحقيقيّة منها ما يكون تكوينيّاً روحانيّاً، أو من جهة الروحانيّة، أو أمراً من عنده تعالى كرَوْح وفيض ومعرفة ونور وتجلّي مقام وصفة.

فإيتاء الآيات من الله تعالى عبارة عن فيض ونور يتجلّى في قلب العبد يتنوّر به ويجعله وسيلة في السير إلى الله تعالى والوصول إليه.

والانسلاخ من جلباب الرحمة والنور إنّما يكون بتقصير وعصيان وسوء اختيار، ولهذا عبّر بالانسلاخ دون السلخ من الله العزيز.

فإذا انسَلَخَ الأشهُرُ الحُرُم فاقتلُوا المشرِكينَ حَيثُ وَجَدتموهُم - ٩ / ٥.

الشهر عبارة عن امتداد زمان يبتدئ برؤية الهلال إلى آخر زمان من غيبته قبل رؤيته ثانياً، فهذه المدّة من حركة القمر إلى آخر نقطة من دائرة حول الأرض يسمّى بالشهر، وكلّ شهر يعنون بعنوان مناسب له، والأشهر الحُرُم شهر رجب وذي القعدة وذي الحجّة ومحرّم، فبانتهاء محرّم ينتهي عنوان الأشهُر الحُرُم، فكأنّ هذا العنوان محيط بهذه المدّة المعيّنة.

فظهر أنّ السلخ أعمّ من أن يكون في مادّيّ أو في غيره، وإطلاقه في جميع هذه الموارد على سبيل الحقيقة، ولا تجوّز فيها.

فظهر أيضاً لطف التعبير بالمادّة في الآيات الكريمة دون أخواتها.

* * *

سلسبيل :

التهذيب ١٣ / ١٥٦ - عن ابن الأعرابي: لم أسمع سَلسَبيل إلّا في القرآن. وقال الزجّاج: سلسبيل إسم العين، وهو في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة، فكأنّ

العين سمّيت بصفتها.

صحا ـ سبل: وسلسبيل إسم عين في الجنة. قال الأخفش: هي معرفة ولكن لما كان رأس الآية وكان مفتوحاً زيدت فيه الألف، كما في قواريراً قَواريرَ.

لسا ـ سلسل: وقال الليث: هو السَّلْسَل وهو الماء العذب الصافي إذا شُرب تَسلسل في الحلق، وتسلسل الماء في الحلق: جرى. والسَّلسبيل السَّهْل المَدْخل في الحلق. ويقال شراب سَلْسَلٌ وسَلْسالٌ وسَلْسبيلٌ. وقيل: سلسبيل إسم عين في الجنّة، مثّل به سيبويه على أنّه صفة. وقال أبو بكر: يجوز أن يكون السلسبيل إسماً للعين فنوّن، وحقّه أن لا يُجرى (لا ينصرف) لتعريفه وتأنيثه ليكون موافقاً رؤوس الآيات المنوّنة، إذا كان التوفيق بينها أخفّ على اللسان وأسهل على القارئ، ويجوز أن يكون صفة للعين ونعتاً له، فإذا كان وصفاً زال عنه ثقل التعريف واستحقّ الإجراء. وقال ابن عبّاس سلسبيلاً: ينسلّ في حلوقهم انسلالاً. وقال أبو جعفر محمّد بن عليّ (عليه السلام) معناها: ليّنةً فيما بين الحنجرة والحلق. ويقال عين سَلسَل وسَلسبيل معناه: أنّه عذب سهل الدخول في الحلق.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يمتدّ متّصفاً بالسهولة واللينة والسلاسة، كالمائع الجاري السلس العذب الليّن.

وهذه الكلمة مركّبة من السلس والسبيل ومأخوذة منهما، وفيها معنىً ما فيهما من الخصوصيّات، ويدلّ عليه قول الباقر عليه السلام كما رأيت.

ويُسقَونَ فيها كأساً كانَ مِزاجُها زَنجَبيلاً، عَيناً فيه تُسمّىٰ سَلسَبيلاً ـ ٧٦ / ١٨.

عيناً بدل من الكأس، وهو المبدأ لجريان الماء، وبهذا اللحاظ يطلق على الباصرة، والسلسبيل ماء لطيف سهل التناول العذب الجاري وهو صفة للعين معنى ومفعول ثان للتسمية، والتسمية بمعنى الإطلاق الخاصّ في مورد معيّن، وليس بمعنى التعيّن والعلميّة، فالآية لا تدلّ على كونه علماً وإسماً لنهر.

وأمّا من جهة الروحانيّة: فيشار إلى إفاضات وتوجّهات وجذبات خاصّة لطيفة عذبة تسكّن حرارةَ المحبّة والفراق وتزيد نوراً وصفاء.

* * *

سلسل:

الجمهرة ١ / ١٥١ ـ السَّلسَلة: اتّصال الشيء بالشيء، وبه سمّيت سِلسلة الحديد وسِلسلة الرمل، والسِّلسلة من البرق: المستطيلة في عَرض السَّحاب. وماء سَلسلٌ وسَلسال وسُلاسِل إذا كان صافياً.

الاشتقاق ٣٨٧ ـ والسِّلسِلة: كلّ ما تَسلسَل من شيء. تَسلسَل البرقُ إذا استطال في عُرض السماء. وماء سَلسلٌ وسَلسالٌ إذا كان سهل المُزدَرَد (الابتلاع). وسَلاسل الرمل: قطع تستطيل وتتداخل.

التهذيب ١٢ / ٢٩٤ ـ وقال الليث: هو السَّلسَل وهو الماء العَذب الصافي الّذي إذا شُرِب تَسلسَل في الحلق، والماء إذا جرى في صَبَب أو حَدور تَسلسَل. والسِّلسِلة معروفة. وبرق ذو سَلاسِل، ورَمل ذو سَلاسِل، وهو تَسلسُله الّذي يُرى في التوائه. عن الأصمعيّ: السَّلاسِل رمل يتعقّد بعضه على بعض. وعن ابن الأعرابيّ: البرق المُسَلْسَل الّذي يتسَلْسل في أعاليه ولا يكاد يُخلِف.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو استطالة في اتّصال أجزاء أو ارتباط حلقات مع انتظام والتواء وسلاسة.

يقال: تَسلسَلَ الماء، وسِلسِلة البرق الظاهر في السحاب، وسِلسلة الرمل المستطيلة المتداخلة، وماء سَلسَلٌ عذب في الحلق.

ويلاحظ في السِّلسلة: كون شيء مستطيلاً في انتظام وارتباط بين أجزائه. وأمّا الغُلّ: فهو ما يوجب محدوديّة وتقيّداً.

إنّا اعتَدْنا للكافرينَ سَلاسِلَ وأغلالاً وسَعيراً ـ ٧٦ / ٤.

فالسَلاسِل: شُعَب مستطيلة مرتبطة في أنفسها تكون متعلّقة للإنسان تجرّه وتحرّكه إلى ما تريد.

والأغلال: كلّ ما يقيّد ويجعل الإنسان محدوداً ومَحْصوراً لا يستطيع سيراً ولا حركة.

والسعير: هو الحرارة الشديدة تعذّب الإنسان في أيّ حالة وفي أيّ محيط ومحدوديّة.

هذا بحسب الظاهر. وأمّا بحسب الباطن والحقيقة الواسعة: فالسَّلاسل: عبارة عن الشّهوات والتمايلات النفسانيّة والبرنامج المادّيّ الدنيويّ المنبسط في شعب متنوّعة حيوانيّة، فتكون سَلاسل لصاحبها تمنع عن السير إلى خلافها والسلوك إلى سبيل الحقّ والفلاح.

وأمّا الأغلال: فهي عبارة عن العلائق والتقيّدات المادّيّة الدنيويّة من المال والعنوان والأهل والشهرة وغيرها، تجعل الإنسان محدوداً مقيّداً لا يتمكّن من إطلاق

نفسه وتحصيل سعادته.

وأمّا السعير: وهو ما يتجسّم من الأعمال الفاسدة والحركات الشنيعة والمعاصي وما يخالف مقام العبوديّة والحقوق الإنسانيّة ـ إنّ المُجرمينَ في ضَلال وسُعُر.

وأمّا مَن اُوتي كتابَه بشِماله ... ثُمَّ في سِلسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعون ذِراعاً فاسلُكوه إنَّهُ كانَ لا يُؤمِن باللهِ العَظيم ـ ٦٩ / ٣٢.

قلنا إنّ السَّلاسِل عبارة عن برنامج التمايلات والشهوات النفسانيّة، ومرجع هذا المعنى إلى التوجّه بالحياة الدنيا والتمايل إلى تأمين القوى البدنيّة الجسمانيّة.

ولمّا كان اليمين مظهراً للتوجّه وظهور القوّة والاستطاعة طبعاً، كما أنّ اليسار على خلاف ذلك، فإنّ الإنسان بالطبع لا يتوجّه أوّلاً إلى جانب اليسار ولا يريد في مقام إظهار القوة والقدرة وفي الحاجة إلى الدفاع، أن يتوسل ابتداءً وبالفطرة إلى يساره، فهو متأخّر دائماً ومتخلّف بالطبع عن اليمين: فيناسب هذا المعنى أن يعبّر عالم الروحانيّة للإنسان باليمين، وعالم الجسمانيّة والبدن باليسار، فإنّ جهة الروح في أمام الإنسان وفيما بين أيديه، ولازم له أن يسلك إلى هذه الجهة، وهو طريق الهدى وسبيل النجاة والصلاح والسعادة والكمال.

وأمّا جهة الجسمانيّة: فإنّها في جهة الخَلف والمؤخّر للإنسان، ولازم له أن يجعل هذه الجهة وراء ظهره، ولا تكون الدنيا وِجهةً في حياته وسلوكه.

وإيتاء الكتاب بالشمال: عبارة عن أخذ برنامج للحياة الدنيا، بأن يسير إلى هذه الجهة ويجعلها أمام قصده وسلوكه، ويتّبع عن تمايلاته النفسانيّة وشهواته الجسمانيّة والتحرّك على وفق القوى البدنيّة. فالكتاب هو البرنامج وما يُضبَط ويُقدّر ويُعيَّن للعمل والسّير.

وهذا التوجّه إلى الحياة الدنيا وأخذ برنامجها: هو المتجسّم بالسَّلاسل والمتظاهر في عالم الآخرة بها، وعلى هذا عبّر في المورد بها.

ثمّ إنّ أخذ هذا البرنامج واختيار مسير الحياة الدنيا: هو القدم الأوّل والمرحلة الابتدائيّة من السير القهقرائيّ للإنسان. وإذا تثبّت في هذه المرحلة وتحقّق العمل بالبرنامج: تحصّل له التقيّد والتعلّق به، وهذا هو مرحلة الاستقرار تحت قيود الأغلال. ثمّ إذا تحقّق هذا التعلّق والمحدوديّة: تتظاهر آثاره في ظواهره وفي أعضائه وجوارحه، بصورة الخلاف والعصيان والكفران والعدوان، وهذا هو مرحلة النار والسعير.

فيظهر أنّ العصيان هو أعلى مرتبة التخلّف والإعراض، وأتمّ مرحلة في السير القهقرائيّ للإنسان، ومن يُرى منه العصيان فهو متجاوز حدّ السلاسل والأغلال، ومتوغّل في الخلاف والعدوان.

إذ الأغلالُ في أعناقِهم والسَّلاسِلُ يُسحَبونَ في الحَميم - ٤٠ / ٧١.

أي إنّ التعلّقات الدنيويّة تكون بصورة أغلال في أعناقهم تقيّدهم فلا يتمكّنوا من الحركة والتحوّل والتقلّب، ثمّ يُسحَبون ويُجرّون بالسَّلاسل في الحميم.

فالسَّلاسل مبتدأ خبره قوله يُسحبون بها، والضمير محذوف لكونه معلوماً ولنظم آخر الآية. ولمّا كان البرنامج منهاج السير والعمل على طبقه، والعمل على ذاك المنهاج يسوق إلى العصيان وينتهي إلى النار: فعبّر في المورد بقوله تعالى: يُسحَبون في الحَميم.

ولا يصحّ عطف السَّلاسِل على الأغلال: فإنّ السلاسل صورة البرنامج وعبارة عن حقيقة المنهاج المتّخذ للسّير، وهذا المعنى لا يناسب أن تُعلَّق في الأعناق، بل يناسب السحب والجرّ في محلّ المنهاج.

* * *

سلط :

مقا ـ سلط: أصل واحد وهو القوّة والقهر، من ذلك السَّلاطة من التسلّط وهو القهر، لذلك سمّي السلطان سُلطاناً، والسلطان: الحجّة. والسَّليط من الرجال: الفصيح اللسان الذرِب. والسَّليطة: المرأة الصَّخّابة (شديدة الصياح). وممّا شذّ عن الباب: السَّليط: الزيت بلغة أهل اليمن، وبلغة غيرهم دهن السَّمْسِم.

مصبا ـ سليط: صَخّاب بذيّ اللِّسان، وامرأة سليطة، وسَلُطَ سلاطة. والسَّليط: الزيت. والسلطان إذا أُريد به الشخص مذكّر. والسلطان: الحجّة والبرهان. والسلطان: الولاية والسلطنة، والتذكير أغلب عند الحذّاق، وقد يؤنّث فيقال قضت به السلطان أي السلطنة، وسلّطته على الشيء تسليطاً: مكّنته منه، فتسلّط: تمكّن وتحكّم.

الجمهرة ٣ / ٢٧ ـ والسَّلْط منه قولهم ـ لسان سليط: بَيّن السَّلاطة والسُّلوطة. ويقال امرأة سِلِطّانة: إذا كانت طويلة اللسان. والسَلطان يذكّر ويؤنّث والتأنيث أعلى، والسَّليط للذكر مدح وللأُنثى ذمّ، يقال سَليطة كثيرة الشرّ والصخب، ورجل سَليط اللسان فصيحه، والمصدر فيهما السَّلاطة. وسُلطان كلّ شيء: حدّته وسطوته، ومنه اشتقاق السلطان. وسلطان الدم تَبيُّغه (هيجانه). وسلطان النار التهابها. وفلان مسلّط على بني فلان إذا كان متأمّراً عليهم.

مفر ـ السَّلاطة: التمكّن من القهر ـ ولو شاء الله لَسَلّطهم، ومنه سمِّي السُّلطان. والسُّلطان يقال في السَّلاطة ـ فقد جَعَلْنا لوليِّه سُلْطاناً. وقد يقال لذي السَّلاطة وهو الأكثر، وسمِّي الحجّة سُلطاناً وذلك لما يلحق من الهجوم على القلوب، لكنّ أكثر

تسلّطه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين ـ فأتوا بسُلْطانٍ مُبين .

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التمكّن مع تفوّق، سواء كان قاهراً أو غير قاهر، وسواء كان في شخص أو في قول أو في عقيدة، وسواء كان طبيعيّاً أو غير طبيعيّ بإفاضة أو بجعل أو بتكلّف.

فالتكلّف كما في قولهم: مرأة سليطة، إذا تكلّفت في الكلام وأكثرت حتّى تتفوّق.

وفي الجَعْل كما في: ومَن قُتِل مَظلوماً فَقَد جَعَلنا لِوَليّه سُلطاناً ـ ١٧ / ٣٣.

وفي الإفاضة كما في: سَنَشدّ عَضدَكَ بأخيكَ ونَجعَلُ لَكُما سُلطاناً ـ ٢٨ / ٣٥.

وَلَقَد أرسَلنا موسى بآياتنا وسُلطانٍ مُبين ـ ٤٠ / ٢٣.

وفي القول كما في: إنْ عندَكُم مِن سُلطان بهذا أتقولون عَلى الله ـ ١٠ / ٦٨.

وفي الاعتقاد كما في: وأن تُشركوا بالله ما لَم يُنَزِّل بِهِ سُلطاناً ـ ٧ / ٣٣.

وفي الشخص كما في: وما كانَ لَنا عَلَيكُم مِن سُلطان ـ ٣٧ / ٣٠.

إنَّ عِبادي لَيسَ لَكَ عَلَيهم سُلطان ـ ١٧ / ٦٥.

وَلَو شاءَ الله لَسَلَّطَهُم عَلَيكُم ـ ٤ / ٩٠.

وفي الأعمّ من القول والشخص كما في: أتُريدونَ أن تَجْعَلُوا لِلّه عَلَيكُم سُلطاناً مُبيناً ـ ٤ / ١٤٤.

وأُولئكُم جَعَلنا لَكُم عَلَيهم سُلطاناً ـ ٤ / ٩١.

فالسُّلطان في هذه الموارد كلّها مصدر كالغُفران، بمعنى التمكّن في تفوّق، في أيّ شيء يتحقّق.

وظهر أنّ القوّة والقهر والحجّة والفصاحة والولاية والصخب والحدّة والسطوة ونظائرها: من آثار الأصل ولوازمه في الموارد.

وأمّا الزيت: فلعلّه بمناسبة نفوذه وتفوّقه واستقراره وتمكّنه في أيّ طـعام، أو بمناسبة تمكّن شجرة الزيت وقوّتها وتفوّقها.

إنَّ عِبادي لَيسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلطان إلّا مَن اتَّبَعَكَ مِن الغاوين ـ ١٥ / ٤٢.

إنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلطان عَلَى الَّذينَ آمَنوا وَعَلىٰ رَبّهِم يَتَوَكَّلون ـ ١٦ / ٩٩.

وَما كانَ لي عَلَيكُم مِن سُلطان إلّا أن دَعَوْتُكُم فاستَجبتُم لي ـ ١٤ / ٢٢.

فإنّ إبليس ليس له تفوّق وتسلّط على الإنسان من حيث إنّه إنسان من جهة شخصه ولا بالجعل ولا بالإفاضة، نعم إنّه يُغوي ويدعو إلى الضلال والفساد، وما لم يكن الإنسان ضعيفاً فيه اقتضاء القبول للضلال: لا يقدر إبليس أن يُغويه ويُضلّه.

وروح الإنسان وحقيقة وجوده إنّما يتقوّى ويقتدر ويتمكّن بالارتباط والإيمان والتوكّل والتفويض والاستقرار تحت حكومة الله العزيز المتعال وفي ظلّ ربوبيّته، ومن كان مرتبطاً ومسـتقرّاً تحت الربوبيّـة: فلا ضعف فيه ولا اقتضاء في وجوده لقـبول الإغواء والنفوذ والسلاطة.

فبيت القلب إذا كان في تصرّف الرحمن وتحت نفوذه وتوجّهه وربوبيّته: لا يمكن للشيطان أن يتصرّف فيه ويكون عليه سلطان منه.

وَمَن يؤمِن بالله يَهدِ قَلبَه ـ ٦٤ / ١١.

ما جَعَلَ اللهُ لرَجُلٍ مِن قَلْبَينِ في جَوفه ـ ٣٣ / ٤.

فيعلم من هذه الآيات الكريمة: أنّ من يكون متأثّراً من إغواء الشيطان ومتّبعاً خطواته وعاصياً لربّه: فهو من جنود الشيطان كلّاً أو في الجملة.

ولا يخفى أنّ السّلاطة والسُّلطان: لم يُطلقَ في الله تعالى ولله في كتاب الله المجيد، فإنّ السُّلطان هو المتمكِّن في تفـوّق، وهذا المعنى يناسب الممكن لا الواجب تعالى، فإنّ صفات الواجب ذاتيّة لا زائدة.

* * *

سلف :

مصبا ـ سَلَف سُلوفاً من باب قعد: مضى وانقضى، فهو سالف، والجمع سَلَف وسُلّاف، ثمّ جمـع السَّلَف على أسلاف. وأسلَفْتُ إليه في كذا فتسلّف، وسلّفت إليـه تسليفاً: مثله، واستسلفَ أخذ السَّلَفَ، وهو إسم من ذلك.

مقا ـ سلف: أصل يدلّ على تقدّم وسبق، من ذلك السلف الّذي مضوا. والقوم السُّلّاف: المتقدِّمون. والسُّلاف: السائل من عصير العنب قبل أن يُعصَر. والسُّـلفة: المعجّل من الطعام قبل الغذاء. والسَّلوف: الناقة تكون في أوائـل الإبـل إذا وردَتْ. ومن الباب السَّلَف في البيع، وهو مال يقدّم لما يُشتَرى نَساءً، وناس يُسمّون القَرضَ السَّلَف وهو ذلك القياس، لأنّه شيء يقدّم بعوض يتأخّر.

مفر ـ السَّلَف: المُتَقدِّم ـ فجعلناهم سَلَفاً ومَثَلاً للآخِرين أي مُعتَبراً مـتقدّماً. وله ما سَلَف أي يتجافى عمّا تقدّم مِن ذنبه. ولفلان سَلَف كريم، أي آباء متقدّمون، جمعه أسلاف وسُلوف. والسالفة: صَفحة العـنق. والسَّـلَف: ما قُدِّم من الثمن عـلى المبيع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو وقوع شيء وتحقّقه في الزمان الماضي، وقلنا في السبق:

إنّ السبق تقدّم في حركة أو عمل أو فكر، وهو في مقابل اللحوق.

والتقدّم: هو كون شيء مقدّماً بالنسبة إلى شيء متأخّر عنه وهو في مقابل التأخّر، في زمان أو مكان، قصد ذلك أو لم يُقصد، ولا نظر فيه إلى زمان أو إلى سبق.

والمرور: هو العبور عن نقطة معيّنة.

والمضيّ: هو تجاوز جريان على الحال إلى ما تقدّم، والنظر فيه إلى زمان أو زمانيّ يفرض فيه جريان، وهو في مقابل الاستقبال.

فالسلف: لا يلاحظ فيه سبق ولحوق، ولا تقدّم وتأخّر، ولا عبور عن نقطة، ولا جريان في ماضي ومستقبل.

وأن تَجمعوا بَينَ الاُختَيْنِ إلّا ما قَد سَلَف ـ ٤ / ٢٣.

وَلا تَنكِحُوا ما نَكَحَ آباؤكُم مِن النِّساءِ إلّا ما قَد سَلَف ـ ٤ / ٢٢.

عَفا الله عَمّا سَلَف ـ ٥ / ٩٥.

إن يَنتَهوا يَغفِر لَهُم ما قَد سَلَف ـ ٨ / ٣٨.

أي ما وقع وتحقّق من قبل.

هُنالِكَ تَبلو كُلّ نَفس ما أسلَفَتْ ـ ١٠ / ٣٠.

كُلُوا واشرَبوا هَنيئاً بِما أسلَفتُم في الأَيّام الخالية ـ ٦٩ / ٢٤.

الإسلاف: جعل شيء سَلَفاً ومحقَّقاً، والمراد منه ما قد وقع منه مـن الأعـمال والطاعات الصالحات أو السيّئات.

فَمَن جاءَه موعِظَةٌ مِن رَبِّهِ فانتَهىٰ فَلَهُ ما سَلَف ـ ٢ / ٢٧٥.

أي ما سلَف من عمله في الربوا، فليس لأحد أن يتعرّض عليه أو يطلب منه ما أخذ منهم.

وأمّا من جهة العصيان والخلاف: فقال: وأمرُه إلى الله.

فأغرَقْناهُم أجمَعين فَجَعَلناهُم سَلَفاً ومَثَلاً للآخِرين ـ ٤٣ / ٥٦.

أي جعلنا هلاكهم وكونهم مُغرقين أمراً محقّقاً ومَثَلاً يُمثّل به لأقوام يأتون من بعدهم وبالنسبة إليهم، ليعتبروا بهم.

فظهر لطف التعبير بهذه المادّة في هذه الموارد، إذِ النظر فيها إلى أمر قد تحقّق ووقع، لا إلى جهة السبق، أو التقدّم، أو المرور، أو المضيّ.

وقد خلطت هذه المفاهيم في كتب اللغة والتفاسير، وانحرفوا عن الحقيقة.

* * *

سلق:

مقا ـ سلق: كلمات متبائنة لا تكاد تُجمَع منها كلمتان في قياس واحد، وربّك يَفعل ما يَشاء ويُنطِق خلقه كيف أراد، فالسَّلَق: المطمئنّ من الأرض. والسِّلقة: الذِئبة. وسَلَق: صاح. والسَّليقة: الطبيعة. والسليقة: أثر النِّسع في جنب البعير. وسَـلوقُ: بلدٌ. والتسلّق على الحائط: التورّد عليه إلى الدار. والسِّليق: ما تحاتّ من الشـجر. والسُّلاق: تقشّر جلد اللسان. وسلقت المَزادة إذا دَهَّنْتَها. والسَّلْق: أن تُدخل إحدى عروتي الجُوالق في الأخرى ثمّ تُثنيها مرّة أخرى.

مصبا ـ السِّلق: نبات معروف. والسِّلق: إسم للذئب، والسِّلقة: الذِّئبة. وسلَقْت الشاة سَلقاً من باب قتل: نحّيت شعرها بالماء الحميم. وسلقتُ البقلَ: طبختِه بـالماء بحتاً، وهكذا البيض يطبخ في قشره بالماء. وسَلَق الرجل امرأته: ألقاها على قـفاها للمباضعة. وسلَقه بلسانه: خاطبه بما يكره.

مفر ـ السَّلق: بسط بقهر إمّا باليد أو باللسان. والتسلّق عـلى الحـائط مـنه. والسَّليقة: خبز مُرَقَّق، وجمعها سلائق.

صحا ـ السَّلق: القاع الصَّفصَف، وجمعه سُلقان، وكذلك السَّمْلق بزيادة الميم. وطعنته فسَلقته: إذا ألقيته على ظهره، وربّما قالوا: سلقيته سِلقاءً، يزيدون فيه الياء. واسلنق الرجل: إذا نام على ظهره. وسَـلَقه بالكلام سَـلقاً: آذاه وهو شـدّة القـول باللسان. والمِسلاق: الخطيب البليغ، وكذلك السَّلّاق.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إخضاع بقهر وشدّة، وهذا المعنى تختلف خصوصيّاته باختلاف الموارد، وهذه القيود لازم أن تلاحظ في كلّ مورد منها.

فالخطيب سـلّاق إذا أخضع الناس وأسـكتهم بقهـر بيانـه وشـدّة كـلامـه، والاسلنقاء هو الاسـتقرار على قفاه بالخضوع مقهوراً. والسَّليقة: عبارة عن طبيـعة خاضعة مقهورة متحصّلة ثانويّة. والقاع: إذا كانت منبسطة خاضعة بالقهر، وهكذا في الخبز المرقّق وغيره.

ولعلّ إطلاق السِّلق على الذئب: باعتبار كونه مُخضِعاً قاهراً في حمـلته. وعلى الصيحة إذا كانت قاهرة. وعلى الطبيخ إذا كان منبسطاً مقهوراً.

فإذا ذَهَبَ الخوفُ سَلَقوكُم بألسِنَةٍ حِدادٍ أشِحَّةً عَلى الخَير ـ ٣٣ / ١٩.

أي أخضعوكم قاهرين وحملوا عليكم بألسنتهم الحديدة. يراد إنّهم إذا أمنوا من شرور الأعداء: ظهر ما في قلوبهم من البغضاء وحبّ الدنيا.

* * *

سلك :

مصبا ـ سلكت الطريق سُلوكاً من باب قعد ذهبت فيه، ويتعدّى بنفسه وبالباء، يقال سلكت زيداً الطريق وسلكت به الطريق، وأسلكت: لغة نادرة، وسلكت الشيء في الشيء: أنفذته.

مقا ـ سلك: أصل يدلّ على نفوذ شيء في شيء، يقال سلكت الطريق أسلُكه. وسلكت الشيء في الشيء: أنفذته. والطَّعنة السُّلكى: إذا طعنَه تِلقاء وجهه.

صحا ـ السِّلك: الخيط، والسَّلْك: مصدر سَلكتُ الشيء في الشيء فانسلك: أدخلته فيه فدخل. والسُّلَك: ولد الحَجَل، والأُنثى سُلَكة، والجمع سِلكان.

مفر ـ السُّلوك: النفاذ في الطريق، يقال سلكتُ الطريقَ، وسلكتُ كذا في طريقه ـ لتَسْلكوا مِنها سُبُلاً فجاجاً.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الحركة أو العمل على خطّ معيّن وبرنامج دقيق، وهذه القيود هي الفارقة بينها وبين موادّ الحركة والمشي والذهاب والسّير وغيرها ـ راجع السّرى.

فالسلوك هو المشي على خطّ معيّن في حركة أو عمل أو عقيدة.

فالحركة كما في: أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسلكهُ يَنابيع في الأَرض ـ ٣٩ / ٢١.

واللهُ جَعَلَ لَكُم الأَرضَ بِساطاً لِتَسْلُكوا مِنها سُبُلاً فِجاجاً ـ ٧١ / ٢٠.

يراد الحركة الظاهريّة في خطوط معيّنة وطرق منتخبة.

والعقيدة كما في: ما كانوا به مُؤمِنينَ كَذلِك سَلَكناه في قُلوبِ المُجرمين ـ ٢٦ / ٢٠٠.

كَذلِك نَسلُكه في قلوبِ المُجرِمينَ ـ ١٥ / ١٣.

يراد الحركة على خطّ معيّن معنويّ وعلى مقتضى ما يعتقدون، وهو الكفر وعدم الإيمان.

وأمّا إنفاذ الكفر وعدم الإيمان من الله تعالى في قلوبهم: فإنّه جزاء كونهم مجرمين واستقامتهم في العصيان والخلاف.

أُسلُكْ يَدَكَ في جَيْبِك تخرجْ بَيْضاءَ ـ ٢٨ / ٣٢.

أي أوجد هذه الحركة المعيّنة والعمل المخصوص في هذا الخطّ بخضوع وتوجّه وتذلّل، كما هو ظاهر عمل وضع اليد في الجَيْب، فإنّ كمال قدرة الروح ونورانيّته في الفناء.

ومَن يُعرِضْ عَن ذِكر رَبّه يَسْلُكْه عَذاباً ـ ٧٢ / ١٧.

هذا كإنفاذ الكفر في قلوب المجرمين في أثر عصيانهم، فيكون التعذيب جزاءً للإعراض.

ما سَلَكَكُم في سَقَر ـ ٧٤ / ٤٢.

ثُمَّ في سِلسِلة ذَرْعُها سَبعونَ ذِراعاً فاسلكوه ـ ٦٩ / ٣٢.

أيّ مشي وعمل وحركة وعقيدة معيّنة أوصَلكم إلى هذا السقر، ويسوقونهم إلى جهنّم في سِلسلة، والسلسلة كما مرّ كانت عبارة عن التمايلات والشهوات الممتدّة النفسانيّة المتجسّمة بصورة السَلاسِل.

ثُمَّ كُلي مِن كُلّ الثمراتِ فاسلُكي سُبُلَ رَبّك - ١٦ / ٦٩.

اي فاتّخذي سُبُلاً معيّنة بالفطرة واعملي كما هو وظيفة لكِ في خطوط حياتكِ.

* * *

سلّ:

مقا ـ سلّ: أصل واحد، وهو مدّ الشيء في رِفق وخَفاء، ثمّ يحمل عليه، فمن ذلك سَللتُ الشيءَ أسُلّه سَلاًّ، والسَّلّة والإسلال: السَّرِقة. ومن الباب السَّليل: الولد، كأنّه سُلّ من أُمّه سَلاًّ. وممّا حُمل عليه السِّلسلة، لأنّها ممتدّة في اتّصال. والسالّ: مَسيل في مَضيق الوادي، وجمعه سُلّان، كأنّ الماء ينسلّ منه أو فيه انسلالاً. وفرس شديد السَّلّة: وهي دفعته في سِباقه.

مصبا ـ سللتُ السيفَ سَلاًّ من باب قتل وسللت الشيء: أخذته ومنه قيل: يُسلّ الميّت من قبل رأسه إلى القبر، أي يؤخذ. والسَّلّة: السَّرقة، وهي إسم من سَلَلْته سَلاًّ: إذا سرقته. والسَّلّة: وعاء يحمل فيه الفاكهة، والجمع سلّات. والسَّليل: الولد، والسُّلالة: مثله، والأُنثى سَليلة، ورجل مَسلولٌ سُلّت انثياه أي نزعت خصيتاه. والمِسَلّة: مِخيط كبير، والجمع المَسالّ. والسِّلّ: مرض معروف. وأسلّه الله: أمرضَه.

مفر ـ سلّ الشيءَ من الشيء: نزعه، كسَلّ السيف من الغمد، وسلّ الشيء من البيت على سبيل السرقة، وسلّ الولد من الأب، ومنه قيل للولد سَليل ـ مِن سُلالَة مِن طين ـ أي من الصَّعو (اللطيف) الّذي يُسلّ من الأرض، وقيل: السُّلالة كناية عن

النطفة تُصوّر دونه صفو ما يحصل منه.

التهذيب ١٢ / ٢٩٢ ـ سلّ: قال الليث ـ السَّلّ سَلُّك الشَّعر من العجين ونحوه، والانسلال: المضيّ والخروج من مَضيق أو زِحام، وسللت السّيف من غِمده، فانسلّ، والسِّلّ والسُّلال: داء مثله يُهـزِل ويُضني ويَقتل، يقال سُـلّ الرجلُ وأسلّه الله، فهو مَسلول. ـ مِن سُلالَة مِن طين ـ قال الفرّاء: السُّلالة الّذي سُلّ من كلّ تربة. وقال أبوالهيثم: ما سُلّ من صُلب الرجل وترائب المرأة كما يُسَلّ الشيء سَـلّاً، والسَّـليل: الولد، سمِّي سَليلاً حين يخرج من بطن أُمّه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في هذه المادّة: هو التحصّـل والخـروج من شيء، كسَـلّ السيف من الغمد، وسَلّ المال بالسّرقة والعدوان، والولد سَليل من أبويه، والسُّلالة ما يُسَلّ ويَتحصّل، والفعل متعدّ.

والانسلال: قبول التحصيل والإخراج، يقال: انسلّ الشَّعرُ من الزبد والسيف من الغمد. والتسلّل لمطاوعة السلّ، وهو الخـروج والتحصّل باختيار وقصد، يـقال تسلَّل من الزحام، أي اختار الخروج منه. والإسلال يدلّ على جهة الصدور ونسبة الحدث إلى الفاعل، يقال أسلّ السيف إذا كان النظر إلى جهة الصدور.

وأمّا قولهم ـ يُسَلّ الميـت: فباعتـبار إخراجـه من التابوت من ساتر يسـتر الجنازة، حتى يوضع في القبر. وأمّا السَّلّة: فباعتبار أنّ محتواها مأخوذ ومُخرج من جملة الفواكه.

وَلَقَد خَلَقنا الإنسانَ مِن سُلالَة مِن طين ـ ٢٣ / ١٢.

أي ممّا يتحصّل ويُخرج من الطين، والطين هو المركّب من ماء وتراب، والنباتات كلّها متحصّلة منها، وغذاء الحيوان يرجع إلى النبات، وهكذا الإنسان.

والنطفة إنّما هي تتكوّن من الغذاء، فترجع إلى الطين ـ ثُمَّ جَعَلناهُ نُطفَةً في قَرارٍ مَكين ثُمَّ خَلَقْنا النُّطفَةَ عَلَقَة ـ ٢٣ / ١٤.

وبَدَأ خَلْق الإنْسانِ مِن طِين، ثُمَّ جَعَلَ نَسْله مِن سُلالَة مِن ماءٍ مَهين ثُمَّ سَوّيه ـ ٣٢ / ٨.

لمّا كان النظر في الآية الأُولى إلى مطلق خلق الإنسان. فذكر المبدأ والمنشأ الأصليّ الجامع بين جميع الأفراد. وأمّا هذه الآية الكريمة: فالنظر فيها إلى التفصيل بين بدء خلقه وخلق نسله، فذكر بأنّ مبدأ الخلق وبدءه كان من الطين، وأمّا النسل وفي الطبقات المتأخّرة: فهو من سُلالة من ماء مَهين، أي ممّا يتحصّل ويُخرَج من النطفة، والمَهين هو الحقير.

قَد يَعْلَمُ اللهُ الَّذينَ يَتَسَلّلونَ مِنكُم لِواذاً ـ ٢٤ / ٦٣.

التسلّل اختيار التحصّل والخروج من اجتماع أو برنامج، والتحصّل يشعر بالدقّة والخفاء والاستخفاء. واللِّواذ والمُلاوَذة بمعنى إدامة الالتجاء من جهة إلى جهة، ويلازمه الاستبعاد والمخالفة، يقال لاوَذ بفلان إذا التجأ إليه ولاذ به. ولاوَذ فلاناً خالفه. ولاوَذ عنه راوغ.

يراد خروجهم من دائرة الدين والطاعة بأعمال مخالفة وحركات شنيعة ومعاصي وانحرافات مخفيّة، يريدون القرب والاتّصال إلى المخالفين والبُعد والانفصال عن الإسلام والمسلمين، والاستقرار تحت جمعيّة المنافقين، ملتجئين إليهم.

فالتسلّل إشارة إلى جهة الخروج، واللِّواذ إلى جهة التقرّب من المخالفين،

واللِّواذ: منصوب على أنّه مفعول لأجله، أي يتسلّلون لأجل اللّواذ إليهم.

والآية الكريمة مربوطة بما قبلها (لا تَجْعَلوا دُعاءَ الرّسول بَينَكُم كَدُعاء بعضكُم) فإنّ الدعوة إمّا باللسان والإظهار أو بالقلب والتوجّه والتعلّق الباطنيّ، والقسم الثانيّ أهمّ فإنّ اللسان ترجمان الجَنان، فالآية تشير إلى أنّ الدعوة للرسول لازم أن تكون من القلب وبالتوجّه والتعلّق الباطنيّ، لا كدُعاء بعضكُم بعضاً، يُظهرون بالتعلّق ويسرّون التسلّل واللواذ.

فظهر لطف التعبير بالمادّة دون الخروج والبُعد والانفصال وغيرها.

* * *

سلم:

مقا ـ سلم: معظم بابه من الصحّة والعافية، ويكون فيه ما يَشذّ، والشاذّ عنه قليل. فالسَّلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى. قال أهل العلم: الله جلّ ثناؤه هو السلام، لسلامته ممّا يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء ـ والله يدعو إلى دار السَّلام، فالسَّلام الله، وداره الجنّة. ومن الباب أيضاً الإسلام هو الانقياد لأنّه يسلم من الإباء والامتناع. والسِّلام: المسالَمة، وفعال تجيء في المفاعلة كثيراً، نحو القتال. ومن باب الإصحاب والإنقياد: السَّلَم الّذي يسمّى السَّلَف، كأنّه مال أسلم ولم يمتنع من إعطائه. وممكن أن تكون الحجارة سمّيت سِلاماً لأنّه أبعد شيء في الأرض من الفَناء والذّهاب، لشدّتها وصلابتها. فأمّا السَليم وهو اللَّديغ، وتسميته: لأنّه أُسلِم لما به أو أنّهم تَفاءَلوا بالسَّلامة. والسُّلَّم: معروف وهو من السَّلامة، لأنّ النازل عليه يُرجى له السَّلامة. والّذي شذّ عن الباب السَّلم: الدَّلو الّتي لها عروة واحدة. والسَّلَم: شجر. ومن الباب الأوّل: السَّلْم وهو الصُّلح.

مصبا ـ السَّلَم: في البيع مثل السَّلَف وزناً ومعنى، وأسلمت إليه بمعنى أسلفت أيضاً. والسَّلَم أيضاً شجر العضاه، الواحدة سَلَمة. والسَّلام إسم من سلم عليه، والسَّلام من أسماء الله تعالى. والسِّلْم: الصلح، يذكّر ويؤنّث، وسالَمه مُسالَمة وسِلاماً. وسَلِم المسافر يسلَم من باب تعِب، سَلامةً: خلص ونجا من الآفات، فهو سالم. وسلّمه الله في التعدية وأسلم لله، فهو مسلم، وأسلم: دخل في دين الإسلام. وأسلم: دخل في السِّلم. وأسلَم أمره لله، وسلّم أمره لله لغة. وأسلمته: خذلته، واستسلَم: انقاد، وسَلّم الوديعة لصاحبها: أوصلها، فتسلّم ذلك، ومنه قيل سلَّم الدعوى: إذا اعترف بصحّتها، فهو إيصال معنويّ، وسلم الأجير نفسه للمستأجر: مكّنه من نفسه حيث لا مانع، واستلأمت الحجر قال ابن السِّكّيت: همّزته العرب على غير قياس، والأصل استلمت لأنّه من السِّلام وهي الحجارة، وقال ابن الأعرابيّ: أصله مهموز من المُلاءَمة وهي الاجتماع.

الاشتقاق ٣٤ ـ سَلمىٰ من السَّلم والسِّلم: ضدّ الحرب. والسَّلْم والسَّلَم واحد، وألقَوْا إليكم السَّلَم، وجئتك بفلان سَلَماً أي مُستَسْلماً لا يُنازِع. والسَّلم: دَلوٌ لها عروة واحدة نحو دِلاء السَّقّائين. والسَّلامة: ضدّ البلاء. والسِلام جمع سَلِمة وهي حجارة. وذكر يونس إنّ قولهم استَلم فلان الحجر الأسود: هو افتعل من السَّلِمة. واشتقاق السلم من قولهم أسلمت لله أي سَلِم له ضميري. والسُّلامىٰ: عصب ظاهر الكفّ والقدم، وعِظام صِغار حولها عصب.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الخصومة وهو الموافقة الشديدة

في الظاهر والباطن بحيث لا يبقى خلاف في البين.

ومن لوازم هذا المعنى مفاهيم الانقياد والصلح والرضا.

ولمّا كان أصل المادّة لازماً: فيكون مفهومه حصول الوفاق ورفع الخلاف والخصومة في نفس الشيء، سواء يلاحظ في نفسه أو بالنسبة إلى غيره.

وإذا لوحظ في نفسه من حيث هو: يلازمه الاعتدال والنظم والمحفوظيّة من النقص والعيب والعاهة والآفة، وهذا معنى السلامة والصحّة في نفس الشيء وفي أجزائه، لفقدان الخلاف فيما بين الأجزاء والأعضاء، وحصول الوفاق الكامل والنظم والاعتدال فيها، فالصحّة تكون من مصاديق الأصل بهذا المعنى.

وهذا القيد هو الفارق بين السلامة والصحّة والعافية، فالنظر في هذه المادّة إلى حصول الوفاق ورفع الخلاف في نفس الشيء من حيث هو.

ومن لوازم هذا المعنى: مفاهيم التخلّص من الآفات والنجاة من العاهات والصحّة والعافية من النقص والعيب.

وأمّا مفهوم الخذلان في قولهم ـ أسلمته أي خذلته: فمأخوذ من السِّلم، أي جعلته سِلماً موافقاً ومنقاداً، فهو من آثار الأصل.

وأمّا استلام الحجر: فهو افتعال وهو بمعنى المطاوعة والاختيار، والمعنى اختيار التسلّم في قبال الحجر الأسود الّذي شرّفه الله حول البيت، والتسلّم يتجلّى بتعظيمه كتعظيم البيت وتقبيله ومسّه بقصد التيمّن.

وأمّا الإطلاق في الحجارة: فكأنّها مصاديق طبيعيّة للتسلّم، وهذا المعنى متحقّق في الدلو للسقاء أيضاً، حيث إنّه مسخّر ومنقاد.

يا أَيُّها الَّذين آمَنوا ادْخُلوا في السِّلْمِ كافَّة ـ ٢ / ٢٠٨.

فالسِّلم إسمُ مصدر، وهو المفهوم المتحصّل من المصدر والمسالَمة.

وان جَنَحوا لِلسَّلم فاجنَح لَها وتَوَكَّلْ عَلى الله ـ ٨ / ٦١.

فَلا تَهِنوا وتَدعوا إلى السلم وأنتُم الأعلونَ ـ ٤٧ / ٣٥.

السَّلم مصدر بمعنى التوافق ورفع الخلاف والخصومة. وتشير الآيتان الكريمتان إلى أنّ الأصل الأوّلي في الإسلام هو المسالَمة إذا تمايل المخالف، ولا يجوز الاستسلام وطلب المسالمة من جانب المسلمين ابتداءً، فإنّ هذا علامة الوهن والضعف في إرادة المسلمين وإيمانهم، فإنّهم الأعلون إن كانوا مؤمنين.

فإن اعتَزَلوكُم فَلَم يُقاتِلوكُم وألقَوْا إلَيكُم السّلَم فَما جَعَلَ الله لَكُم عَلَيْهِم سَبيلاً ... فإن لم يَعْتزلوكُم ويُلقوا إلَيكُم السلَم ويَكفّوا أيديَهم فخُذوهُم واقـتلوهُم ـ ٤ / ٩١.

وألقَوْا إلى اللهِ يَوْمَئذٍ السلَم وضلّ عَنهُم ما كانوا يَفتَرون ـ ١٦ / ٨٧ .

فألقَوا السلَم ماكُنّا نَعْمَل مِن سُوء ـ ١٦ / ٢٨.

السَّلَم أيضاً مصدر كتَعَبٍ، والإلقاء بمعنى الإظهار والإبلاغ، والآيتان الأوليان تدلّان على نفي التعرّض والسبيل على المخالفين إذا أظهروا الاعتزال وألقَوا السَّلم في الدنيا. والأخيرتان إشارة إلى إظهار السَّلَم منهم في الآخِرة وبعد انقضاء زمان العمل، وهو غير نافع لهم في يوم الحساب.

وأمّا الإسلام والتسليم: فالنظر في الأوّل إلى جهة الصدور من الفاعل وقـيام الفعل به، وفي الثاني إلى جهة وقوع الفعل وتعلّقه بالمفعول.

بَلى مَن أسلَم وجهَه لِلّهِ، ولَهُ أسلَم مَنْ في السَّمٰواتِ والأَرْض، وأُمِرتُ أن أُسلمَ لِرَبِّ العالَمين.

أي مَن جعل نفسَه وذاته ووجهه في سِلمٍ قبالَ ربّ العالمين، حتّى لا يبقى جهة خلاف في البين.

فَسَلِّموا عَلى أنفُسكُم تَحـيَّةً، صَلّوا عَلَيْه وسَلِّموا تَسْليماً، إذا سَـلَّمتُم ما آتيتُم بالمعروف.

أي التسليم وجعل هذا العمل متعلّقاً بالغير، كتسليم التحيّة وتسليم النـفس وتسليم ما آتيتم، والمراد جعل هذه الموضوعات مُسَلّمة وفي سِلمٍ في هذه الموارد، في كلّ مورد بحسبه.

والتعبير في هذه الموارد بهذه المادّة دون ما يماثلها من التأدية والإيتاء والإعطاء والدفع وغيرها: إشارة إلى تحـقّق مفهوم السِّـلم وأن لا يبقى أدنى خلاف وبـغض، ويكون هذا من خلوص النيّة.

ثمّ إنّ متعلَّق التسليم والإسلام إمّا أمر مادّيّ أو روحانيّ:

فالأوّل كما في: إذا سلّمتُم ما آتيتُم بالمعروف.

ما تريدون إيتـاءه في مقابل الرضـاعة، وكما في: ولَو أراكهم كَثيراً لَفشـلتُم ولَتنازعتُم في الأمر ولكنّ الله سلّم ـ ٨ / ٤٣.

أي جعلكم سِلماً متوافقين في مقابل العدوّ.

والأمر الروحانيّ كما في: ياأَيُّها الَّذينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلِّموا تَسْليماً ـ ٣٣ / ٥٦.

أي اجعلوا أنفسكم وقلوبكم سلماً وموافقاً قبال رسـول الله (ص). ونظيرها قوله تعالى: ثُمَّ لا يَجدوا في أنفسهم حَرَجاً ممّا قضيتَ ويُسلِّموا تَسليماً ـ ٤ / ٦٥.

أي حتّى لا يبقى خلاف باطنيّ واستنكار قلبيّ بل يوافقون من جميع الجهات

ويسلّمون أنفسهم وقلوبهم فيما قضى (ص).

والإسلام أيضاً من جهة متعلَّقه كذلك، فالمادّيّ كما في: سَتُدعَوْن إلى قَوم أُولي بأس شَديد تُقاتلونَهم أو يُسلِمون ـ ٤٨ / ١٦.

يراد إظهار التسلّم وكونهم سِلماً في المرتبة الأُولى من الإسلام. وكما في قـوله تعالى: أن لا تَعْلوا عَلَيَّ وأتوني مُسلمينَ ـ ٢٧ / ٣١.

يراد الإطاعة والاتّباع في الظاهر.

والروحانيّ كما في: وأُمِرتُ أنْ أُسلِمَ لِرَبّ العالَمين ـ ٤٠ / ٦٦.

فظهر أنّ الإسلام عبارة عن جعل شيء سِلماً أي موافقاً متلائماً لا يبقى خلاف ولا تُرى جهة مغايرة ومنافرة.

وللإسلام مراتب: الأوّل ـ إسلام في الأعمال الظاهريّة وفي الأركـان البـدنيّة والجوارح والأعضاء الجسمانيّة، كما في: قالَت الأعرابُ آمَنّا قُل لَم تؤمِنوا ولكن قولوا أسلَمْنا ـ ٤٩ / ١٤.

والمرتبة الثانية ـ جعل النفس سِلماً وموافقاً في الظاهر والباطن، بحيث لا يبقى خلاف في أعماله وفي نيّاته وقلبه، كما في: إنْ تُسمِعُ إلّا مَن يؤمن بآياتِنا فهُم مُسلِمون ـ ٣٠ / ٥٣.

والمرتبة الثالثة ـ رفع الخلاف كلّاً، سواء كان في عمل أو في نـيّة أو في إنّـيّة ذات، ففي هذه المرتبة لا يبقى إنّيّة ولا تشخّص نفسيّ، ولا رؤية نفس، ويكون وجوده مستغرقاً في بحر الوجود الحقّ، وفانياً في عظمة نوره تعالى، وفي هذا المقام يُقلَع أثر الخلاف من أصله، وهو الإنّيّة، وتتجلّى حقيقة مفهوم التسلّم والموافقة الحقّة المطلقة ـ إنَّ الدِّين عندَ الله الإسلام ـ ٣ / ١٩.

فإنّ الإسلام المطلق الكامل هو يكون متحقّقاً في هذا المقام.

وأمّا السَّلام: فهو مصدر كالكلام، ومعناه السَّلْم والسَّلَم، بزيادة في مفهومه لزيادة في لفظه ومَبناه، وهو التوافق الكامل ورفع أيّ خلاف في الظاهر والباطن.

وقلنا إنّ السَّلم في ذات الشيء من حيث هو: عبارة عن تحقّق الاعتدال والنظم الكامل فيما بين الأجزاء وتنزّهه عن النقص والعيب، فإنّ التوافق الحقّ فيما بين الأجزاء وارتفاع الخلاف إنّما يتحصّل ويتحقّق في هذه الصورة فقط، والصحّة مرجعها إلى هذا المعنى.

سَلامٌ عَلَيكُم بِما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقبى الدّار - ١٣ / ١٤.

يَقولونَ سَلامٌ عَلَيكُم ادخُلوا الجَنَّةَ بِما كُنتُم تَعملون - ١٦ / ٣٢.

وسَلامٌ عَلى عِبادِه الَّذينَ اصطَفىٰ - ٢٧ / ٥٩.

سَلامٌ عَلَيكُم طِبتُم فادخُلوها - ٣٩ / ٧٣.

فتدلّ الآيات على ما ذكرنا من مفهوم السلام، فإنّ السلام قد ذكر فيها مربوطاً ومنوطاً بالعمل والاصطفاء والتطيّب والصبر، ويذكر بأنّ نتيجة السلام هي دخول الجنّة، وليس هذا إلّا أن يتحقّق الاعتدال ويتنزّه عن النقص والعيب، ويتحصّل حقُّ الخلوص والصّفا والطّهارة والنظم الكامل.

ويدلّ على هذا المعنى أيضاً: التعبير بقوله تعالى - سُبُل السَّلام، دار السَّلام، في قوله:

يَهْدي به اللهُ مَن اتَّبَعَ رِضوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ - ٥ / ١٦.

واللهُ يَدْعُو إلى دار السَّلام - ١٠ / ٢٥.

لَهُم دارُ السَّلام عِندَ ربّهم وهوَ وَليّهم - ٦ / ١٢٧.

يراد دار فيها اعتدال وصفاء وطهارة ونظم كامل، خالية عن النقص والعيب.

وأمّا السَّلامُ وهو من أسماء الله عزّ وجلّ: وهو المصداق الأتمّ الأكمل الحقّ من هذا المفهوم، ليس في وجوده أقلّ نقطة من الضعف والحاجة والفقر والنقص والمحدوديّة، وليس في ذاته عزّ وجلّ أثر من خلاف، وهو الحقّ المطلق، والمنزّه عن كلّ ما يتصوّر من الضعف، سبحانه وتعالى عمّا يقولون.

لا إله إلّا هوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلام ـ ٥٩ / ٢٣.

وأمّا كونه تعالى في غاية التوافق وكمال السِّلميّة: فإنّ ذاته تعالى المصداق الأتمّ من حقيقة الوفاق والسِّلميّة والصلح والرفق والسداد، وفي أثر هذه الصفة تتجلّى منه تعالى صفات الرّحمة والعطوفة والكرم، وهو الحنّان المنّان الودود الرّحمٰن الرّحيم، سبقَتْ رحمتُه غضَبه، ليس في ذاته تعالى مثقال ذرّة من بغض وخلاف وغضب وعدوان ومحدوديّة في أمر أو في حقّ مخلوق. فإنّ هذه الصفات إنّما تنشأ من الضعف والحاجة والفقر والمحدوديّة. وهو الغنيّ العزيز.

وأمّا السَّليم: فهو فعيل ويدلّ على ثبوت صفة السِّلميّة في ذات الشيء ويتنزّه عن النقص والعيب في حدِّ ذاته.

يَوْمَ لا يَنفَعُ مالٌ وَلا بَنون إلّا مَن أتى الله بِقَلبٍ سَليم ـ ٢٦ / ٨٩.

وإنّ من شيعتِه لَإبراهيم إذ جاء ربّه بقلبٍ سَليم ـ ٨٤ / ٣٧.

يراد قلب طاهر من العيوب والنقائص، وحقيقته السِّلميّة وتحصّل مفهوم الوفاق والصلح والرفق في القلب، وهذه الحقيقة إنّما تتحقّق بالتنزّه عن العيوب.

ويظهر من هذا التعبير أنّ النافع المفيد للإنسان في يوم الجزاء وفي مقام السير إلى الكمال والسعادة: هو السِّلميّة المتحصّلة في القلب لا غير.

ولا يصحّ حمل الكلمة على الصحّة والعافية الظاهريّة، فإنّ صحّة القلب المادّيّ لا تأثير لها في مقام الجزاء والثواب والعقاب، مضافاً إلى أنّ هذه الصحّة المادّيّة تتبدّل في الآخرة بسنخ آخر يلائم تلك الدار.

وكذلك في الآية الكريمة: وقَد كانوا يُدعَوْنَ إلى السُّجودِ وهُم سالِمُون ـ ٦٨ / ٤٣.

فليس المراد هو الصحة والعافية، فإنّ السجود بمعنى كمال الخضوع ومنتهى التذلّل، وهو أمر باطنيّ قلبيّ وقد يظهر بصورة السجود الظاهريّ، فلا ارتباط بين الصحّة وحقيقة السجود.

فالمراد أنّ وجودهم الجسمانيّ والروحي كانا في وفاق واعتدال وسِلميّة فطريّة، ومع هذا الاقتضاء الفطريّ والدعوة الإلٰهيّة: إنّهم كانوا في خلاف وتمرّد وعصيان عملاً.

ثمّ إنّ السِّلميّة والوفاق إمّا طبيعيّ فطريّ وإمّا إراديّ اختياريّ: فالطبيعيّ: ما يكون باقتضاء الفطرة والتكوين الإلهيّ، كما في قوله تعالى:

أَفَغَيْرَ دينِ اللهِ يَبْغُون ولَهُ أسلَمَ مَن في السّماواتِ والأَرْضِ ـ ٣ / ٨٣.

فإنّ كلّ موجود من الجماد أو النبات أو الحيوان أو الملائكة أو الإنسان وقد خُلقوا خاضعين متذلّلين منقادين تحت حكم الله وسلطة أمره بفطرتهم وطبيعتهم الّتي فطرهم عليها، وهم سالكون على مقتضى تكوينهم موافقون في ما قُدِّر لهم مسالمون في إجراء وظائفهم المقدّرة لا يخالفون ما أمر الله لهم في حركة ولا في سكون ولا عمل، ولا يعصون.

وأمّا الإراديّ: فهو ما يتحقّق في المرتبة الثانية وفي مقابل تكاليف تشريعيّة ووظائف إلهيّة ثانويّة، كما في: بَلىٰ مَن أسلَمَ وَجْهه لِلهِ وهوَ مُحسِنٌ فَلَه أجرُه عندَ ربّه ـ ٢ / ١١٢.

يراد تحقّق السِّلميّة الإراديّة والوفاق الباطنيّ في صورة العمل بالطاعات ووظائف العبوديّة.

وَلا تَشْيَ الحَرثَ مُسَلَّمةٌ ـ ٢ / ٧١.

أي مُربّاة على السلميّة والتسلّم.

وأمّا السُّلَّم بمعنى المرقاة: هو وسيلة يتوسل بها إلى الوصول بحاجة ومقصود، وهو سِلم في قبال من يتوسّل إليه، وهذه الصيغة كالقُمّل والذمّل والقُبّر، وليست بمعنى المِرقاة، بل هي من مصاديقه.

فإن استَطَعتَ أن تَبتَغيَ نَفَقاً في الأَرض أو سُلَّماً في السَّماء ـ ٦ / ٣٥.

أم لَهُم سُلَّم يَسْتَمِعون فيه ـ ٥٢ / ٣٨.

أي تبتغون وسيلة تتوسّلون إليها في محيط السماء وتستفيدون منها في ذلك المحيط، وأم لهم وسيلة موجودة ليقدروا فيها على الاستماع.

ولا يخفى أنّ هذه الكلمة مضافاً إلى تناسب هذا الاشتقاق: معرّبة ومأخوذة عن اللغة العبريّة بتغيير مختصر كما ترى:

قع ـ (سولّام) سُلّم، مرقاة، سلّم موسيقيّ، تدرّج.

فظهر أنّ تفسير المادّة في الآيات المذكورة بالصحّة والعافية والانقياد والصلح والخلاص والنجاة والتمكين وغيرها: في غير محلّه.

وباعتبار هذا الأصل أيضاً يطلق السَّليم على اللديغ الجَريح: فإنّه بابتلائه دفعة بألم شديد وجراحة مؤلمة، يكون في سِلم قهراً وفي حال اضطرار.

* * *

سليمان :

المروج ١ / ٣٤ ـ ولمّا قبض الله داود (ع) قام بعده ولده سليمان بالنبوّة والحكم، وغمر عدله رعيّته، واستقامت له الأُمور، وانقادَتْ له الجيوش، وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدّس وهو المسجد الأقصى، فلمّا استتمّ بناءه بنى لنفسه بيتاً، وهو الموضع الّذي يسمّى في وقتنا هذا كنيسة القمامة، وهي الكنيسة العُظمى ببيت المقدّس عند النصارى، ولهم كنائس غيرها معظمة، منها كنيسة صهيون، وقد ذكرها داود (ع)، والكنيسة المعروفة بالجسمانيّة ويزعمون أنّ قبر داود فيها. وأعطى الله تعالى لسليمان من الملك ما لم يعطه لأحد من خلقه، وسخّر له الجنّ والإنس والطير والريح، وكان ملك سليمان (ع) على بني إسرائيل أربعين سنة، وقُبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وبعده ملك مالك بن رحبعم بن سليمان.

أخبار الأيّام الأوّل ٢٨ / ٥ ـ لأنّ الربَّ أعطاني بَنينَ كثيرين إنّما اختار سليمان ابني ليجلسَ على مَملكة الربّ على إسرائيل، وقال لي إنّ سليمان ابنك هو يَبني بيتي ودياري لأنّه اخترته لي إبناً وأنا أكون له أباً وأُثبت مملكته إلى الأبد إذا تشدّد للعمل حسب وصاياي وأحكامي كهذا اليَوْمِ ... وأنت يا سليمان ابني اعرف إله أبيك واعبُده بقلب كامل.

تاريخ ابن الورديّ ١ / ٢٤ ـ سليمان وعمره اثنتا عشرة سنة، وآتاه الله من الحكمة والملك ما أخبر به في كتابه العزيز. وفي السنة الرابعة من ملكه في أيار وهي سنة تسع وثلاثين وخمسمأة لوفاة موسى ابتدأ سليمان بعمارة بيت المقدس، وأقام في عمارته له سبع سنين وكان ارتفاع البيت ثلاثين ذراعاً، ثمّ شرع في بناء دار ملكه بالقدس وفرغ في ثلاث عشرة سنة، وفي الخامس والعشرين من ملكه جاءته بلقيس

ملكة اليمن ومن معها، وأطاعه ملوك الأرض وحملوا إليه النفائس، فوفاته في أواخر سنة ٥٧٥ لوفاة موسى (ع).

الملوك الأوّل ٤ / ٢١ ـ وكان سليمان متسلّطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر، كانوا يُقدِّمون الهَدايا ويَخدمون سليمانَ كلّ أيّام حياته، ولكلّ من تقدّم إلى مائدة الملكِ سليمان كلّ واحدٍ في شهره لم يكونوا يَحتاجون إلى شيء، وكانوا يأتون بشَعير وتِبن للخَيْل والجِياد إلى الموضع الّذي يكون فيه كلّ واحد حَسَبَ قضائه، وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جدّاً ورَحْبة قلب كالرمل الّذي على شاطئ البحر، وفاقَتْ حكمة سليمان حكمة جميع بَني المشرق وكلّ حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس، وتكلّم بثلاثة آلاف مَثَل وكانت نَشائده ألفاً وخمساً، وتكلّم عن الأشجار من الأرز الّذي في لُبنانَ إلى الزوفا النابت في الحائط، وتكلّم عن البهائم وعن الطّير وعن الدبيب وعن السمك، وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الّذين سمعوا بحكمته.

قاموس الكتاب المقدّس ـ سليمان: أي المملوّ من السَّلامة، وهو خليفة داود، وواحد من أبنائه الأربعة، من بتشبع.

قع ـ (شالوم) سلام، أمن، سكون، سلامة، صحّة.

* * *

والتحقيق:

أنّ هذه الكلمة مأخوذة من اللغة العبريّة، كالسُّلّم، إلّا أنّ السُّلّم في المعجم العبريّ بالسين المهملة، وسليمان مأخوذ من شالوم بمعنى الصحّة وهو بالشين المعجمة، ثمّ إنّ مؤلّفي المعاجم العربيّة قد ضبطوا الكلمتين تحت عنوان السَّلم اشتباهاً.

وفي صموئيل الثاني والملوك الأوّل وغيرهما من كتب العهد القديم: كلّما يذكر إسم سليمان بالعبريّة، ضبط بهذا الضبط ـ = شِلمُهُ، وتبديل المعجمة بالمهملة في التعريب كثير، فيقال في = سمع.

وظهر أنّ سليمان بن داود عليهما السّلام كان من الأنبياء العظام آتاه الله الحكمة والملك والعلم من لدنه، مبعوثاً بعد رحلة أبيه سنة ٩٦٢ قبل الميلاد تقريباً، ومضى لوفاة موسى (ع) قريب من ٥٧٥ سنة.

وأوحَيْنا إلى إبراهيمَ ... وهارونَ وسُليمانَ وآتَينا داودَ زَبوراً ـ ٤ / ١٦٣.

ونوحاً هدَيْنا مِن قبلُ ومِن ذُرّيَّتِهِ داودَ وسُليمانَ وأيّوبَ ويوسفَ وموسى ـ ٦ / ٨٤.

ففهَّمناها سُليمانَ وكُلّاً آتَينا حُكماً وعِلماً ـ ٢١ / ٧٩.

وَلَقَد آتَينا داودَ وسُليمانَ عِلماً وقالا الحمدُ لِلهِ الَّذي فَضَّلنا عَلى كَثيرٍ مِن عِبادِهِ المُؤمِنين ووَرِثَ سُليمانُ داودَ وقالَ يا أيُّها النّاسُ عُلِّمنا مَنطقَ الطَّيْرِ وأُوتينا مِن كُلِّ شَيءٍ إنَّ هذا لَهُوَ الفَضلُ المُبين ـ ٢٧ / ١٥.

قالَ سُليمانُ أتُمِدُّونَني بِمال فَما آتانيَ اللهُ خَيرٌ مِمّا آتاكُم ـ ٢٧ / ٣٦.

وَوَهَبْنا لِداودَ سُليمانَ نِعمَ العَبدُ إنَّهُ أوّابٌ ... وإنّ لَهُ عِندنا لَزُلفىٰ وحُسنَ مَآبٍ ـ ٣٨ / ٣٠.

هذه آيات من القرآن الكريم توصف وتعرِّف نبيّاً من أنبياء بني إسرائيل وهو سليمان، بالزُّلفى، وحُسن المآب، وبالأوبة، والعبوديّة التامّة، وبالعطاء، والفضل الكبير من كلّ شيء، وبتعليم منطق الطير، والوراثة من داود، والتفضيل على كثير من العباد المؤمنين، وبتفهيم العلم والحكمة والنبوّة.

وأمّا كتب بني إسرائيل: وهم يقولون بكونها إلهاميّة سماويّة، ففيها ما ينسبه إلى الانحراف والتمايل إلى الشهوات شديداً بل وإلى الإنكار والكفر وعبادة آلهة أُخرى.

الملوك الأوّل ١١ ـ وأحبَّ الملكُ سليمان نساءً غريبة كثيرةً مع بنت فرعون، مُوآبِيّاتٍ وعَمّونيّاتٍ وأدُومِيّاتٍ وصِيدونيّات وحِثّيّاتٍ، من الأُمم الّذين قال عنهم الربّ لبني إسرائيل: لا تدخُلونَ إليهم وهم لا يَدخُلون إليكم لأنّهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتَصق سليمانُ بهؤلاء بالمحبّة، وكانت له سبعمأةٍ من النساء السيِّدات وثلاثمأةٍ من السَّراري، فأمالَتْ نساؤه قلبَه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أمَلْنَ قلبَه وراء آلهةٍ أُخرى، ولم يكن قلبُه كاملاً مع الربّ كقلبِ داود أبيه، وعمل سليمان الشرّ في عَيْني الربّ، فغضب الربّ على سليمان لأنّ قلبه مال عن الربّ إله إسرائيل.

نحمياء ـ ١٣ / ٢٦ ـ أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمانُ ملك إسرائيل ولم يكن في الأُمم الكثيرة ملك مثله وكان محبوباً إلى إلهه، هو أيضاً ـ جعلَتْه النساء الأجنبيّات يُخطئ.

والعجب من فضلاء بني إسرائيل والمسيحيّين كيف حكموا بكون كتاب الملوك إلهاميّاً، مع مجهوليّة مؤلّفه، وأنّه قد أُلّف بعد قرون من حياة سليمان (ع)، وموضوع الكتاب شرح حياة السلاطين، وقد عَدّ سليمان من السلاطين وبحث عمّا انتشر من حالاته ووصل إليه من جريان أموره.

نعم ابتدأ في الكتاب بذكر شيخوخة داود (ع) والشروع باستخلاف سليمان، وهو في حدود سنة ٩٦٥ قبل الميلاد، وانتهى الجزء الأوّل في ٢٢ فصلاً إلى انتهاء ملك يَهورام بن يَهوشافاط، وكان ذلك في حدود سنة ٨٤٢ قبل الميلاد، ثمّ يبتدئ في الجزء الثاني بالبحث والنقل عن بقيّة الجريان إلى أن ينتهي إلى أواخر حياة يَهوياكين بن

يَهوياقيم في حدود سنة ٤٨٠ قبل الميلاد، فلا بدّ من أن يكون تأليف الجزءين بعد خمسة قرون من حياة سليمان.

والمؤرِّخ يروي كلّ ما يسمع أو يُقال أو يُنقل ويُروى، وهو لا يتوجّه إلى المعنويّات والحقائق ولا إلى أسرار أمور الأنبياء وأعمالهم.

وإنَّ لَهُ عِندَنا لزُلفىٰ وحُسنَ مآب.

وأمّا الكتب المنسوبة إلى سليمان (ع): ففصول من المَزامير، وأمثال سليمان، والجامعة، ونَشيد الأنشاد.

فالمزامير: ينسب إليه مزمور ٧٢ و ١٢٧ ـ من المزامير.

وأمّا الأمثال: فهو ٣١ باباً، وينسب باب ٣٠ إلى أجور بن مُنَقِّيه، وباب ٣١ إلى لَموئيل، والباقي إلى سليمان النبيّ (ع).

وهذا الكتاب أحسن كتاب في الحكم والمواعظ الشافية، من بين الكتب للعهدين، وينبغي لكلّ مؤمن سالك أن يستفيد منه.

وأمّا الجامعة: هذه الكلمة مستعملة في معناها اللّغويّ، فإنّها مترجمة من العبريّة، وهي = قُهِلت، بمعنى الطائفة والاجتماع.

ولعلّ سليمان (ع) تكلّم في هذا الكتاب بلسان القوم، أو أنّها لقب له.

وهذا الكتاب في إثني عشر باباً يحتوي على الحكم والمواعظ.

ويقول في ٧ / ٢٦ ـ فوجدتُ أمَرَّ من الموت المرأةَ الّتي هي شِباكٌ وقلبها أشراك ويداها قيودٌ، الصالحُ قُدّام الله يَنجو منها، أمّا الخاطئ فيؤخذ بها.

هذا الكلام يخالف ما سبق من ابتلائه بالنساء.

وأمّا نَشيد الأنشـاد: ويعبّر عنه بالفارسـيّة بقولهم ـ غزل غـزلهاى سـليمان وبالعبريّة بقولهم ـ مفرداً بمعنى الغناء واللحن والشعر.

وهذا الكتاب في ثمانية أبواب، يحتوي على غزليّات نثريّة، ويستفاد من بعض التعبيرات والجملات: إنّها كالغزليّات من العرفاء في الروحانيّات وعوالم الوجد والمحبّة الروحانيّة الإلهيّة.

وظاهر بعض الجملات منه: إنّه قد أُنشد بعد زمان سليمان (ع) حيث يقول في ١ / ٥ ـ كخيام قِيدار كشُقَقِ سليمان. وفي ٣ / ٧ ـ هو ذا تختُ سليمانَ حولَه سـتّونَ جبّاراً من جَبابرة إسرائيل، الملِكُ سليمان عَمل لِنفسِـه تختاً مِن خشب لُـبـنان. وفي ١١ / ٨ ـ كان لسُليمان كَرْمٌ في بَعْل هامون دفَعَ الكَرْم إلى نَواطير كُلّ واحد يؤدّي عن ثمره ألفاً مِن الفِضّة.

مضافاً إلى أنّ إنشاد الشعر والغزل لا يناسب مقام نبيّ مرسل من الله تـعالى ليهدي الناس بقوله وفعله وحركاته.

وِلِسُلَيمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجري بأمره ـ ٢١ / ٨١.

وِلِسُلَيمانَ الرِّيحَ غُدوّها شَهرٌ ورَواحُها شَهر ـ ٣٤ / ١٢.

هذا النفوذ وقدرة الإرادة والتأثير والحكم بالنسـبة إلى جريان الريح بأمـره، وكيفيّة جريانها كان من معجزاته الخارقة للطبيعة آتاه الله تعالى حجّة على الناس. وحقيقة هذا الأمر إنّما هي قوّة ونفوذ وتأثير في إرادة شخص يؤتيها الله من يشـاء، وكم له من نظير.

وهكذا إلقاء العلم والمعرفة بمنطق الطير، أو إعطاء النفوذ والتأثير والتسخير لشخص بالنسبة إلى حيوان أو جنّ أو إنس، ومرجع هذه الأُمور إلى إرادة الله تعالى.

إذا أرادَ شَيئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكون.

وإرادته تعالى إمّا باستقلال ومباشرة أو بإجازة وإنفاذ.

وقال يا أَيُّها النّاسُ عُلِّمنا مَنطقَ الطَّير ـ ٢٧ / ١٦.

وحُشِرَ لِسُلَيمانَ جنودُه مِن الجِنّ والإنس والطَّير ـ ٢٧ / ١٧.

والتنفيذ وقدرة الإرادة بالإجازة مشهودة في ما بين أهل الرياضة.

وأمّا البحث عن جزئيّات هذه الأُمور الخوارق: فخارج عن الميزان. وقد وردت في التواريخ والروايات الضعيفة والإسرائيليّات: أمور ضعيفة وقضايا لا يصدِّقها العقل السليم، وينبغي الإعراض عنها، ولا سيّما ما يتعلّق بساحة قدس الأنبياء والأولياء وفي جريان أمورهم.

واتّبَعوا ما تَتلو الشّياطينُ عَلى مُلك سُليمانَ وما كَفَر سُليمانُ ولكنَّ الشّياطينَ كفَروا ـ ٢ / ١٠٢.

أي واتّبع هؤلاء المعرضون عن كتاب الله، ما جعله الشياطين مقتَدىً في حياتهم، وذلك على حكومة سليمان. فليس لسليمان عصيان وكفران وخلاف، وإنّما الكفر من الشياطين.

وَلَقَد فَتَنّا سُليمانَ وألقَينا عَلى كُرسِيّه جَسَداً ثُمَّ أناب ـ ٣٨ / ٣٤.

الجَسَد: جسم إذا لوحظ مجرّداً عن الروح، وإلقاء الجسد على كرسيّه في مقابل سلطانه ونفوذ أمره وتسخير الجنّ والإنس: أمر فوق حكومته وإعلام بكون نفوذه محكوماً في مقابل حكم الله تعالى وأمره، لئلّا يتوجّه إلى الحكومة الظاهريّة المحدودة المؤقّتة.

وأمّا خصوصيّة هذا الجسد: فلا فائدة في البحث عنها بعد اختلاف الأقوال فيه

وفقدان سند مستند في المورد.

وأمّا موضوعات اُخر مربوطة بالمقام: فليراجع إلى مواردها.

❊ ❊ ❊

سلو :

مقا ـ سلوى: أصل واحد يدلّ على خفض وطيب عيش، من ذلك قولهم فلان في سَلْوة من العيش، أي في رغد يُسلِّيه الهمّ. ويقول: سَلا المحبّ يَسلو سُلُوّاً: إذا فارقه ما كان به من همّ وعشق. وسلَيْتُ بمعنى سلَوْت.

مصبا ـ سَلوتُ عنه سُلُوّاً من باب قعد: صبرت. والسَّلوة: إسم منه. وسَلِيت أسلىٰ من باب تعِب سَلياً: لغة. قال أبو زيد السَّلْو طيب النفس للألف عن إلْفِه. والسَّلىٰ: الّذي فيه الولد. والسَّلْوى فَعْلىٰ: طائر نحو الحمامة، ويقع على الواحد والجمع.

مفر ـ سلا: السَّلوى أصلها ما يُسلِّي الإنسان، ومنه السُّلوان والتسلِّي. وقيل السَّلوى: طائر كالسُّماني. وقال ابن عبّاس: المنّ الّذي يسقط من السماء والسَّلوى طائر. قال بعضهم: أشار ابن عبّاس بذلك إلى ما رزق الله تعالى عباده من اللّحوم والنبات، وأورد بذلك مثالاً. وأصل السَّلوى من التسلِّي، يقال سليت عن كذا وسلوت عنه وتسلّيت: إذا زال عنك محبّته.

التهذيب ١٣ / ٦٨ ـ الأصمعيّ: سلوت فأنا أسْلُو سُلُوّاً، وسَليتُ عنه أسلى سُليّاً بمعنى سلوت: إذا نسي ذكره وذهب عنه. وقال ابن شميل: سليت فلاناً: أي أبغضته وتركته. وعن ابن الأعرابيّ: قال السُّلوانة: خرزة للبُغض بعد المحبّة، والسَّلوى: طائر، وهو في غير القرآن العسل، وجاء في التفسير إنّه طائر كالسُّمانَى.

الكشّاف ١ / ٥٧ ـ وظَلَّلْنا عَلَيكُم الغَمامَ وأنزلنا عَلَيكُم المَنَّ والسَّلوىٰ ـ ٢ / ٥٧، أي جعلنا الغَمام يُظلّكم وذلك في التيه سخّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يُظلّهم من الشمس، والمَنّ هو الترنجبين ينزل عليهم مثل الثّلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكلّ إنسان صاع، والسَّلوى هي السَّماني.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو حالة الانصراف عمّا كان فيه وترك ما كان يحبّه، مع حدوث السكون في النفس.

وبهذا اللحاظ تطلق المادّة على نسيان الذكر، والذهاب عن الذكر، وترك شيء وبغضه بعد المحبّة، والصبر والتسلّي للخاطر، وطيب النفس.

ولكنّ القيود المذكورة لابدّ أن تلاحظ في كلّ من هذه الموارد، ولا يصحّ الإطلاق فيها بدونها إلّا مجازاً.

وأمّا العَسَل ولُفافة الولد من الدوابّ: فكأنّ العسل من جهة حلاوته وطعمه الجاذب يصرف عن الحالة السابقة ويوجد تحوّلاً، كما أنّ اللُّفافة تصرف الولد وتمنعه عن التعدّي عن محدودته.

وكذلك الطائر إذا أُطعم به في حالة الجوع والحاجة، فيكون مصداقاً.

ولكنّ المنظور من السَّلوى في القرآن الكريم: مطلق ما يوجد تحوّلاً من اضطراب وتشوّش وتعلّق، إلى حالة استقرار وسكون وطيب نفس، أعمّ من أن يكون في المادّيّات أو في المعنويّات.

وظَلَّلنا عَلَيْهِم الغَمامَ وأنزَلنا عَلَيْهِم المَنّ والسَّلوى ـ ٧ / ١٦٠.

المَنّ مصدر بمعنى إظهار النعمة وإيجاد الخير، ويطلق على النعمة والخير الظاهر أيضاً مبالغة. والسَّلوى إسم وهو ما يُسلِّيك بتطييب النفس وتسكينه.

فالمَنّ يشمل كلّ نعمة تُعطى ويُنعم بها من الفواكه والنباتات واللحوم وغيرها، والسَّلوى إشارة إلى جهات معنويّة والرَّوْح الّتي بها ينصرف النفس إلى حالة سكون وطمأنينة وطيب بعد اضطراب وتزلزل.

فما يقال في التفاسير من النعم المادّية: فمربوط إلى مفهوم المنّ. وأمّا السلوى: فظهوره في المعنويّات، ويشمل النعم المادّيّة أيضاً إذا أوجبت انصرافاً عمّا سبق وأوجدت طمأنينة وطيباً.

فظهر أنّ تفسير المنّ أو السلوى بنعمة خاصّة معيّنة كالعسل والترنجبين والطائر وأمثالها: في غير محلّه وخارج عن الحقيقة، إلّا أن يكون من باب تعيين المصداق.

* * *

سمد:

مقا ـ سمد: أصل يدلّ على مضيّ قُدُماً من غير تعريج، يقال سَمَدت الإبل في سيرها: إذا جَدّت ومضت على رؤوسها. ومن الباب السمود الّذي هو اللهو، والسامد هو اللّاهي وهو قياس الباب، لأنّ اللّاهي يمضي في أمره غير متعرّج ولا متمكّث، فأمّا ـ سمَّد رأسَه إذا استأصَل شعرَه: فذلك من باب الإبدال وأصله الباء.

مصبا ـ السَّماد وزان سلام: ما يُصلَح به الزرع من تراب وسرجين، وسمّدت الأرضَ تسميداً: أصلحتها بالسَّماد.

التهذيب ١٢ / ٣٧٧ ـ سمد: عن ابن عبّاس: وأنتُم سامِدون ـ مستكبرون. ويقال للفحل إذا اغتلم: قد سمد. وقال الليث: سامِدون لاهون، والسُمود في الناس:

الغفلة والسهو عن الشيء. قال أبو عبيد: قوله ـ سامِدون: يعني القُيّام، وكلّ رافـع رأسه فهو سامد. وقال المبرّد: السامد: القائم في تحيّر. وقال اللـيث: السَّماد: تـراب يسمَّد به النـبات، وسمَّـد شَعره إذا أخذه كلّه. وعن ابن الأعرابيّ: السامِد: اللّاهي، الغافل، الساهي، المتكبّر، القائم. أبو زيد: السامِد: المتحيّر بطراً وأشراً، والمغنِّي.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التمرّد والتكبّر مع الغفلة. وبهذه المناسبة تستعمل في مفاهيم ـ التحيّر والتلهّي والسهو والغفلة والتكبّر والتغنّي والبطر.

واستعمالها في اغتلام الفحل، ورفع الرأس قائمـاً، وفيما يُصْلَح وينمو النبات به بلحاظ هذا الأصل المذكور.

فالقيدان لا بدّ أن يلاحظا في كلّ مورد من موارد الاستعمال.

أفمِن هذا الحديثِ تعجبونَ وتَضحَكونَ ولا تَبكُونَ وأنتُم سامِدونَ ـ ٥٣ / ٦١.

أي وأنتم متكبّرون متجبّرون مع الغفـلة عن حديث الآزفـة، والتوجّـه إلى الآزفة يقتضي الحزن والبكاء والتأثّر لا الضحك والاستهزاء، إلّا أنّ التمـرّد والغـفلة يوجب ذلك، ويصرف عن التوجّه الدقيق والتفكّر.

* * *

سمر:

مقا ـ سمر: أصل واحد يدلّ على خلاف البياض في اللون، من ذلك السُّمرة في الألوان، وأصله قولهم ـ لا آتيك السَّمَر والقَمَر ـ فالقَمَر: القَمَر. والسَّمَر: سواد اللّيل، ومن ذلك سمِّيت السُّمرة. فأمّا السامِر: فالقوم يَسمُرون. والسامر: المكان الّذي يجتمعون

فيه للسَّمَر. والسَّمْراء: الحِنطة للونها. والأسمر: الرّمح. والأسمر: الماء.

صحا ـ السَّمْر: المسامَرة وهو الحديث باللّيل، وقد سَمَر يَسمُر فهو سامِرٌ والسَّامِرُ أيضاً: السُّمّار وهم القوم الّذين يسمُرون. وتسمير اللّبن: ترقيقه بالماء. والسمرة: لون الأسمر، تقول سَمُر وسَمِر واسمارَّ اسميراراً. والأسْمَران الماء والبرّ، ويقال الماء والرِّيح. والمِسْمار واحد المسامير.

مفر ـ السُّمرة: أحد الألوان المركّبة بين البياض والسّواد. والسَّمْراء: كنّي بها عن الحنطة. والسَّمار: اللّبن الرقيق المتغيِّر اللّون. والسَّمُرَة: شجرة تُشبه أن تكون للونها سمِّيت بذلك. والسمر: سواد اللّيل. وسَمَر فلان إذا تحدّث ليلاً. مُستكبرينَ به سامِراً تهجُرون ـ قيل: سُمّاراً، فوضع الواحد موضع الجمع. وقيل: بل اللّيل المظلم.

التهذيب ١٢ / ٤١٨ ـ قال أبو إسحاق في ـ مستكبرين به سامراً ـ بمعنى سُمّاراً، والسامِر الجماعة يتحدّثون ليلاً. والسَّمَر: ظلّ القمر. والسُّمرة مأخوذة من هذا. وعن أبي حاتم في ـ مستكبرين سامراً ـ أي في السَمر، وهو حديث اللّيل، يقال: قوم سامر وسَمْر وسُمّار وسُمّر. وسامِر الإبل: ما رَعى منها باللّيل، يقال إنّ إبلنا تسمُر أي ترعى لَيلاً. وقال الليث: السامِرُ الموضع الّذي يجتمعون فيه للسَّمَر. وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهي جمع عن العرب، فمنها الجامِل والسامِر والباقِر والحاضر. وقال الليث: السَّمْر: شدّك شيئاً بالمسمار. والسُّمرة: لون يَضرب إلى سواد خفيّ. وقَناة سَمْراء وحِنطة سَمْراء. قال الأصمعيّ: السَّمْر عندهم الظلمة، والأصل اجتماعهم يسمرون في الظلمة، ثمّ كثر الاستعمال حتّى سمّوا الظلمة سَمَراً.

قع ـ (سامَر) تصلّبَ، جمدَ، تحجّرَ، ثبّت بمسمار.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الظلمة الخفيفة. وبهذا الاعتبار يقال: إنّ السمر يدلّ على خلاف البياض، والسَّمَر سواد الليل، وسَمُرَ وسَمِرَ واسمارَّ إذا اسودّ واظلمّ، والسُّمرة لون بين البياض والسواد، والسامِر اللّيل المظلم، والسَّمَر ظلّ القمر والظلمة.

وأمّا إطلاق المادّة على الحنطة والرّمح والمسمار واللّبن والمخلوط بالماء والريح وشجرة العضاه: فباعتبار النظر إلى لون الظلمة الخفيفة والسواد العارض في كلّ منها، فالقيد ملحوظ ولازم تحقّقه.

وأمّا المسامَرة بمعنى المحادثة ليلاً: فيقال سَمَرَ يَسْمُر وسامَرَ يُسامِر إذا جعل شيئاً مظلماً أو في ظلمة وسواد. فكأنّ الحديث يُجعَل في ظلمة الليل.

حَتّى إذا أخَذنا مُترَفيهم ... قَد كانَت آياتي تُتلىٰ عَلَيكُم فكُنتُم عَلى أعقابكُم تَنكِصونَ مُستكبِرينَ به سامِراً تَهجُرون ـ ٢٣ / ٦٧.

أي استكباراً بسبب نكوصهم في السَّمَر، وهذا كما في قوله تعالى: فأمّا عادُ فاستكبروا في الأرْض بغَيرِ الحقّ. أي يجعلون الإعراض والنكوص وسيلة في استكبارهم في السّامِر، توهّماً منهم أنّ الإعراض عن الحقّ والإدبار عن آيات الله موجب لرفعة شأنهم وعلوّ منزلتهم ومقامهم.

فالسامِر هو المُظلم الخفيف وهو على الأصحّ مفعول فيه من الاستكبار، أي يستكبرون بنكوصهم في أيّ مكان سافِر، وهذا إشارة إلى أنّ استكبارهم ليس بحقّ، ولا يعلنونه إلّا في خفاء وظلمة.

فظهر أنّ الضمير يرجع إلى النكوص، وأنّ السّامر مفعول فيه كما في قولهم

جلست قُربَ زيد أو قريب زيد. ولا نحتاج إلى تفسير السّامر بالسُّمّار جمعاً ليكون حالاً، أو إرجاع الضمير إلى ما لم يذكر لفظاً.

وأمّا السّامريّ: فظاهر الكلمة كونها منسوبة إلى السّامر أو السّامرة، فإنّ النسبة إلى المذكّر والمؤنّث واحدة. والسامر قد عرفت معناه، والسّامرة إمّا أنّها كانت إسم معمورة في فلسطين قبل بناء بلدة سامرة أو في محلّ آخر، أو أنّها كانت إسم طائفة وقوم في ذلك الزمان، أو أنّها معرّبة من كلمة أخرى عبرانيّة أو لغة أخرى، ولا سند لنا يوجد في هذا المورد.

وعلى أيّ حال: فهو رجل من أصحاب موسى (ع) الّذين انتظروا قدوم موسى (ع)، وصنع ما صنع، ودعا بني إسرائيل إلى عبادة العجل.

واتّخَذَ قَومُ موسى مِن بَعدِه مِن حُلّيهم عِجلاً جَسَداً لَهُ خُوار ـ ٧ / ١٤٨.

قالَ فإنّا قَد فَتَنّا قومكَ مِن بَعدك وأضَلَّهُم السّامِريّ.

فرجعَ موسى إلى قَومه غَضْبانَ ... ولكنّا حُمِّلنا أوزاراً مِن زِينة القَوم فَقَذَفناها فكذلك ألقى السّامِريّ فأخرَج لَهُم عِجلاً جَسَداً لَهُ خُوار فَقالوا هذا إلٰهكُم ... قالَ فَما خطبُك يا سامِريّ قال بَصُرتُ بِما لَم يَبْصُروا بِهِ فقبَضْتُ قَبْضَةَ ـ ٢٠ / ٨٦ و ٩٧.

والظاهر أنّ هذا الرجل كان له سابقة في علوم الشعبذة والسحر، كما هو المتعارف في عصر موسى (ع)، ولا يبعد كونه من أفراد السحرة المؤمنين بموسى (ع)، وهو بمقتضى علمه وعقيدته السابقتين، أظهر هذا العمل ـ وأضلَّهم السّامِريّ.

ويناسب هذا المعنى أن نقول: إنّ السامِريّ مأخوذ من مادّة سامَر:

قع ـ ـ تصلَّب، جمد، تحجّر، وقف، ثبّت بمسمار.

فإنّ السّامريّ قد تصلّب وجمد في عقيدته السابقة، ولم يكن له إدراك وسيع

وذوق ودقّة وفهم ونور روحانيّ.

والعجب كلّ العجب من سِفر الخروج من التوراة، الأصحاح ٣٢، حيث يقول: اجتمع الشَّعْبُ على هارونَ وقالوا لَه قم اصنَعْ لنا آلهة تَسير أمامَنا... فقال لهم هارونُ انزِعوا أقراطَ الذَّهَب الّتي في آذانِ نِسائكم وبَنيكم وبَناتكم وأتوني بها، فنزع كلّ الشَّعْب أقراط الذَّهَب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارونَ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإرميل وصنعه عِجلاً مسبوكاً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل الّتي أصعَدَتْك من أرض مصر... فقال الربُّ لموسى اذهَبْ انزِل لأنّه قد فَسَد شَعْبُك... صنعوا لهم عِجلاً مَسْبوكاً وسَجدوا له وذَبحوا له.

فنَسب إلى هارون بأنّه قد صنع عِجلاً ودعا بني إسرائيل إلى عبادته، وهذا أعظم من الشرك بمراتب، فكيف يكون نبيّاً من الله لهداية الناس.

وقال الله تعالى في القرآن الكريم:

وَوَهَبْنا لَهُ مِن رَحمتنا أخاه هارون نبيّاً.

وَلَقَد آتينا موسى وهارون الفرقانَ وضياءً وذكراً للمتّقين.

ثُمَّ بَعَثنا مِن بَعدهم موسى وهارونَ إلى فرعون ومَلَئِه.

وأخي هارون هو أفصحُ منّي لِساناً فأرسِله مَعي رِدءاً.

فسِفر الخروج يصرّح بأنّ هارونَ دعا بني إسرائيل إلى ما يخالف دعوة أخيه موسى (ع)، فكيف يكون هذا الصنع نصرة وتأييداً ورِدءاً.

ولا يخفى أنّ سِفر الخروج كتاب تاريخيّ يبحث عن جريان أمور بني إسرائيل من وفاة يوسف النبيّ إلى منتهى وصولهم إلى خيمة الاجتماع، في امتداد زمان في حدود ١٥٠ سنة.

كما أنّ سفر التكوين قبله يبحث عن ابتداء التكوين إلى منتهى فوت يوسف النّبيّ.

وسفر اللاويّين يبحث عن ابتداء خيمة الاجتماع إلى منتهى وصايا الربّ إلى بني إسرائيل في جبل سيناء، وهو السفر الثالث من الأسفار.

وسِفر العدد يبحث عن بقيّة الجريان إلى وصايا الربّ إلى بني إسرائيل عـلى أُردن أريحا.

وسفر التثنية هو الخامس من الأسفار الخمسة ويبحث عن بقيّة الجريان إلى آخر وفاة موسى (ع).

وفي آخر التثنية يقول: ولم يقم بَعدُ نبيٌّ في إسرائيل مثلُ موسى.

فيظهر أنّ هذه الأسفار قد أُلّفت بعد امتداد زمان من وفاة موسى (ع) مربوطاً كلّ واحد منه بآخر، وأين هذا من توراة موسى (ع).

فهذه رسائل تاريخيّة لا يتوقّع منها أزيد من أن تحتوي على جريانات أمـور وحوادث وقضايا على حسب اطّلاع مؤلِّفيها.

* * *

سمع:

مقا ـ سمع: أصل واحد وهو إيناس الشيء بالأُذُن من الناس وكلّ ذي أُذن. تقول سمعت الشيء سمعاً. والسَّمْع: الذكر الجميل، يقال قد ذهب سَمعُه في الناس أي صيته، ويقال سَماعِ: بمعنى استمع، ويقال سمعتُ بالشيء إذا أشعتَه ليتكلّم به، والمُسمِعة المغنّية، والمِسمع كالأُذن للغَرْب وهي عُروة تكون في وسط الغرب يجعل فيها حَبل ليعدل الدلو.

مصبا ــ سمعته وسمعتُ له سمعاً وتسمّعت واستمعت: كلّها يتعدّى بنفسه وبالحرف: بمعنى، واستمع لما كان يقصد لأنّه لا يكون إلّا بالإصغاء، وسمع يكون بقصد وبدونه، والسماع إسم منه، فأنَا سميع وسامع، وأسمعت زيداً: أبلغته، فهو سميع أيضاً. قال الصنعانيُّ: وقد سمّوا سِمعان والعامّة تفتح السين، ومنه دير سِمعان. وطرقَ الكلامُ السَّمْعَ والمِسمعَ، والجمع أسماع ومَسامع. وسمعت كلامه أي فهمت معنى لفظه، فإن لم نفهمه لبعد أو لغط فهو سماع صوت لا سماع كلام، وسمع الله قولك: علمه. وسمع الله لمن حمده: قبل حمد الحامد. وقال ابن الأنباريّ: أجاب الله حمد من حمده، ومن الأوّل قولهم ــ سمع القاضي البيّنة أي قبلها. وسمّعت بالشيء أذعته ليقوله الناس.

الاشتقاق ٣٥٥ ــ إن كسرت الميم فالأُذن مِسمع. ويقال أنت منِّي بمَرأى ومَسمع، أي حيث أراك وأسمعُ كلامَك. ويكون مُسمَع مأخوذاً من أسمعتُ الدلوَ، والسّامِعان والمِسمعان: الأُذنان. والسِّمْعُ ضرب من السباع بين الذئب والضَّبُع. والسّفمعة: الذِكر حسناً أو قبيحاً. وسَمَّع فلان بفلان إذا ذكره بقبيح لا غير. والرِّياء والسُّمعة: بأن يُسمِّع بأكثر ممّا عنده. وتقول العرب: فعلت ذاك تَسْمِعَتَك، أي لتسمعَه. ودَير سِمعان: موضع بالشام مات فيه عمر بن عبدالعزيز.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو إدراك الأصوات سواء كان بواسطة عضو الأُذن الجسمانيّ أو بوسيلة قوّة روحانيّة ونور باطنيّ، أو بسبب إحاطة وجوديّة وقيّوميّة مطلقة.

فالأوّل كما في: فلمّا سمعَتْ بمكرهنّ، سَمِعنا وأطَعْنا، فَمَنْ بَدَّله بعدَ ما سَمِعَه، وَلا يَسمعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ، يَسْمعونَ كَلامَ الله.

والثاني كما في: إنّا سَمِعنا قُرآناً عَجَباً، نَفَراً مِن الجنّ يَسْتَمعونَ القُرآن، وأنا اختَرْتُك فاستَمع لِما يُوحىٰ، لا يَسَّمَّعونَ إلى المَلأ الأعلى.

والثالث كما في: قَد سَمِعَ اللهُ قَولَ الَّتي تجادلك، إنَّ الله كانَ سَميعاً.

وكشف المرام في هذا الموضوع يتوقّف على تبيين أمور:

١ ـ سَماع الكلام في الإنسان: إنّما يتحقّق بوصول الاهتزازات الهوائيّة والتموّجات الحاصلة إلى صِماخ الأُذن، ثمّ تنتقل تلك الاهتزازات الصوتيّة بواسطة الأعصاب في الأُذن، إلى مخّ الجمجمة.

٢ ـ المُدرِك بالأصوات وكذلك بسائر المُدرَكات: هو النفس، وإذا فرض السَّماعُ المادّي: فلابدّ من سلامة وصحّة ونظم في الأُذن، لكي يتحقّق السمع بواسطته، وتستوي القوّة السامعة فيه، ويكون الإدراك به تامّاً.

٣ ـ المُدرِك بالمدرَكات والمحسوسات في الموجودات البرزخيّة كالجنّ والشياطين وكذلك الإنس في عالم برزخه: هو الوسائط والأعضاء البرزخيّة اللطيفة، ويُشبّه هذا العالم عالم الجنّة والنّار وأهلها، فإنّ الآخرة جسمانيّة لا جسدانيّة. ومع هذا فإنّ المُدرِك الحقيقيّ الأصليّ هو الروح.

٤ ـ المُدرِك في عالم العقول: هو نفس الروح المجرّد السميع في ذاته من دون آلة وواسطة، وهذا العالم مَظهر الصفات والأسماء الإلهيّة، لا فرق بينها وبينه إلّا أنّها مخلوقة ومحدودة ذاتاً، والله هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن والحقّ القيّوم لا إله إلّا هو العزيز الرحمن الرحيم.

٥ ـ إنّ الله عزّ وجلّ هو المنزّه عن الحدود المادّية والجسمانيّة والذاتيّة وهو الأزليّ الأبديّ الحيّ المريد المحيط المدرك.

فهو تعالى أكبر وأعلى من عالم المادّة الّتي هي محدودة بأبعاد الزمان وأبعاد المكان وأبعاد الذاتيّات وحدودها. وأعلى وأكبر من الأبعاد الّتي في عالم البرزخ من الحدود العرضيّة والطوليّة في عالمه ومن الحدود الذاتيّة فيه. وأكبر وأعلى من الحدود الذاتيّة في عالم العقل.

فهو الحيّ المطلق والنور المطلق وهو المريد القيّوم المحيط.

٦ ـ الإنسان يعيش في الدنيا بوسائل ووسائط، يرى بحاسّة الباصرة، ويسمع بحاسّة السامعة، وينطق باللسان، ويبطس باليد، ويتحرّك بالرِّجل، ويذوق بالذائقة، ويشمّ بحاسّة الشامّة، ويتغذّى بجهاز الهاضمة، ويتنفّس بجهاز التنفّس، ويلمس بحاسّة اللّامسة، وهكذا. وهذه هي الحياة الدنيا، ولا يمكن إدامة الحياة والعيش فيها إلّا بوسائط، فلا يتحقّق الإدراك فيها إلّا بواسطة الحواسّ الخمسة، ولا يمكن إدراك الأصوات إلّا بواسطة الأُذن، ليس إلّا.

٧ ـ ولمّا كانت الحياة الدنيا إنّما تجري أمورها ومعايشها بالوسائط فيصعب العيش ويشكل دوام الحياة، ويحتاج تهيّة الوسائط والعمل بالوسائل والاستفادة بالأسباب والقوى إلى تكلّف وتحمّل زحمة، ومع هذا لا يخلو حصول النتيجة وتحقّق المقصود عن إمكان وقوع موانع وفقدان شرائط لازمة. فيكون تحصيل اليقين في الأمور والقضايا وفي الإدراكات والإحساسات في غاية الإشكال.

٨ ـ وكلّما كانت الوسائط قليلة كانت النتائج المأخوذة ولا سيّما في المُدرَكات بالحواسّ الخمسة: متيقّنة مشهودة مسلّمة. فالاشتباه والتردّد في عالم البرزخ أقلّ كثيراً. وفي عالم العقل منتفية بالكليّة، وفي عالم اللّاهوت علم مطلق وشهود تامّ وإحاطة كاملة.

فجميع الأُمور وقاطبة الأشياء وكلّ عمل ونيّة في أيّ عالم مادّياً أو برزخيّاً

مشهودة عنده حاضرة لديه تعالى، في الأزل والأبد، لا يحجبه زمان ولا مكان ولا بُعد ولا حدّ ولا حجاب ولا واسطة، فالأزل والأبد عنده سواء، والشرق والغرب لديه غير متفاوت، وطبقات الخلق محاطة بعلمه وحضوره بنحو واحد وبنسبة فاردة، ولا يتصوّر بُعد عنده.

٩ ـ إنّ الله عزّ وجلّ قد أعطى لكلّ حيوان من أيّ نوع روحاً، وذلك الروح يختلف بحسب اختلاف الأنواع والأشخاص، ففي كلّ نوع يتميّز ويتجلّى بخصوصيّات وصفات خاصّة، ويتفاوت بالشدّة والقوّة والضعف، وفي الإنسان يُعطى روح قويّ له استعداد إدارة الأُمور الدنيويّة والأُخرويّة، وفيه قدرة التكميل والتربية من جهة الحياة المادّيّة والحياة الروحانيّة، وله استطاعة أن يترقّى من عالم المادّة إلى عالم العقل.

فبسبب هذا الاستعداد التكوينيّ الروحي يمتاز عن سائر الحيوانات، وبلحاظ تكميل استعداده بالعمل والرياضة: يمتاز عن الملائكة الّذين خلقوا تكويناً، متناسبةً وفي سنخ عالم البرزخ، فإنّ له جزاء ما عمل وسلك، إلى أن يصل إلى البرزخ أو إلى عالم العقل، مضافاً إلى ما لهم.

١٠ ـ وبهذا يظهر حقيقة الحشر في الإنسان دون الحيوان: فإنّ الحيوان ليس له استعداد التوجّه إلى عالم ما وراء المادّة وتربية الروح وتزكيته وتكميله وتهذيبه والسلوك إلى عالم الآخرة، فلا معنى لحشرهم في عالم الآخرة، لأنّهم قد خلقوا للحياة الدنيا، وهم يُجزَون في امتداد حياتهم بحسب ما عملوا من خير أو شرّ، بجريان طبيعيّ إلهيّ.

١١ ـ فالإنسان العاقل المتنبّه: لا بدّ له بمقتضى فطرته التكوينيّة وبلحاظ استعداده الذاتيّ الروحيّ، أن يهذّب نفسه، ويتوجّه إلى ما له خير وصلاح وكمال، ويسلكَ في صراط خُلِق له، ويعيش بعيش الآخرة، ويحيى بالحياة الروحيّة النورانيّة،

ويجعلَ الدنيا وسيلة إلى الوصول بلذائذ عالم الآخرة، ويجتهد في تحصيل إدراك الحقائق والمعارف الحقّة.

١٢ ـ فظهر أنّ الله تعالى بصير بذاته لا بواسطة، كما أنّه تعالى بذاته سميع وبذاته فعّال ومريد وذو بطش، فلا حاجة له تعالى في السماع إلى الشرائط والوسائل اللّازمة في عالم الجسم.

فهو تعالى في تفرّده وتجرّده: له الصفات العليا والأسماء الحسنى.

وهذه كلّها اعتبارات وملحوظات بالنسبة إلى خلقه وتكوينه وفضله وجوده.

وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصفات عنه.

١٣ ـ والفرق بين السماع والإبصار والعلم: أنّ في السمع يُلاحَظ ظهورُ صوت ولو في القلب أوّلاً ثم يتوجّه إليه ويحصل الإدراك. وفي الإبصار يلاحظ إبتداءً التوجّه إلى المُبصَر وإدراكه من دون نظر إلى تظاهر في المبصَر أو عدمه. وأمّا العلم فهو انكشاف مطلق من دون نظر إلى ظهور المعلوم أو قصد الإدراك من العالِم، فلا خصوصيّة في العلم.

١٤ ـ كثيراً ما يُذكر ـ السَّميع ـ في القرآن الكريم مقروناً بإسم ـ العليم كما في:
وكانَ الله سَميعاً عَليماً، إنَّهُ السَّميعُ العَليم.

فإنّ ذكر العامّ أو المطلق بعد الخاصّ والمقيّد يكون تأكيداً له وتحكيماً للحكم.

وقد يُذكر بإسم ـ البصير: كما في:

فعِندَ الله ثوابُ الدُّنيا والآخِرة وكانَ اللهُ سَميعاً بَصيراً ـ ٤ / ١٣٤.

لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وهوَ السَّميعُ البَصير ـ ٤٢ / ١١.

والَّذينَ يَدْعونَ مِن دونه لا يقضون بشَيء إنَّ الله هوَ السَّميع البَصير ـ ٤٠ / ٢٠.

اللهُ يَصْطَفِي مِن الملائكَة رُسُلاً ومِنَ النّاسِ إنَّ اللهَ سَميعٌ بَصيرٌ ـ ٢٢ / ٧٥.

ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ وإنَّ اللهَ سَميعٌ بَصير ـ ٢٢ / ٦١.

وذلك في موارد خاصّة مربوطة بفعل الله تعالى وتقديره وحكمه، وهذا إشارة إلى أنّ ما يصدر ويظهر منه يلاحظ فيه الجهتان: جهة ظهور وطلب من الطرف، وجهة توجّه ونظر إليه من جانب الله تعالى، ومرجعهما إلى تحكيم وتقدير في التوجّه إلى جهة الطلب والاستقضاء، وتحكيم في جهة القضاء وإتمام الحكم وإكماله بمقتضى المورد، وهذا كما في: لا تَخافا انَّني مَعَكُما أسمَعُ وأرى.

وأمّا ـ ولَهُم آذان لا يَسْمَعونَ بها ـ ٧ / ١٧٩.

قالوا سَمِعنا وهُم لا يَسْمَعون ـ ٨ / ٢١.

قلنا إنّ السماع هو الإدراك، وإذا لم يدرك فهو غير سامع.

* * *

سمك:

مقا ـ سمك: أصل واحد يدلّ على العلوّ، يقال سمك إذا ارتفع، والمَسموكات: السّماوات، ويقال سَمَك في الدرج. واسمُكْ أي اعلُ. وسَنام سامِك، أي عال. والمِسماك: ما سمكتَ به البيت. وممّا شذّ عن الباب وبايَن الأصل: السَّمَك.

الاشتقاق ٤٤٤ ـ والسِّماك: نجم من منازل القمر، وهما سِماكانِ سِماك الرامح، وسِماك الأعزل. وكلّ شيء ارتفع فهو سامك. وسَمْكُ البيت: مَسافة أعلاه إلى أسفله.

صحا ـ سمكَ اللهُ السّماء سَمْكاً: رفعها. وسمك الشيءُ: ارتفع، سُموكاً، وسَنام سامك تامك أي عال. ويقال اُسمُكْ في الرَّيْم أي اصعَدْ في الدرجة، وسَمْكُ البيت:

سـقفه. والمِسماك: عود يكون في الخَباء يُسمَكُ به البيـت، والسَّمَك من خلق المـاء، الواحدة سَمَكة.

الجمهرة ٣ / ٤٦ ـ والسَّمْك: سَمْكُ البيت وغيره، وهو ما بين أعلاه إلى أسفله ما بلغ. ورجل مَسْموك: طويل. وكلّ شيء صعدت فيه فقد سمكت فيه. والنـجوم السَّوامك: المرتفعة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو مسافة الارتفاع، ومقدار المسافة يختلف باختلاف الموضوعات والموارد، فلعُود الخَباء مسـافة بمقداره وهو مِسماك لارتـفاع الخَباء، وللدرجة مقدار معيّن، وهكذا مقدار الارتفاع للبيت أو السَّنام أو لكلِّ نجم أو نجوم.

أأنتُم أشدُّ خَلقاً أمِ السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها ـ ٧٩ / ٢٨.

وهو مسافة ارتفاع السماء من الأرض إلى امتداد أعلى طبقة من السماء.

وبهذا ظهر لطف التعبير بالمادّة دون الرفع وغيره، فإنّ السَّمْك يشمل مجموع طبقات السّماوات من حيث مجموعها، وما بين تلك السّماوات.

وأمّا إطلاق المادّة على السَّمَك فلعلّ هذا الإطلاق كان في مورد يكون ارتفاعه أزيد، كما في بعض أنواع السُّموك.

وأمّا تسوية السّماوات: يراد تنظيم حركتها وتقدير أفلاكها:

لا الشَّمسُ يَنبغي لَها أن تُدرك القَمَـر ولا اللَّيْلُ سـابق النَّهار وكُـلٌّ في فـلكٍ يَسبحون ـ ٣٦ / ٤٠.

* * *

سمّ:

مقا ـ سمّ: الأصل المطّرد فيه يدلّ على مَدخل في الشيء، كالثقب وغيره، ثمّ يشتقّ منه. فمن ذلك السَّمّ والسُّمّ: الثَقب في الشيء ـ حتّى يلج الجمل في سَمّ الخياط. والسَّمّ: القاتل، يقال فتحاً وضَمّاً. وسمّي بذلك لأنّه يرسب في الجسم ويُداخله خلاف غيره ممّا يُذاق. والسامّة: الخاصّة، وإنّما سمّيت بذلك لأنّها تداخل بأُنس لا يكـون لغيرها. والسَّموم: الريح الحارّة، لأنّها أيضاً تداخِلُ الأجسام مُداخَلة بقوّة. والسمّ: الإصلاح بين الناس، وذلك أنّهم يتباينون ولا يتداخلون، فإذا أصلح بينهم تَداخَلوا.

مصبا ـ السمّ: ما يقتل بالفتح في الأكثر، وجمعه سُموم وسِمام، والضمّ لغة لأهل العالية، والكسر لبني تميم. وسممت الطعام سَمّاً من باب قتل: جعلت فيه السمّ. والسَّمّ: ثَقب الإبرة، وفيه اللغات الثلاث، وجمعه سِمام. والمَسمّ: يكون مصدراً للفعل، ويكون موضع النفوذ، والجمع مَسامّ. ومَسامّ البدن: ثقبه الّتي يَبرز عَرقُه وبخارُ باطنه منها، قال الأزهريّ: سمّيت مَسامّ لأنّ فيها خروقاً خفيّة. والسامّة من الخَشاش ما يَسمّ ولا يبلغ أن يقتل سمّه كالعقرب والزنبور، فهي إسم فاعل، والجمع سوامّ. والسَّموم: الريح الحارّة بالنهار.

مفر ـ السَّمّ والسُّمّ: كلّ ثَقْب ضيّق، كَخَرْق الإبرة وثقب الأنف والأُذن. وقد سَمَّه أي دخل فيه. ومنه السامّة للخاصّة الّذين يقال لهم الدُّخلُل الّذين يتداخلون في بواطن الأمر. والسَّمّ: القاتل، وهو مصدر في معنى الفاعل، فإنّه بلطف تأثيره يدخل بواطن البدن.

لسا ـ السَّمّ والسِّمّ والسُّمّ: القاتل، وجمعها سِمام. وشيء مَسْموم فيه سمّ. وسمّه: سقاه السمّ. وسمّ الطعامَ: جعل فيه السمّ. والسامّة الموت، والمعروف السام

بتخفيف الميم بلا هاء. والسَّمّ: الثَّقْب. وسَمّ كلّ شيء وسُمّه: خَرْقه وثَقْبه، والجمع سُموم، ومنه سَمّ الخِياط. وسَمَّ بين القوم يَسُمّ سَمّاً: أصلح. وسَمَّه سَمّاً: شدّه. والسَّموم: الرِّيح الحارّة، تؤنّث، وقيل هي الباردة ليلاً كان أو نَهاراً، تكون إسماً وصفة، والجمع سَمائم.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو النفوذ الشديد بحيث ينتهي إلى خرق وثقب. وبلحاظ هذه القيود تطلق على ثقب حاصل من الإبرة، والاختلال المتحصّل من المادّة المخصوصة في البدن، وعلى الريح الحارّة النافذة المؤثّرة المخلّة في البلاد العربيّة، والريح الباردة الشديدة في غيرها، وعلى ذوي القربى النافذين في أمور شخصيّة، وعلى إصلاح أمور أو تشديدها إذا انتهت إلى نفوذ أساسيّ وتأثير.

فالسَّمّ يستعمل بمعناه المصدريّ وهو النفوذ الشديد والخرق، وعلى المعنى الإسميّ وهو ما يتحصّل من ذلك النفوذ وهو الثقب والمنفذ.

وَلا يَدْخُلونَ الجَنّة حَتّى يَلجَ الجَمَلُ في سَمّ الخِياط - ٧ / ٤٠.

قلنا في الجمل إنّه كلّ شيء بلغ إلى حدّ كماله وتمامه ونضجه ونظمه، والمراد هنا الحبل الضّخم المحكم تشدّ به السفينة وأمثالها، ومعلوم أنّه غير ممكن وروده في مَنفذ في ما ثقبه الإبرة أو المِثقب للخياطة.

ولا يخفى التناسب في التشبيه: حيث إنّ الكفّار بلحاظ توغّلهم في الظلمة والمادّيّة وسيّئات الأعمال والأخلاق، مبعَدون عن اللطافة والروحانيّة والنورانيّة والصّفا، فلا تناسب بينهم وبين الجنّة الّتي هي دار النور واللطف والرحمة والروحانيّة. وهذا كدخول حبل ضخم على منفذ دقيق.

ولَقَد خَلَقنا الإنسانَ مِن صَلصال مِن حَمَأٍ مَسْنون والجانَّ خَلَقناه مِن قبلُ مِن نارِ السَّموم ـ ١٥ / ٢٨.

وقد مرّ في الجنّ أنّه بمعنى الستر، والجانّ فاعل منه، وهو الواحد من النوع، وهو المخلوق من مادّة النار في مقابل الإنسان المخلوق من الطين. والسَّموم فَعول وهو ما يكون في شدّة النفوذ، ومن مصاديقه الريح الحارة الشديدة النافذة في منافذ البدن، ولمّا كانت الحرارة المتحصّلة من الريح في غاية اللطافة والنفوذ: فتكون المادة المأخوذ منها الجنّ لطيفة نافذة بالنسبة إلى الطين.

وتدلّ الآية الكريمة على أنّ خلق الجنّ كان قبل خلق الإنس.

وأصحابُ الشِّمال ما أصحابُ الشِّمال في سَموم وحَميم ـ ٥٦ / ٤٣.

السَّموم جريان حارّ نافذ متوجّه من الخارج، والحَميم حرارة شديدة موجودة في المحلّ.

ولعلّ السَّموم هو تجسّم الأعمال الخبيثة والسيِّئات المضلّة والأهواء المظلمة، كما أنّ الحميم هو تجسّم النيّات الفاسدة والأخلاق الرذيلة القلبيّة.

وأقبلَ بعضُهُم عَلى بَعْض يَتَساءَلونَ قالوا إنّا كُنّا في أهلنا مُشفِقينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنا ووَقانا عَذابَ السَّموم ـ ٥٢ / ٢٦.

هذا نتيجة الخوف والتقوى من الأعمال الفاسدة والمعاصي والذنوب ـ إنَّما تُجزَون ما كُنتُم تَعملونَ ـ ٥٢ / ١٦.

فظهر التناسب فيما بين المادّة والأعمال الظالمة والتعدّيات المنحرفة والمعاصي الخارجة عن الاعتدال، وثبت حسن التعبير ولطفه بها.

* * *

سمن :

مصبا ـ السمن: ما يعمل من لبن البقر والغنم، والجمع سُمنان مثل ظَهر وظُهران. وسَمِنَ يَسْمَن من باب تَعِب، وفي لغة: من باب قرُب: إذا كثر لحمه وشحمُه. ويتعدّى بالهمزة وبالتضعيف، والسِّمَن وزان عِنَب: إسم منه، فهو سَمين، وجمعه سِمان، وامرأة سَمينة، وجمعها سِمان أيضاً. والسُّمَينة: فرقة تعبد الأصنام.

مقا ـ سمن: أصل يدلّ على خلاف الضُّمر والهُزال. من ذلك السِّمَن، يقال هو سَمين. والسَّمْن من هذا. وممّا شذّ عن هذا الأصل كلام يقال: إنّ أهل اليمن يقولونه دون العرب، يقولون سمّنت الشيءَ: إذا برّدته، والتسمين: التبريد.

لسا ـ السِّمَن: نقيض الهُزال. والسَّمين: خلاف المهزول، سَمِن يَسْمَن سِمَناً وسَمانة. وشيء سامِنٌ وسَمين، والجمع سِمان. قال اللحياني: إذا كان السِّمَن خِلقةً: قيل هذا رجل مُسمِن وقد أسمَنَ. وسَمَّنه: جعله سَميناً. وفي المثل ـ سَمِّنْ كلبَك يأكلْك. واستَسْمَن الشيءَ: طلبه سميناً أو وجده كذلك. والسُّمنَة: دواء يُتّخذ للسِّمَن. في حديث عن النبيّ (ص): يقول لرجل سَمين ويؤمي بإصبعه إلى بطنه: لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك. والسَّمْن: سِلاء اللّبن، سِلاء الزُّبد، للبَقر، وقد يكون للمِعزى، والجمع أسمُن وسُمون وسُمنان. وسَمَن الطعام يَسمُنه سَمْناً، فهو مَسْمون: عمله بالسَّمْن ولَتّه به. وسَمَن الخُبز وسمّنه وأسمنه: لتّه بالسَّمن. ورجل سامِنٌ: ذو سَمْن، كما يقال رجل تامِرٌ لابِن.

التهذيب ١٣ / ٢١ ـ ابن السِّكّيت، سَمَنتُ له: إذا أدمتَ له بالسَّمْن. وقد سمَّنتُه: إذا زوّدته السَّمْن. وجاءوا يَسْتسمِنون: أي يطلبون أن يوهَب لهم السَّمْن. وقال

الليث: السِّمْن: نقيض الهُزال. والفعل سَمُن يَسْمُن سِمْناً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الهُزال والضعف، ويختصّ بأنواع الحيوان والإنسان، فيقال سَمُن يَسمُن فهو سَمين إذا كان سِمَنُه طبيعياً، وسَمِن يَسْمَنُ سِمَناً من باب تعب فهو سَمِنٌ، إذا كان عرضيّاً ولاحقاً، وهكذا أسمَنَ يُسمِنُ فهو مُسمِنٌ. هذا بحسب الصيغة ودلالة الهيئة.

ثمّ إنّ السِّمَن في الحيوان يلازم الشحم، بل إنّ السِّمَن لا يتحقّق إلّا بتزايد الشَّحْم في داخل البدن وأطراف الأعضاء الداخليّة: وبهذا اللحاظ يطلق السمانة على الشَّحْم إذا كان النظر إليه في ضمن السِّمَن أو مجازاً، كما أنّ الشَّحْم أيضاً يطلق على السِّمَن، فيقال إنّه شحيم أي سَمين.

لَيْسَ لَهُم طَعامٌ إلّا مِن ضَريع لا يُسمِنُ وَلا يُغني مِن جُوع - ٨٨ / ٨.

أي لا يزيد في قوّتهم واقتدارهم ولا يُقوّيهم، بل لا يرفع جوعهم وضعفهم.

فرغَ إلى أهله فجاءَ بعِجْلٍ سَمينٍ - ٥١ / ٢٦.

العِجل: ولد البقر قبل تمام سنة، جاء به للإطعام - راجع - الروغ والعجل.

يوسفُ أيُّها الصِّدّيق أفتِنا في سَبْع بَقَرات سِمانٍ يأكلهنّ سَبعٌ عِجاف - ١٢ / ٤٦.

سِمان: جمع سَمينة أو سَمِنة، والعِجاف جمع عَجِفة أو عَجْفاء أو أعجف، والعجف بمعنى الضعف والهُزال.

فذكر السِّمان في مقابل العِجاف: يدلّ على أصالة المعنى المذكور.

ولا يبعد أن نقول إنّ دلالة المادّة على الشَّحْم بالتضمّن لا بالالتزام.

* * *

سمو:

مصبا ـ سَما يَسْمو سُموّاً: علا. ومنه يقال: سَمَتْ همّته إلى معالي الأُمور: إذا طلب العزّ والشرف. والسماء المظلّة للأرض، قال ابن الأنباري: تذكّر وتؤنّث، وقال الفرّاء: التذكير قليل وهو على معنى السقف، وكأنّه جمع سَماوة مثل سَحاب وسَحابة، وجُمعت على سماوات. والسماء: المطر، مؤنّثة لأنّها في معنى السحابة، وجمعها سُمُيّ على فُعول. والسّماء: السقف، مذكّر، وكلّ عال مظلّ سماء، حتّى يقال لظهر الفرس سماء، ومنه ـ يُنزِّل من السماء. والنسبة إلى السماء سمائيّ، بالهمزة على لفظها، وسماويّ اعتباراً بالأصل، وهذا حكم الهمزة إذا كانت بدلاً أو أصلاً أو كانت للإلحاق. والإسم: همزته وصل وأصله سِمو مثل حِمل أو قُفل، وهو من السُّموّ وهو العُلوّ، والدليل عليه أنّه يُردّ إلى أصله في التصغير وجمع التكسير، فيقال سُمَيّ وأسماء، وعلى هذا فالناقص منه اللّام، ووزنه إفع، والهمزة عوضٌ عنها، وهو القياس لأنّهم لو عوّضوا موضع المحذوف لكان المحذوف أولى بالإثبات. ذهب بعض الكوفيّين إلى أنّ أصله وسم وهو العلامة، فحذفت الواو وعوّض عنها الهمزة، وعلى هذا فوزنه اعل، قالوا وهذا ضعيف، لأنّه لو كان كذلك لقيل في التصغير وسيم، وفي الجمع أوسام، ولأنّك تقول أسميته، ولو كان من السمة لقلت وسمته. وسمّيته زيداً وسمّيته بزيد جعلته إسماً له علماً عليه، وتسمّى هو بذلك.

مقا ـ سمو: أصل يدلّ على العلوّ، يقال سموتُ إذا علوت، وسما بصره: علا. وسما لي شخص: ارتفع حتّى استثبتّه. وسما الفحل: سَطا على شَوله سَماوةً. وسَماوة

الهلال وكلّ شيء: شخصُه، والجمع سَماو. والعرب تُسمّي السحابَ سماءً، والمطر سماءً. والسماءة: الشخص. والسَّماء: سقف البيت. وكلّ عال مُطِلّ سماء، حتّى يقال لظهر الفرس سماء ويتّسعون حتّى يسمّوا النبات سماءً. ويقولون ما زِلنا نَطأ السماء حتّى أتيناكم ـ يريدون الكلأ والمطر. ويقال إنّ أصل ـ إسم ـ سمو، وهو من العلوّ، لأنّه تنويه ودلالة على المعنى.

مفر ـ سماء كلّ شيء أعلاه. قال بعضهم: كلّ سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض إلّا السماء العليا فإنّها سماء بلا أرض، وسمّي المطر سماء لخروجه منها، قال بعضهم: إنّما سمّي سماءً ما لم يقع بالأرض. وسمِّي النبات سماءً إمّا لكونه من المطر الّذي هو سماء وإمّا لارتفاعه عن الأرض. والسماء المقابل للأرض مؤنّث، وقد يذكّر، ويستعمل للواحد والجمع ـ ثُمَّ ٱستَوى إلى السَّماء فسوّاهنّ ، السماءُ منفطِر به . ووجه ذلك أنّها كالنخل في الشجر وما يجري مَجراه من أسماء الجنس الّذي يذكّر ويؤنّث ويخبر عنه بلفظ الواحد والجمع. والسَّماوة: الشخص العالي، والإسم ما يعرف به ذات الشيء، وأصله سِموٌ، وهو الّذي به رفع ذكر المسمّى فيعرّف به. ومعرفة الأسماء لا تحصل إلّا بمعرفة المسمّى وحصول صورته في الضمير. وقوله هل تعلم له سَمِيّاً ـ أي نظيراً له يستحقّ إسمه وموصوفاً يستحقّ صفته على التحقيق، وليس المعنى هل تجد من يتسمّى بإسمه.

قع ـ (شِميا) آراميّة = سماء.

(شِما) آراميّة = إسم.

(شِميت) = أسماء.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما كان مرتفعاً فوق شيء آخر محيطاً به. وهذه اللغة كما ترى مأخوذة من الأراميّة والسريانيّة والعبريّة، وتعرّبت بهيئة السَّماء والإسم.

فالهمزة في الإسم للوصل، زيدت على المادّة المأخوذ منها، بعد حذف اليـاء منها ـ شِما، فأصل كلمة الإسم هو شِما، لا الوسم ولا السِّموّ.

ثمّ اشتقّت منها مشتقّات ـ كالتسمية والتسمّي وغيرهما.

فهذه المادّة غير مادّة السَماء المأخوذة من شِمَيا.

ولا يمكن أن نقول بأنّ مرجع اللّغتـين إلى مفهوم واحـد، وهو ما ذكرنا مـن الارتفاع والإحاطة فوق شيء، فإنّ الإسم كذلك يحيط بمسمّاه ويستقرّ المسمّى تحت عنوان الإسم ويُدعى به.

وأمّا الفرق بين هذه المادّة وموادّ الارتفاع والعلوّ والصعود والرقيّ والفوق:

أنّ الرفعة زوال عن موضع بعد التسفّل إلى ما فوقه، وهو ضدّ الخفض.

والعلوّ: ملحوظ في نفسه من دون نظر إلى التسفّل والزوال عن موضع ويغلب عليه القهر والاقتدار.

والصعود: ارتفاع من مكان إلى مكان، ويختصّ بالمكان.

والرقيّ: يفيد صعوداً درجة بعد درجة بالتدريج مادّياً أو معنويّاً.

والفوق: يقابل التحت وهو من ظروف المكان، وهو ليس من الشيء، بخلاف العلو والأعلى.

فظهر أنّ مفهوم السقف والسماء والسحاب والمطر حال نزوله وظهرَ الفرس بالنسبة إلى ما تحته مِن الأرض وسَماوةَ الفحل والشخصيّة كلّها من مصاديق الأصل الّذي ذكرناه.

ثمّ إنّ السماء إمّا محسوس ماديّ كما في: وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، ثُمَّ آستَوىٰ إلى السَّماء فَسَوّاهنّ، يُرسِلُ السَّماءَ عَلَيكُم مِدْراراً، أو تُسْقِطُ السَّماءَ كَما زَعمتَ عَليْنا كِسَفاً، وجَعَلنا السَّماءَ سَقْفاً مَحفوظاً، فتُثير سَحاباً فيَبْسُطُه في السَّماء، إنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بزينة الكَواكِب، سَبْعَ سَماواتٍ في يَوْمَين، ثُمَّ استَوىٰ إلى السَّماء وهيَ دُخان.

فأطلق السماء في هذه الآيات الكريمة على الدخان وهو مبدأ السّمٰوات ومادّتها الأوّليّة، وعلى السّمٰوات السّبع، وعلى السّمٰوات الّتي فيها زينة الكواكب، وعلى السماء الّتي تُرى كالسقف، وعلى السحاب النازل منه الماء، وعلى الفضاء الّتي فيها السحاب ـ مُسَخَّراتٍ في جَوِّ السَّماء.

وإمّا معنويّ كما في: قَد نَرى تَقلّبَ وجهِك في السَّماء، يُدَبّرُ الأمرَ مِنَ السَّماء إلى الأَرض، وأنّا لَمَسنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَديداً.

فإنّ الله تعالى ليس يقوم في هذه السّماوات المادّية، بل هو في عالم اللّاهوت العُليا، يدبِّر العوالم المادّية والروحانيّة، ويشاهد السرائر والضمائر، وأنّ لمس الجنّ وهو من البرزخ وجوداً ليس لهذه السماء المادِّيّة.

هذا إذا يلاحظ بالنسبة إلينا وإلى الأرض المسكونة لنا، وأمّا إذا كان النظر إلى كرات ونجوم أُخر: فكلّ منها أرض بالنسبة إلى ما فوقها وسماء بالنسبة إلى ما تحتها. كما أنّ النظر إذا كان إلى الأرض والسماء معاً: فيعبّر عمّا دونهما بقوله تعالى: فيما بينهما، كما في: والسَّحابِ المسخَّرِ بَينَ السَّماءِ والأَرض، ربّ السَّمٰواتِ والأَرضِ وَما بَينَهما،

وَما خَلَقنا السَّمٰواتِ والأَرْضَ وَما بَينَهُما.

وقد يعبّر بقوله تعالى ـ فيهما، كما في: يُسَبِّحُ لِلّهِ ما في السَّمٰواتِ وما في الأَرْض، لَهُ ما في السَّمٰواتِ وَما في الأَرْض، إنَّ اللّهَ يَعلمُ ما في السَّمٰواتِ وَما في الأَرْض، ولِلّهِ يَسجُد ما في السَّمٰوات وَما في الأَرْض.

فيراد مجموع الأفراد وكلّ فرد فرد موجود في طبقات السّمٰوات والأرض، وهذا يشتمل كلّ ذي وجود من السّمٰوات والأرض وما فيهما، فإنّ كلّ طبقة منها يراد منها مجموع ما يوجد في تلك الطبقة، حالّاً ومحلّاً، من ذوي عقل أو غيرهم.

وإذا كان النظر إلى مجموعها من حيث المجموع لا من حيث الأفراد، فيعبّر هكذا: ولِلّهِ مُلكُ السَّمٰوات والأَرْض، إنَّ في خَلق السَّمٰوات والأَرْض، ما دامَت السَّمٰواتُ والأَرْض، ربّ السَّمٰواتِ والأَرْض.

وإذا كان النظر إلى ذوي العقول فيهما: فيعبّر هكذا ـ ولَهُ أسلَم مَن في السَّمٰوات والأَرْض، لا يَعلم مَن في السَّمٰوات والأَرْض الغَيْبَ.

وإذا كان النظر إلى مطلق السماء في مقابل الأرض، فيعبّر بصيغة الإفراد الجنسي: شَيء في الأَرض وَلا في السَّماء، فَوَرَبّ السَّماء والأَرض، أنزَلَ مِنَ السَّماء ماءً، فَما بَكَتْ عَلَيهم السَّماء والأَرض.

وقد يذكر فيهما العدد، كما في: فَسَوّاهنّ سَبعَ سَمٰوات، قُل مَن رَبُّ السَّمٰوات السَّبْع ورَبُّ العَرش، إنَّ اللّهَ خَلَقَ سَبعَ سَمٰواتٍ ومِنَ الأَرض مثلَهنّ، كَيفَ خَلَقَ اللّه سَبعَ سَمٰواتٍ طِباقاً.

سبق في ـ أرض وسبع، أنّ المراد من هذا العدد: إمّا سبع منظومات مرتبطة مادّيّة، أو معنوية، أو بعضها مادّيّة وبعضها معنويّة روحانيّة.

ونضيف هنا: بأنّ هذا العدد في السماء والأرض، يمكن أن يكـون إشـارة إلى العـوالم السبعة بهذا الترتيب ـ الجماد، النبات، الحيوان، الإنسان، عالم المـوجودات البرزخيّة، السّماوات المحسوسة المادّية، عالم الملكوت، عالم العقل والجبروت.

فعالم الجماد أرض فقط، كما أنّ عالم الجبروت سماء وليس بأرض، فيكون كلّ منهما سبعاً.

وتوضيح ذلك: أنّ الأرض كما سبق عبارة عمّا سفل في قبال السماء، والسماء هو ما يرتفع فوق شيء محيطاً، مادّياً أو معنويّاً، فالجمادات الأصيلة من التراب والحَجر والجبل والماء والبرّ والبحر كلّها متسفّلة وأرض.

وفوقها النباتات وهي تعلو وترتفع وتحيط على الأرض ـ ما زلنا نَطأ السَّماءَ ـ أي الكلأ.

وفوقها الحـيوانات المسلّطة المحيطة المرتفعة عليها ظاهرة وباطنة، ومنها ظَهر الفرس.

وفوقها الإنسان من حيث هو وبلحاظ استعداده الذاتيّ وبالقوّة، وهو مسلّط ومتفوّق ومحيط على الحيوان ظاهراً ومعنىً، بهمّته وتدبيره وشخصيّته وشرفه.

وفوقها الموجودات البرزخيّة من الجنّ المطلق المسلّط المقتدر اللطيف النـافذ وجوداً وقوّة ـ أنا خيرٌ منه خلقتَني مِن نارٍ وخَلقتَهُ مِن طين.

وفوقها السّماوات المرتفعـة المحيطة المادِّيّة بمـوادِّها المختلفة وأهـاليها المـتنوّعة وبملايين من الكواكب والثوابت والسيّارات وبمنظومات لم يتناه إليها علم البشر ـ أأنتُم أشَدُّ خَلْقاً أمِ السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمكَها وسَوّاها ـ ٧٩ / ٢٨.

وفوقها عالم الملائكة والملكوت القويّة والموجودات اللطيفة الروحانيّة النافذة

المسلّطة المقتدرة الحاكمة المطيعة لأمر الله والوسائط لإجراء أحكامه وقضائه (ومنهم الثابتةُ في الأرَضين السُّفلى أقدامُهم والمارِقةُ من السماء العُليا أعناقُهم والخارجةُ مِـنَ الأقطار أركانُهم). وهذا حقيقة التسلّط والاقتدار والإحاطة والاعتلاء والتفوّق.

وفوقها عالم العقول المجرّدة والجبروت الخارجة عن تلك الحدود الكليّة الّتي لا فرق بينها وبين اللّاهوت إلّا أنّهم عباده، وهم محدودون ذاتاً.

فهذه هي طبقات السّماوات السبع، بعضها فوق بعض طباقاً، وكلّ واحدة منها بالنسبة إلى ما فوقها أرض متسفّلة واقعة تحتها، إلى أن تنتهي إلى البرّ والبحر والجبل والماء والتراب ـ وآيَة لَهُم الأَرضُ الميتةُ أحييناها.

فظهر أنّ السّماوات والأرض: تعبير واضح عمّا سوى الخالق الباري عزّ شأنه وجلّ جلاله، وهذا أحسن تعبير يشمل قاطبة الموجودات السفليّة والعلويّة، ويشمل جميع الممكنات المخلوقة بمراتبها المختلفة، ويجمع الطبقات كلّها.

وتدلّ على هذا المنظور بفضله الآيات الكريمة: يَعْلَم ما في السَّماواتِ والأَرْض، خَلَقَ السَّـماوات والأَرْض بالحـقِّ، ولِلهِ ما في السَّـماواتِ والأَرْض، سَـبَّحَ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأَرْض، لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأَرْض، ولِلهِ جُـنودُ السَّماواتِ والأَرْض، ولَهُ الكِبرياءُ في السَّماواتِ والأَرْض، اللّٰهمَّ فاطِر السَّماوات والأَرْض، وَما يَخفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ في الأَرْضِ وَلا في السَّماء.

فإنّ هذه الآيات في مقام الإشارة إلى قاطبة الموجودات.

وقد سبق في ـ أرض، سَبْع: ما يرتبط بهذا المقام فراجعها.

وأمّا ما قلـنا في ـ أرض: من عدم صحّـة إطـلاق الأرض على الحـيوان أو الإنسان بلحاظ كونهما مستقلّين غير منظور فيهما مفهوم النسبة إلى العلوّ: لا يضرّ هذا

النظر، فإنّ هذه النسبة غير مأخوذة في مفهومها، بل هي أمرٌ قهريّ انتزاعيّ من الترتيب المذكور.

يُدَبِّرُ الأمر مِنَ السَّماء إلى الأَرض ـ ٣٢ / ٥.

إنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِنَ السَّماء آيَة ـ ٢٦ / ٤.

يراد مطلق السّماء، والمصداق الأتمّ الأكمل منها هو مقام اللّاهوت والمرتبة العُليا الإلهيّة. وهذا لا ينافي ما ذكرنا من تطبيق السّماوات السّبع: فإنّ عنوان سبع سماوات إنّما هو في السّماوات المخلوقة الّتي سَوّاهنّ الله تعالى، لا السماءُ المطلقة.

إنّا زيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بِزِينَةٍ الكَواكِب ـ ٣٧ / ٦.

السّماء الدنيا هي السّماوات المحسوسة المادّيّة بجميع منظوماتها. فإنّها بالنسبة إلى الملكوت والجبروت دانية متسفّلة، وأمّا بالنسبة إلى الإنسان والجنّ الموظّفين سماء، كما أوضحناها. وأمّا تزيّنها فمحسوسة معلومة.

فتطبيق السّماء المطلقة على واحدة من مصاديقها: إنّما هو يتعيّن بالقرائن اللفظيّة أو المقاميّة.

وجَنَّةٍ عَرضُها السَّمٰواتُ والأَرضُ أُعِدَّتْ لِلمتَّقين ـ ٣ / ١٣٣.

وجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْض السَّماء والأَرض أُعِدَّتْ لِلَّذينَ آمَنوا ـ ٥٧ / ٢١.

التقوى: هي الوقاية وحفظ النفس عن أيّ رذيلة ومانع وحجاب، وهذا المعنى إنّما يتحقّق بعد تحقّق الإيمان، ومقام التقوى أعلى وأرفع، وعلى هذا قال في حق المتّقين: عَرضها السّماوات والأرض، وفي حقّ المؤمنين: عَرضها كعرضِ السماء والأرض ـ بإفراد السماء وإطلاقه، وبالتشبيه.

وعلى أيّ صورة: فالسماء أعمّ يشمل السماء المادِّيَّ والروحانيّ، والإنسان

بلحاظ روحانيّته له سعة ذاتيّة وإحاطة استعداديّة في أن يدخل جنّة روحانيّة عرضها عرض السّماوات والأرض وسعةُ جميع الممكنات ظاهريّة ومعنويّة وروحانيّة. وامتداد طولها إلى ما لا نهاية له، وإلى ما شاء الله أن يربّيه ويعلّمه في الله عزّ وجلّ شأنه.

هذا إذا خلّص نفسَه وأطلقها عن قيود محيط المادّة وعيش الحياة الدنيا المحدودة الظلمانيّة ـ اللّهمَّ لا عيشَ إلّا عيش الآخرة.

إنَّ الَّذينَ كَذَّبوا بآياتنا واستَكبَروا عَنها لا تُفتّح لَهُم أبوابُ السَّماء ـ ٧ / ٤٠.

فالمكذِّبون المتوغّلون في عيش الدنيا كيف يتمكّنون من إدراك العيش في تلك الجنّة.

ومَن يُرِدْ أنْ يُضِلَّه يَجعَلْ صَدْرَه ضَيِّقاً حَرَجاً كأ نَّما يَصَّعَّدُ في السَّماء.

وأمّا الإسم: قلنا إنّه مأخوذ من كلمة ـ شِما ـ أراميّة وعبريّة، والهمزة زائـدة للوصل وتسهيل التلفّظ، والواو أو الياء محذوفة في التعريب، ولمّا كانت تلك الحرف ملحوظة أُعيدت في التصغير والجمع، وهذه اللغة في المبدأ بمعنى الإسم المعروف عرفاً، وهذه المادّة مستقلّة لا ربط لها بمادّة السماء المذكور الّذي بمعنى الرفعة، وذكرُها في ذيل مادّة السمو توجيهها واشتقاقها منها غفلة عن تحقيق أصل الكلمة.

والظاهر أنّ آخر الكلمة في المعرّبة اعتبرت ياءً، ثمّ اشتقّت منها الصفة والمزيد: سَمِيّ ـ تسمية، تسامي.

ولكنّ استعمال المجرّد منه فعلاً يدلّ على كونه واويّاً، فيقال: سَماه يَسْموه سمْواً، وسَما به، وسَمّاه به وأسماه به، وتسمّى، وتسامى القوم.

ويدلّ على ما ذكرنا: إستعمال السِّم والسَّم والسُّم، بمعنى الإسم.

وينبغي هنا التنبيه على أمور:

١ ـ الإسم: هو ما يُرِي ذاتاً أو صفةً، بمعنى أنّه مَظهر لذات وعنوانٌ له أو لصفة من صفاته. وهذا التعريف يشمل العَلَم واللقب والكنية والصفة كزيد وهو علم يعيّن ويُرى ذاته ووجوده، والصادق يُلَقّب به باعتبار إراءته مفهوم الصدق له فجُعل لقباً مخصوصاً له، وأبو محمّد يكنّى به باعتبار كونه والدَ ابنه محمّد، ويُدعى به تجليلاً، ويُرى زيداً بهذا الاعتبار. والعَلّامَة وغيره من الصفات الّتي تطلق عليه وشاع إطلاقها باتّصافه بها.

وفي كلّ من هذه الأسماء: يشترط أن يكون شائع الاستعمال ومتداوله، حتّى يصحّ ويتحقّق الإطلاق.

٢ ـ إنّ العَلَم والكُنية واللّقب: لا تجري في حقّ الله عزّ وجلّ، فإنّ العَلَم ما يوضع في مقابل ذات ويُعيّنه عند الإطلاق، والله تعالى لا يمكن تصوّر ذاته حتّى يوضع له كلمة تعيّنه. والكنية ما يُصدّر بأب أو أُمّ، وهو تعالى لم يَلد ولم يولَد، فليس له أب أو أمّ أو مولود. واللقب ما يُشعر بمدح أو ذمّ، وهذا في حقّ الله تعالى لم يقع، فلم يوضع لفظ له بهذا القصد.

فينحصر في الصفة: أي إطلاق كلمات عليه تعالى بمناسبة صفات ذاتيّة له تعالى ـ كالرّحمٰن والكريم والعزيز والجبّار.

٣ ـ الأسماء لله تعالى لفظيّة وتكوينيّة: فاللفظيّة كلمات تشعر وتدلّ على صفات جلاليّة أو جماليّة ذاتيّة أو صفات فعليّة كالأسماء الحسنىٰ. والتكوينيّة مَظاهر تكوينيّة عينيّة لصفات الله عزّ وجلّ، وهي موجودات مجرّدة من العقول والنفوس والروحانيّات، وهي مَرايا صفاته تعالى. كما ورد في الروايات الشريفة: نَحنُ الأَسماءُ الحُسنىٰ.

ولا يخفى أنّ الأسماء التكوينيّة أعلى وأظهر من جهة الإراءة والمظهريّة والمرآتيّة من الأسماء اللفظيّة ـ وهذا واضح.

٤ ـ والفرق بين الصفة والإسم: إنّ الصفة هو المعنى الملحوظ المعتبر في الذات سواء كان عينَ الموصوف ذاتاً أو عارضاً له. والإسم هو المَظهر والمِرآة لهذه الصفة سواء كان تكوينيّاً له وجودٌ خارجيّ عينيّ أو لفظيّاً له وجود لفظيّ، فمرتبة الأسماء متأخّرة عن مرتبة الصِّفات، كما أنّ مرتبة الصفات متأخِّرة اعتباراً عن مرتبة الذات الأحديّة البحتة الغيبيّة ـ وكمالُ الإخلاصِ نَفيُ الصِّفات عنه.

٥ ـ قلنا إنّ الإسم بمعناه المتداول المصطلح وهو ما وضع في مقابل ذات ولتعيينه [إسم يُعيِّن المُسمّى مطلقاً]: غيرُ جائز في الله عزّ وجلّ، لأنّ ذاته تعالى غيب بحت وخارج عن التصوّر والتعقّل والإدراك، فلا يمكن وضع لفظ مناسب في قباله ليعيّنه ويكون مرآةً له.

وأقرب كلمة وأجمعها في المقام: هو كلمة ـ هُو ـ المشار به إليه تعالى، لا إِلٰه إلّا هو ـ يراد به الذات الغيبيّ المنظور إجمالاً.

وبعده لفظ الجلال ـ أَللهِ ـ يراد به المعبود المطلق الجامع لجميع الصفات الجماليّة والجلاليّة ـ لا إِلٰه إلّا الله.

وبعده أسماء ـ الحيّ، المريد، العالم، القادر، فإنّها أسماء أصيلة ومظاهر لصفات ذاتيّة كليّة أوّليّة.

٦ ـ يتفرّع من هذه الأسماء الأربعة الأصيلة الكلِّيّة: أسماء حسنى باعتبار خصوصيّات وبلحاظ قيود وموارد مخصوصة:

فيتفرّع من الحَياة: الدائم، الأبديّ، الأزليّ، الحقّ، الباقي، النور، الأوّل، الآخر، الظاهر، الباطن، المقدّم، المؤخّر، الواحد، الوارث، الواسع، الصمد، الغنيّ، ذو الجلال والإكرام.

ويتفرّع من الإرادة: المعزّ، المذلّ، الرافع، الرّحمن، الرحيم، القابض، الغـفّار، القهّار، الوهّاب، المهيمن، الباسط، الملك.

ويتفرّع من القادر: الخالق، البارئ، الرّازق، القابض، المصوِّر، المقتدر، الحليم، العظيم، العدل، الصبور، المؤمن.

ويتفرّع من العالِم: المدرك، السميع، البصير، الهادي، الخبير، الحكيم، اللطيف، الرشيد، المُحصي، الشهيد.

فيطلق كلّ واحد من هذه الأسماء الحُسنى: في مورد خاصّ وبقيود مخصوصة وبحدود معيّنة.

وتوضيح كلّ واحد منها وبيان حقائقها موكول إلى محلّه.

٧ ـ كلّ موجود في العالم من أيّ مرتبة وبأيّ صفة وخصوصيّة وحدّ وقيد: فهو مَظهر واحدٍ أو عدّة من هذه الصفات الحُسنى والأسماء العُليا، ومرجع جميع الموجودات إلى هذه الأسماء الحُسنى.

فكلّ شيء يُرى ويوجد في أيّ عـالم كان: فهو مَظهر صفات وأسماء كـريمة، فالعوالم كلّها مَظاهر ومَرائي للحيّ والمريد والقادر والعالم.

وقلنا إنّ الإسم هو المَظهر والمرآة، فجميع الموجودات أسماء للحقّ تعالى ومَظاهر لصفاته العليا.

وتوضيح ذلك: أنّ الله عزّ وجلّ هو المنزّه المتعالي عن كلّ حدّ وحجاب، حدود مادّيّة، حدود خارجيّة، حدود ذاتيّة. فهو تعالى وجودٌ حقّ ونور مطلق لا حدّ له ولا وصفَ ولا خصوصيّة، وهو فوق التخيّل والتصوّر والتعقّل والتفكّر ـ لا يَبلُغه بُعدُ الهِمَم وَلا يَنالُه غوصُ الفِطَن.

فإذا كان وجوده تعالى متعالياً عن أيّ حدّ: فهو نور مطلق وحياة مطلق وإرادة مطلق وقدرة مطلق وعلم مطلق.

فهذه الصفات إنّما هي منتزعة ومستخرجة ومعتبرة عن تلك الذات البحت والنور المطلق والوجود الحقّ، في المرتبة الثانية وفي مقام الاعتبار. وإلّا فذاته المتعال عين هذه الصفات، ولا تغاير فيه بأيّ وجه.

فهذه الصفات المنتزعة المعنوية: إنّما هي لتعريف الذات وبيان حاقّ النور المطلق الغيبيّ، لا في مقام بيان الحقيقة والتغاير.

٨ ـ فظهر أنّ كلّ ما يتجلّى ويتظهّر في عالم الوجود، في أيّ مرتبة ومقام، من أيّ صفة وخصيصة: إنّما هو أثر وظهور من صفات المبدأ المتعال.

وثبت من العقل بأنّ فاقد شيء لا يكون مُعطياً له.

فما يُرى في العالم من الحكمة والقدرة والعلم والإرادة والحياة والنور والرحمة والقهر والغفران والقبض والبسط والحلم والعدل والعزّة والسمع والإبصار والإدراك والهداية واللطف والرشاد والصبر والدوام والبقاء والسعة والظهور والبطون والملك والهبة وغيرها من محاسن الصفات وجميل الخصائص: فإنّما هو من آثار وجوده ومظاهر صفاته تعالى.

ربّنا الَّذي أعطىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَه ثُمَّ هَدىٰ ـ ٢٠ / ٥٠.

أي بالهداية التكوينيّة وتتميم الخصائص الذاتيّة ثمّ بالتشريع على طبقها تأكيداً لها.

فظهر أنّ كلّ موجود إنّما هو مَظهر لصفة من الصفات العليا في التكوين، وأمّا الإنسان فهو يستعدّ لأن يكون مَظهراً لجميع الصفات الإلهيّة، كما قيل: وأنتَ الكِتابُ

المُبِينُ الَّذي فيهِ يَنطوي العالَمُ الأكبر.

فينطوي في وجود الإنسان جميع الصفات، ويَقرأ في كتاب نفسه جميع الكلمات الدالّة على الظهورات والتجلّيات والمراتب، ويستعدّ بأن يشاهد في وجوده قاطبة الأسماء التكوينيّة، فإنّه مَظهر تامّ للصفات، ومَجمع كامل للأسماء، ومِرآة تُري مراتب الأنوار والحقائق.

وهذه كلمات مجملة ممّا يشاهَد في تفسير الآيات الكريمة: وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهم عَلى المَلائكَةِ فَقال أنبِئُوني بأسْماءِ هؤلاءِ إنْ كُنتُم صادِقين، قالوا سُبحانَكَ لا عِلمَ لَنا إلّا ما عَلَّمتنا إنَّكَ أنتَ العَليم الحَكيم، قالَ يا آدَمَ أنبِئْهم بأسْمائِهِم فلمّا أنبأهُم بأسمائِهِم قال أ لَمْ أقُلْ لَكُم ـ ٢ / ٣١.

ولا يخفى أنّ مَرجع الحقائق إلى هذا المعنى، وهو معرفة الأسماء وشهود كلّ إسم في النفس شهوداً تامّاً، وهذا غير ما هو متداول في التعليم الرسميّ، فإنّه لا يزيد منه معرفة وعلماً يقينيّاً ونوراً وبصيرة باطنيّة.

وأمّا إطلاق الأسماء: فإشارة إلى أنّ الأسماء بالإطلاق وفي الحقيقة منحصرة في أسماء الصفات بلحاظ هذه الحيثيّة، ولا حاجة إلى التقييد.

والفرق بين الحقائق والمعارف الإلهيّة: أنّ الحقّ الأوّل كما قلنا هو تعالى: لا إلٰهَ إلّا هُوَ، ثمّ في مقام التفسير يعبّر عنه بكلمة ألله، وهو الجامع بين أسماء ـ المريد والحيّ والعالم والقادر، فهذه حقائق في المرتبة الثانية، ثمّ يتفرّع منها أسماء حُسنى، وهي حقائق في المرتبة الثالثة، ثمّ في المرتبة الرابعة ـ مظاهر تلك الأسماء من جميع الموجودات من حيث إنّها مظاهرها ومن تلك الجهة. فهذه هي الحقائق، ولابدّ من التوجّه مِن الأعلى وهو الحقّ الأوّل إلى أن يصل إلى المظاهر والأسماء.

وأمّا المعارف الإلهيّة: فهي حصول المعرفة والشهود والعلم اليقينيّ بتلك الحقائق الثابتة من حيث إنّها مظاهر وأسماء إلهيّة.

اللّهمّ عَرِّفني نفسَك فإنّك إن لَم تُعرِّفْني نَفسَك لَم أعرِفْ رَسولَك.

أتُجادِلونَني في أسماءٍ سَمَّيْتُموها أنتُم وآباؤكُم ـ ٧ / ٧١.

ما تَعبُدون مِن دُونه إلّا أسماءً سَمَّيْتُموها أنتُم ـ ١٢ / ٤٠.

لَيُسمُّونَ الملائكة تَسميةَ الأُنثىٰ ـ ٥٣ / ٢٧.

وجَعَلُوا لِلهِ شُركاءَ قُل سَمُّوهُم ـ ١٣ / ٢٣.

هذه الأسماء مجعولة في قبال أسماء تكوينيّة واقعيّة حقّة.

فكُلُوا مِمّا ذُكِرَ إسمُ الله عَلَيْه ـ ٦ / ١١٨.

وأنعامٌ لا يَذكُرونَ إسْمَ الله عَلَيها ـ ٦ / ١٣٨.

أي لازم أن يذكر إسم من الله عليه، والإسم إذا أطلق ينصرف إلى إسم ـ الله، فإنّه في أوّل مرتبة من الأسماء. والمراد مِن كلمة ـ الله في الآيتين هو المسمّى لا الإسم.

سَبِّح إسْمَ رَبِّك الأَعلى ـ ٨٧ / ١.

إنَّ هذا لَهو حَقُّ اليَقين فَسبِّح باسم ربّك العَظيم ـ ٥٦ / ٩٦.

نَحنُ جَعَلناها تَذكرةً ومَتاعاً لِلمُقوين فَسَبِّح باسم رَبّك العَظيم ـ ٥٦ / ٧٤.

تسبيح الإسم: تنزيه إسمه وتجليل عنوانه وتعظيم وِجهته وتكريم مظاهره الروحانيّة والأنفسيّة والآفاقيّة واللفظيّة، فإنّ تعظيم الربّ جلّ جلاله إنّما يتحقّق بهذه الصورة وبهذا الطريق وبهذا النحو المتداول عرفاً.

والتعبير بالباء للتأكيد وللتحقيق والتعيين في موارد الحاجة إليها.

بِسم الله، إقرأ باسمِ رَبّك، بِسم الله مُجراها، ويُذكَر فيها إسمُه، وذَكَرَ إسمَ رَبّه، واذكُر إسمَ رَبّك، تَبارَكَ إسمُ رَبّك.

يراد التوجّه إليه تعالى والإقبال إلى وجهته والعمل مبتدأً باسمه، والتذكّر في الأُمور به.

فالأُمور الدنيويّة والجريانات المادّيّة والأعمال الظاهريّة: لازم أن تجري في مجاري التوجّه الإلٰهي والنظر الروحانيّ وفي سُبُل الأسماء.

* * *

سنبل:

صحا ـ السَّبَل: المطر، والسُّنبل، وقد أسبَلَ الزرعُ: خرج سُنبلُه. والسُّنبلة: واحدة سَنابل الزَّرع.

مقا ـ سبل: أصل واحد يدلّ على إرسال شيء من عُلو إلى سُفل، وعلى امتداد شيء. والممتدّ طولاً: السبيل وهو الطريق. وسمِّي السُّنبل سُنبلاً لامتداده، يقال أسبَل الزَّرع إذا خرج سنبله. قال أبو عبيد: سَبَل الزَّرْع وسُنبله: سَواء.

لسا ـ سبل: والسَّبولة والسُّبولة والسُّنبلة: الزَّرْعة المائلة. والسَّبَل: كالسُّنبل. وقيل السَّبَل: ما انبسط من شَعاع السُّنبل والجمع سُبول. وقد سَنبَلَتْ وأسبَلَتْ. الليث: السَّبولة هي سُنبُلة الذُّرّة والأَرُزّ ونحوه إذا مالَتْ. قد أسبَلَ الزَّرع إذا سَنبلَ. والسَّبَل: أطراف السُّنبل، وقيل السُّنبُل.

قع ـ (شِبيل) طريق، سبيل، زقاق، مجاز.

(شِبلِت) سنبلة.

* * *

والتحقيق :

أنّ هذه الكلمة مأخوذة من مادّة سبل، وقلنا إنّ الأصل فيها: إرسال شيء بالتطويل. ثمّ زيدت فيها النون، وزيادة النون في كلمة فيها سين كثير كالعنسل والقَلَنسوة وفِرسِن وفِرناس.

فالسنبل كلّ ما على أعالي سوق النباتات المحمّلة بالحبوب أو البذور أو الزهر، باعتبار أنّها مُسبَلة مع حبوب زائدة فيها تدلّ عليها النون.

مَثَلُ الَّذينَ يُنفِقون أموالهم في سَبيل اللهِ كَمَثَل حَبَّةٍ أنبَتَتْ سَبعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنبُلَةٍ مائة حَبَّةٍ واللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاء ـ ٢ / ٢٦١.

إشارة إلى أنّ إنفاق مال من الإنسان يقاوم بقيمة حبّة، إلّا أنّ ذلك العمل منه كالحبّة المزروعة أنبتت سبع سنابل، وهذا لطف وتأييد وفضل منه تعالى، والله يُضاعِف لَمَن يشاء.

فإنّ العمل الصالح من الإنسان بمقدار وسعه وبميزان استعداده، وأمّا الأجر من جانب الله العزيز المتعال: فهو أيضاً بمقتضى رحمته الواسعة وكرمه العميم وفضله ولطفه.

وسَبعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابِساتٍ ... قالَ تَزْرَعونَ سَبْعَ سِنينَ دَأباً فَما حَصَدْتُم فَذَرُوه في سُنبُلِهِ إلّا قَليلاً ـ ١٢ / ٤٧.

اليُبس في السَّنابل إشارة إلى قطع المطر وقلّة الماء للزراعة بحيث تصير النباتات وحبوبها يابساتٍ، وفي قباله الاخضرار فيها.

* * *

سند :

مقا ـ سند: أصل واحد يدلّ على انضمام الشيء إلى الشيء. يقال سندتُ إلى

الشيء أسنُد سُنوداً، واستندت استناداً، وأسندتُ غيري إسناداً. السِّناد: الناقة القويّة، كأنّها أُسندت من ظَهرها إلى شيء قويّ. والمُسنَد: الدهر، لأنّ بعضه متضامّ. وفلان سَنَد أي معتَمد.

مصبا ـ السَّنَد: ما استندتَ إليه من حائط وغيره. وسندتُ إلى الشيء سُنوداً، من باب قعد، وسَنِدتُ أسنَد: من باب تَعِب لغة، واستندتُ إليه: بمعنى، ويُعدّى بالهمزة، فيقال أسندتُه إلى الشيء فسنَد هو. وما يُستند إليه مِسنَد ومُسنَد، والجمع مَساند. وأسندت الحديثَ إلى قائله: رفعته إليه بذكر ناقله.

كتاب الأفعال ٢ / ١١٤ ـ سَنَد في الجبَل سُنوداً، وأسنَدَ: ارتفع، وسَنَدتُ إلى الشيء سُنوداً: استَرفدتُ به. وأسندتُ الحديثَ: رفعته إلى المحدِّث، وإلى الله تعالى: لجأت. والرجلَ: جعلته دَعيّاً في القوم. وفي العَدوِ: أسرع.

صحا ـ السَّنَد: ما قابَلك من الجبَل وعلا عن السَّفح. وخُشب مُسَنَّدة شُدِّد للكثرة. وتَسانَدتُ إليه: استَندت. وخرج القوم مُتَسانِدين: أي على رايات شتّى ولم يكونوا تحت راية أمير واحد. والمُسنَدُ: الدّهر. والمُسنَد: الدَّعيّ. وساندتُ الرجلَ مسانَدة: إذا عاضدته وكانفته.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الاعتماد والاتّكاء إلى شيء، سواء كان الاستناد في الظاهر أو في أمر معنويّ.

والفرق بين المادّة وموادّ الاعتماد والاتّكاء والركون والتمكّن:

أنّ الاعتماد: هو استقامة واتّكاء في النفس بالنسبة إلى شيءٍ وفي قباله.

والاتّكاء: هو استقرار وتمكّن بسبب الاستناد إلى شيء.

والتمكّن: هو استقرار وتثبّت من حيث هو.

والركون: هو ميل مع سكون، كما مرّ في الركن.

وإذا رَأيتَهُم تُعجِبُك أجسامُهم وإنْ يَقولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلهم كأنَّهُم خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِم ـ ٦٣ / ٤.

إشارة إلى أنّ هؤلاء المنافقين لهم أبدان سالمة وأجسام ضخمة وصور منظّمة وهياكل جالبة ومنطق صحيح، إلّا أنّ عقولهم سقيمة وأفكارهم منحرفة وأرواحهم في حجاب من الجهل والظلمة والغواية والضلال.

فكأنّهم خُشُب يابسة خالية عن الحياة وهي مستندة إلى جدار ليس لها تميز ولا إدراك ولا شعور ولا طمأنينة وسكون.

فظهر لطف التعبير بالمادّة: فإنّ الاعتماد والركون والاتّكاء والتمكّن فيها دلالة على الاستقرار في النفس والتمكّن والتمايل والاستقامة.

وأمّا التعبير بصيغة التفعيل مفعولاً: للإشارة إلى أنّ ذلك الاستناد إنّما هو من جانب آخر، وليس لهم اختيار في ذلك أيضاً.

* * *

سندس:

مصبا ـ سدس: والسُّندُس فُنعُل: وهو ما رقّ من الديباج.

المعرَّب ١٧٧ ـ السُّندس: رقيق الدِّيباج، لم يختلف فيه المفسِّرون. وقال اللَّيْث: السُّندس ضرب من البُزيون يتّخذ مِن المِرعِزاء، لم يختلف أهل اللغة في أنّه معرّب.

مفر ـ والسُّندس: الرقيق من الديباج، والإستبرق الغليظ منه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الديباج الرقيق اللطيف، كما أنّ الإستبرق ديباج غليظ. وأنّهما إسمان غير متصرِّفين مأخوذان من لغة خارجيّة فارسيّة أو روميّة، ولم أجد في المآخذ الّتي كانت موجودة عندي ما يبيّنها أزيد من هذا المقدار.

وَيَلبَسونَ ثِياباً خُضْراً مِن سُندُسٍ وإستَبرَقٍ ـ ١٨ / ٣١.

عالِيَهم ثِيابُ سُندُسٍ خُضرٌ واستَبرَقٌ وحُلّوا ـ ٧٦ / ٢١.

يَلبَسونَ مِن سُندُسٍ واستَبْرَقٍ ـ ٤٤ / ٥٣.

الدِّيباج: هو الحرير وهو ألطف مادّة ينسج منها الثوب.

والثوب: ما يرجع إلى شخص ويرتبط به بمقتضى حاله ومقامه، وهو كالصورة.

والثوب كالأجر والثواب الراجع إلى الإنسان، وهو في كلّ عالم بحسبه وبمقتضى خصوصيّاته، كما أنّ اللباس ما يكون ساتراً له، وهو أيضاً أعمّ من المادّيّ والمعنويّ ـ وَلِباسُ التَّقوىٰ ذلِكَ خَيرٌ.

ثياب أهل الجنّة إن كانت جسمانيّة ومأخوذة من الديباج أو ما يجانسه فظاهر، وإن كانت روحانيّة: فتكون عبارة عن حالات وتوجّهات ومحبّة وجذبات إلٰهيّة ترجع إلى أهل الجنّة، وتسترهم. كما أنّ الإستبرق كذلك، وتكون عبارة عن صفات قلبيّة وأخلاق باطنيّة حميدة.

وهذه الحالات والصفات ونتائجها: متجسّمة ممّا في الحياة الدنيا لهم من الأعمال الصالحة والأفكار الصحيحة والنيّات الخالصة.

وقلنا في البرق: إنّ الأصل فيه هو اللمعان المخصوص، ومنه الإستبرق.

ويدلّ على المعنى المزبور تتمّة الآية الأُولى ١٨ / ٣١ ـ نِعْمَ الثَّوابُ وحَسُنَت مُرتَفقاً. وفي تتمّة الآية ٧٦ / ٢١ ـ إنَّ هذا كانَ لَكُم جَزاءً وكانَ سَعيُكُم مَشكوراً.

وهكذا التعبير بقوله تعالى ـ عالِيَهم ـ أي يعلوهم ويحيطهم من فوقهم.

وأمّا التعبير بالخُضْر: فقد سبق في المادّة أنّ في اللّون من الطراوة والبهاء والنعومة الجالبة ما لا يخفى. راجع ـ ثوب، خضر ـ برق.

❊ ❊ ❊

سنم :

مصبا ـ السَّنام: للبعير كالإلية للغنم، والجمع أسنِمَة، وسنم البعير وأُسنِم: عَظُم سَنامه، ومنهم مَن يقول ـ أسنَم، وسَنِمَ سَنَماً، فهو سَنِمٌ: من باب تَعِب، كذلك. ومنه قيل: سَنّمتُ القبر تسنيماً: إذا رفعته عن الأرض كالسَّنام. وسَنّمْتُ الإناءَ: ملأته وجعلت عليه طعاماً أو غيره. وكلُّ شيء علا شيئاً: فقد تسنّمه.

مقا ـ سنم: أصل واحد، يدلّ على العلوّ والارتفاع. فالسَّنام: معروف. وتسنّمت: علوت. وناقة سَنِمةٌ: عظيمة السَّنام. وأسنمتُ النارَ: أعليتُ لَهَبها.

التهذيب ١٣ / ١٥ ـ قال الليث: جَمَل سَنِم، وناقة سَنِمَة: ضَخْمَة السَّنام. وأسنَمَتِ النارُ: إذا عَظُم لَهُبُها. وأسنِمَة الرمل: ظهورها المرتفعة من أثباجها. ويقال: تسنّمتُ الحائطَ: إذا علوته مِن عُرضه، ومِزاجُه مِن تَسْنيم عَيناً يَشرب بها ـ أي من ماء يتنزّل عليهم مِن مَعالٍ، وتُنصب عيناً على جهتين: إحداهما ـ أن تَنوي من تسنيم عينٍ، فلمّا نُوِّنَتْ نُصبت. والأخرى ـ أن تَنوي من ماء سُنِّمَ عيناً، كقولك رُفِعَ عيناً. وقبرٌ مُسَنَّم: إذا كان مَرفوعاً عن الأرض. يقال: تَسنَّم السحاب الأرض: إذا جادَها.

وتَسنّم الجملُ الناقةَ: إذا قاعها. والماء السَّنِم الظاهر على وجه الأرض.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يرتفع ويعلو من الشيء، كتحدّب ظهر البعير، وارتفاع اللّهب من النار، والتحدّب في سطح القبر، وارتفاع السحاب من الأرض كاللّهب، وهكذا ما يرتفع من الدخان في اشتعال النار، وارتفاع الزّهر والسنبل في النبات.

فظهر الفرق بين المادّة وبين الارتفاع والعلوّ وغيرها.

إنَّ الأبرارَ لَفِي نَعيم ... يُسْقَونَ مِن رَحيقٍ مَخْتوم ... ومِزاجُه مِن تَسنيم عَيْناً يَشْرَبُ بِها المُقَرَّبون ـ ٨٣ / ٢٧.

قلنا في الرَّحيق: إنّه الخمر الصافي عن الغشّ والمزج، والمخصوص.

وفي الختم: إنّه البالغ إلى حدّ النهاية في التمام والكمال.

فيكون المراد في المورد: أنّ الأبرار المقرّبين يُسقَون من الله تعالى بشراب خالص وخمر يجعل الأبرار سكارى غافلين عن غيره،وهو الخالص عن الغشّ والمزج، إلّا أنّ امتزاجه بأمر معنويّ وجهة روحانيّة توجب جذباً وارتفاعاً وتوجّهاً في أنفسهم.

فالأبرار بهذا السقي تتحصّل لهم حالة ارتفاع عن الإنّيّة والتوجّه إلى النفس وإلى ما وراء الحقّ، ويَفنون في نور الله وعظمته وجماله.

فالرَّحيق يُسنِّم العبدَ كما يُسنِّم الكلأُ البعيرَ ويزيد في ارتفاع سنامه.

وهذا المعنى هو الموافق لما للأبرار من مقاماتهم الروحـانيّة النـورانـيّة، فـإنّ التذاذهم بالتوجّهات والفيوضات والجذبات المعنويّة الإلهيّـة، لا بالأكـل والشرب والشهوات النفسانيّة.

وأمّا التعبير بالتسنيم دون الترفيع والإعلاء: فإنّ الإسقاء يوجد حالاً وتوجّهاً والتذاذاً، لا مقاماً وارتفاعاً في الوجود نفسه.

وأمّا عيناً: فهو معطوف على كلمة ـ رَحيق، فإنّه منصوب معنى على المفعوليّة.

❊ ❊ ❊

سنّ:

مقا ـ سـنّ: أصل واحد مطّـرد، وهو جريان الشيء واطّــراده في سهـولة. والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسُنّه سَنّاً: إذا أرسلته إرسالاً، ثمّ اشتقّ منه: رجلٌ مَسنون الوجه كأنّ اللحم قد سُنّ على وجهه. والحمأ المسنون من ذلك، كأنّه قد صُبَّ صَبّاً. وممّا اشتقّ منه: السُّنّة، وهي السيرة، وسُنَّة رسول الله (ص): سيرته، وإنّما سمِّيت بذلك لأنّها تجري جَرياً. ومن ذلك قولهم امضِ على سَنَنك وسُنَنك: أي وجهك. وجاءت الريح سَنائنَ، إذا جاءت على طريقة واحدة، ثمّ يُحمل على هـذا: سَنَنْتُ الحديدة أسُنُّها: إذا أمررتَها على السِّنان. والسِّنان: هو المِسَنّ. والسِّنان للرمح من هذا، لأنّه مَسنون أي مَمطول مُحدّد، وكذلك السَّناسِن، وهي أطراف فِقار الظَّهر، كأنّها سُنّت سَـنّاً. ومن الباب سِنّ الإنسـان وغيره: مُشبّه بسنان الرمح. والسَّنون: ما يُستاك به، لأنّه يُسَنّ به الأسنان سَنّاً.

مصبا ـ السِّنّ من الفم: مؤنّثة، وجمعه أسنان، ويقال للإنسان إثنتان وثلاثون سِنّاً، أربع ثنايا، وأربع رباعيّات، وأربعة أنياب، وأربعة نواجذ، وأربع ضـواحك،

وإثنتا عشرة رحى. والسِّـنّ: إذا عنيت بها العمـر: مؤنّثة أيضاً، لأنّها بمعنى المـدّة. وسِنان الرمح: جمعه أسنّة. وسَننتُ السِّكّين من باب قتل: أحددته. وسَننتُ الماء على الوجه: صببته صبّاً سهلاً. والمِسَنّ: حجر يُسَنّ عليه السكّين ونحوه. والسَّنَن: الوجه من الأرض. ويقال تنحّ عن سَنَن الطريق، وفلان على سنن واحد أي طريق. والسُّنّة: الطريقة. والسُّنّة: السيرة حميدة كانت أو ذميمة، والجمع سُنَن. وأسَنّ الإنسانُ إسناناً: إذا كبُر، فهو مُسِنّ، والأُنثى مُسِنّة. والجمع مَسانّ.

الجمهرة ١ / ٩٥ ـ سَنَّ الحديدةَ بالمِسَنّ يَسنُّها سَنّاً: إذا مسحها بالمِسنّ. وسَنّ الماءَ يَسنّه سَنّاً: إذا صبّه حتّى يفيض. وفسر أبو عبيدة قوله ـ مِن حَمأ مَسنون ـ أي سائل. والسُّنّة: معروفة. وسَنّ فلان سُنّة حسنة أو قبيحة يَسُنّها سَنّاً. وسُـنّة الخـدّ صفحته، ومن ذلك قيل خدّ مَسنون، أي سهل. والسِّنّ: واحد الأسنان، للإنسـان وغيره. وحطمَتْ فلاناً السنُّ: إذا أضعَفه الكبر.

قع ـ (شِن) سِنّ، كلّ بروز حادّ يشبه السِّنّ، عاج.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو جريان أمر منضبط، سواء كان هذا الأمر وجريانه في ظهور صفة أو عمل أو قول، وتختلف الضوابط باختلاف الموارد.

والسُّنّة فُعلة وهو ما يُسَنّ به كاللُّقمة. وسُـنّة الله تعالى: جريان مـن ظـهور صفاته على ضوابط مخصوصة، وهذه الضوابط تختلف باختلاف كلّ صفة وبمـقتضى خصوصيّاتها.

سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذينَ خَلَوْا مِن قَبلُ وَكانَ أمرُ الله قَدَراً مَقدوراً ـ ٣٣ / ٣٨.

يراد إجراء أمره فيهم مع ضوابط مخصوصة وتقديرات مقدّرة، ويدلّ على قيد الضوابط: جملة ـ وكان أمرُ الله قدَراً مَقدوراً.

ولَن تَجِدَ لِسُنَّة الله تَبديلاً ـ ٣٣ / ٦٢.

ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحويلاً ـ ٣٥ / ٤٣.

وَلا تَجِدُ لِسُنّتنا تَحويلاً ـ ١٧ / ٧٧.

قلنا إنّ السنّة ظهورات من صفاته وأسمائه، وجريانات من أمره وحكمه وقضائه، ولا يمكن التحوّل والتبدّل والتغيّر في أمره وقضائه، فإنّ قضاءه حقّ.

وتوضيح ذلك: أنّ سنّة الله مرجعها إلى ظهور صفات الفعل كالإحياء والإماتة والرحمة والغضب والرازقيّة والقاهريّة واللطف والكرم.

وإن يَعودُوا فَقَد مَضَتْ سُنَّةُ الأوَّلين ـ ٨ / ٣٨.

وَقَد خَلَتْ سُنَّةُ الأوَّلين ـ ١٥ / ١٣.

إلّا أن تأتيهم سُنَّة الأوَّلين ـ ١٨ / ٥٥.

يراد سنّة الله الّتي جرت في الأوّلين، كما في ـ سُنَّةَ الله في الَّذينَ خَلَوْا ـ فالإضافة بمعنى ـ في، وسنّة الله فيهم إمّا باللطف والرحمة، وإمّا بالقهر والغضب، كلّ منهما مع حدود وضوابط معيّنة في مواردها. فلابدّ للإنسان أن يراجع إلى جريان أمورهم ويتدبّر في حالاتهم ويعتبر من عواقب أعمالهم، ويستكشف سنن الله المضبوطة في مواردها ـ قَد خَلَتْ مِن قَبلكُم سُنَنٌ فَسيروا في الأَرض فانظُروا كَيفَ كانَ عاقبةُ المكذِّبين ـ ٣ / ١٣٧.

إشارة إلى موارد ظهور صفة القهّاريّة والقبض والإذلال في قبال المكذّبين.

يُريدُ اللهُ ليُبيِّنَ لَكُم ويَهدِيَكُم سُنَنَ الَّذينَ مِن قَبلكُم ويَتوبَ عَلَيكُم ـ ٤ / ٢٥.

إشارة إلى ظهور صفة الهداية واللطف ببيان الأحكام الإرشاديّة والتكاليف والوظائف الهادية إلى الخير والصلاح والسعادة.

وجملة ـ ويَهْديكم: إشارة إلى أهميّة التوجّه إلى سنن الله العزيز المتعال، فإنّه توجّه إلى حقائق الأسماء والصفات، وبه يحصل المعرفة بالحقائق والمقامات الإلهيّة والمعارف الربّانيّة.

ونتيجة هذا التوجّه: هو توبة الله ورجوعه إلى العبد وظهور لطفه ورحمته عليه، وتحقّق الارتباط بين الله المتعال وعبده، فإنّ التوجّه إلى السنن يوجب العمل والطاعة ويرشد إلى مقام العبوديّة.

وَلَقَد خَلَقنا الإنسانَ مِن صَلصالٍ مِن حَمأٍ مَسنون ـ ١٥ / ٢٦.

سبق أنّ الحمأ هو التراب المرطوب المنتن، فإنّ تكوّن النبات من الحمأ، وتكوّن الحيوان من النبات. ومعلوم أنّ الحمأ المطلق لا تتكوّن منه النباتات، بل على ضوابط مخصوصة وقيود معيّنة، بأن تكون الرطوبة على مقدار معيّن وأن لا تكون التراب ممزوجة بموادّ كالأملاح، وهذا معنى كونه مسنوناً، أي جارياً على ضوابط معيّنة ـ راجع الصلصل.

وأمّا السِنّ من الفم: فهو مأخوذ من اللّغة العبريّة (شِن).

ومع هذا فيناسب الأصلَ في المادّة: فإنّ السِّنّ أظهر وسيلة من جهاز الهاضمة، والهاضمة أكبر ما يتوصّل به إلى إدامة الحياة، فالسِّنّ تكون سبب ظهور جريان مضبوط للحياة، ويتحقّق التناسب.

وأمّا السِّنّ بمعنى جريان الحياة والعمر: فمن مصاديق الأصل.

والأُذُنَ بالأُذُنِ والسِنَّ بالسِّنِّ ـ ٥ / ٤٥.

أي يجازى به.

وأمّا السِّنان بمعنى رأس الرمح: فهو أيضاً مأخوذ من العبريّة ـ شِناناه.

وفي مادة ـ شِن عبريّة: معنى الحدّة والقطع، وبهذه المناسبة يشتقّ منها: كلمة شِن وشِناناه.

* * *

سنه :

مصبا ـ السنه: الحول، وهي محذوفة اللّام، وفيها لغتان: إحداهما جعل اللّام هاء، ويبنى عليها تصاريف الكلمة، والأصل سَنهة، وتجمع على سَنَهات، وتصغّر على سُنَيْهة، وتسنّهت النخلة وغيرها: أتت عليها سنون، وعاملته مسانَهة، وأرض سَنهاء: أصابتها السنة وهي الجدب. والثانية ـ جعلها واواً يبنى عليها تصاريف الكلمة أيضاً، والأصل سَنْوة، وتجمع على سَنَوات، وتصغّر على سنيّة، وعاملته مساناة، وأرض سنواء: أصابتها السنة، وتسنّيت عنده: أقمت سنين. قال النحاة: وتجمع السنة كجمع المذكّر السّالم أيضاً، فيقال سنون وسنين وتحذف النون للإضافة. وفي لغة: تثبت الياء في الأحوال كلّها، وتجعل النون حرف إعراب، تنوّن في التنكير ولا تحذف مع الإضافة كأنّها من أصول الكلمة، وعلى هذه اللغة ـ اللّهمّ اجعلها عليهم سِنينَ كسنين يوسف. وربّما أطلقت السنة على الفصل.

مقا ـ سنه: أصل واحد، يدلّ على زمان. فالسنة معروفة، وقد سقطت منها هاء، ألا ترى أنّك تقول سُنَيْهة. ويقال سَنَهت النخلةُ إذا أتت عليها أعوام. وقوله تعالى ـ فانظُر إلى طَعامِك وشَرابك لم يَتَسنّه، أي لم يصر كالشيء الّذي تأتي عليه السِّنون فتُغيّره.

لسا ــ سنه: قال ابن سِيده: السنة العام منقوصة، والذاهب منه يجوز أن يكون هاءً وواواً، بدليل قولهم في جمعها سَنَهات وسَنَوات، والسنة مطلقةً: السنة المُجدبة، أوقعوا ذلك عليها إكباراً لها وتشنيعاً واستطالةً، يقال أصابتهم السنة ــ ولَقَد أخَذنا آلَ فِرعَونَ بالسِّنينَ ــ أي بالقحوط. وسَنِه الطعام والشراب سَنِهاً وتَسنّه: تغيّر.

قع ــ (شاناه) تغيّر، تبدّل، اختلف.

(شِناه) غيّر، بدّل.

(شاناه) سنة، عام.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التغيّر ومن هذا المعنى ومن مصاديقه امتداد معيّن من الزمان بمعنى العام.

وهذه المادّة مأخوذة من اللغة العبريّة كما رأيت.

ولا يبعد أن نقول: إنّ الأصل هو التحوّل وبهذه المناسبة تطلق السنة على العام، ويقال له الحول، لتحوّل الزمان الممتدّ دائرة بانتهاء الحركة الانتقاليّة في الأرض.

فالهاء في آخر المادّة من الحروف الأصليّة. وأمّا التاء في آخر كلمة السنة فإمّا مبدلة من الهاء، أو أنّها للوحدة أو للتأنيث والهاء محذوفة.

وأمّا الواو في سنوات: فإمّا مبدلة، أو الكلمة من مادّة ــ سنو، بناءً على أنّ التعريب قد وقع على هذا الحرف ــ راجع ــ سنو.

وعلى أيّ حال فلا شكّ في كون المادّة مأخوذة من العبريّة.

فانظُرْ إلى طَعامِك وشَرابك لَم يَتَسَنَّهْ ــ ٢ / ٢٥٩.

أي لم يتحوّل إلى حالة أخرى. وأمّا التفسير بقولهم ـ لم يأتِ له سنون: فغير وجيه: فأوّلاً ـ إنّ هذا المعنى كذب، وقد أتى عليه سنون. وثانياً ـ إنّ السنة إسم لا يشتقّ منه الفعل، إلّا بالانتزاع، وهو غير فصيح.

هذا إذا كانت الكلمة من مادّة السنة، وأمّا إذا كانت من مادّة السنو فالهاء في آخر الكلمة تكون للسكت والوقف، والواو محذوفة بالجازم، والأولى هو الأوّل بوجوه ذكرناها، مع أنّ الحذف خلاف الأصل.

ألفَ سَنةٍ، أربعينَ سَنةً، خَمسينَ ألفَ سنةٍ.

والأصل سَنَهَة حذفت الهاء للتخفيف في الكلمة ولثقل توالي الحركات.

في بِضعِ سِنين، مِن عُمرِكَ سِنين، عَدَدَ السِّنين، سَبعَ سِنين، إن مَتَّعناهُم سِنينَ.

جمع سَنَة يُجمَع بالواو والنون، فإنّ أكثر استعماله في ذوي العقل، وكسر السين لتسهيل التلفّظ، وللفرق بينه وبين الجمع السّالم.

وَلَقَد أخَذْنا آل فِرعَونَ بالسِّنينَ ونَقصٍ مِنَ الثَّمَراتِ ـ ٧ / ١٣٠.

إذا أطلق هذا اللّفظ من دون قيد وفي مقام المؤاخذة: يراد منه التحوّلات والشدائد والابتلاءات الجارية في امتداد تلك المدّة من دون نظر إلى ابتلاء مخصوص.

وقلنا إنّ الأصل في المادّة: هو التحوّل والتغيّر.

* * *

سنا:

مصبا ـ السانية: البعير يُسنى عليه أي يُستقىٰ من البئر. والسحابة تَسنو الأرض أي تُسقيها، فهي سانِية أيضاً، وأسنَيْتُه: رفعته، والسَّناء: الرفعة، والسَّنى: الضوء.

مقا ـ سنى: أصل واحد يدلّ على سقي، وفيه ما يدلّ على العلوّ والارتفاع. يقال سَنَت الناقة إذا سقَتِ الأرضَ، تَسنو، وهي السانية. والقوم يستَنون لأنفسهم إذا استقوا. ومن الباب سانيتُ الرجلَ: إذا راضيتَه. وأمّا الّذي يدلّ على الرفعة: فالسَّناء ممدود، وكذلك إذا قصرته دلّ على الرفعة، إلّا أنّه لشيء مخصوص، وهو الضوء.

مفر ـ السَّنا: الضوء الساطع. والسَّناءُ: الرفعة.

التهذيب ١٣ / ٧٦ ـ سنا ـ قال اللّيث: السانية جمعها السَّواني ما يُسقَى عليه الزروع والحيوان من كبير وغيره. وقد سَنَتِ السانية تَسنو سُنوّاً: إذا استقَتْ، وسِناية وسِناوة. والسحابُ يَسنو المطر، والقومُ يَستنون: إذا استَنوا لأنفسهم. وسنَيْتُ البابَ وسنوته: إذا فتحته. عن أبي عمرو: سانيتُ الرجلَ: راضيته وأحسنتُ معاشرته. والمساناة: المصانَعة وهي المداراة. والسَّنا: حدّ منتهى ضوء البدر والبرق، وقد أسنى البرق: إذا دخل سناه عليك بيتك، ووقع على الأرض أو طار في السحاب. وقال ابن السِّكّيت: السَّناء: من الشرف والمجد ممدود. والسَّنا: سنا البرق وهو ضوؤه يكتب بالألف، ويثنّى سَنَوان.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو انتشار شعاع من مقام رفيع، والشعاع أعمّ من أن يكون ضوءاً أو شرفاً أو خُلقاً أو رحمة أو سقاية أو ما يشابهها.

فبلحاظ هذا الأصل تستعمل المادّة في إسقاء البعير والسحاب وغيرهما، وفي نشر الضوء، وفيما يكون مرتفعاً وفي مقام عال يفيض رحمة أو شرفاً.

والسَّناء ممدوداً: يناسب الرفعة مع إفاضة ضوء أو خير. والسَّنا مقصوراً يناسب

نفس الشعاع والأثر الخارج.

ولا يخفى الاشتقاق الأكبر فيما بين السنو والسنن والسنه، والجامع بينها هو جريان وتحوّلات على مقتضى المادّة: ففي السَّنّ بالتضعيف دلالة على الضبط والحدّ في الجريان. وفي السنو على انتشار جريان وشعاع من المقام العالي، وهو أوسع وأخفّ من الأوّل، فإنّ التضعيف قد يعرضه الإبدال تخفيفاً كما في أمللت وأمليت. وفي السنه دلالة على مطلق التحوّل.

ويُنزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِن جِبالٍ فيها مِن بَرَدٍ فيُصيبُ به مَن يَشاء ويَصْرِفُهُ عَمَّن يَشاء يَكادُ سَنا بَرقِه يَذهَبُ بالأَبصار - ٢٤ / ٤٣.

أي البرق المتحصّل من الاصطكاكات الّتي في جريان السحاب والبرد. فالبرق: هو اللّمعان المخصوص بشدّة وضغط. والسَنا: جريان ذلك البرق وشعاعه. والبَرَد: كحَسَن ما بَرُد من السحاب والماء. والجبل: كلّ ما ارتفع وعظم.

والمراد جبال في السماء أي السحب. وقوله من برد: مفعول به. وذكر حرف مِن الدالّ على التبعيض والتجزئة في الموردين (من جبال، من بَرَد) إشارة إلى أنّ النازل بعض من الجبال وبعض من البرد. وهذا تقدير من الله العزيز العليم - إلّا عندَنا خَزائنُه وَما نُنزِّلهُ إلّا بقَدَرٍ مَعلوم. وهذا معنى قوله تعالى: فيُصيبُ بِهِ مَن يَشاء ويَصرِفه عَمَّن يَشاء.

هذا إذا أُريدت من الكلمات معانيها الظاهريّة المادّية.

وأمّا إذا أُريدت منها مفاهيم عامّة شاملة للمعاني المعنويّة أيضاً: فنقول في تفسير الآية الكريمة: ينزّل الله تعالى من سماء الأسماء الإلٰهيّة من جبال السحب النورانيّة ومن مقام العظمة والنور إفاضات روحانيّة وكشفيّات وحقائق شهوديّة وتجلّيات إلٰهيّة وجذبات ذوقيّة، تُبرّد الحرارة في القلوب والتهابها. فهذه المقامات

والحالات الروحانيّة تتوجّه إلى من يشاء وله أهليّة.

❊ ❊ ❊

سهر:

مقا ـ سهر: معظم بابه الأرق، وهو ذهاب النوم. يقال سَهَر يَسهَر سَهَراً، ويقال للأرض: الساهرة، لأنّ عملها في النبت دائماً ليلاً ونهاراً. ثمّ صارت الساهرة إسماً لكلّ أرض.

مصبا ـ السهر: عدم النوم في الليل. كلّه أو في بعضه، يقال سهر الليلَ كلّه أو بعضه: إذا لم ينم فيه، فهو ساهِر وسَهران، وأسهرتُه.

الاشتقاق ٣١٦ ـ الساهرة: وهي أرض بيضاء، وفسّر قوم الساهرةَ في التنزيل فقالوا ـ يخلق الله أرضاً لم يُعصَ عليها. والساهور: القمر بالسريانيّة، وقد تكلّمت به العرب. والسَّهَر: معروف.

مفر ـ الساهِرة: قيل وجه الأرض. وقيل هي أرض القيامة، وحقيقتها الّتي يكثر الوطء بها فكأنّها سهرت بذلك.

التهذيب ٦ / ١٢٠ ـ قال الليث: السَّهَر: امتناع النوم باللّيل، تقول: أسهَرني همّ فسَهِرتُ له سَهَراً. قال: والساهور من أسماء القمر، وقال غيره: الساهور للقمر كالغلاف للشيء. وساهور العين: أصلها ومَنبع مائها. ويقال لعين الماء ساهِرة إذا كانت جارية، ويقال: خير المال عين ساهرة لعين نائمة. والسُّهار والسُّهاد واحد.

قع ـ (سَهَر) قمر، هلال.

(سوهَر) سجن، حبس، موقف، معتقل.

(شَحَر) فجر، ظلام الليل.

(شاحَر) اسودّ، أظلَمَ، خيّم الظلام.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو فقدان النـوم والغفلة مع التـوجّه ليـلاً. وليس مطلق الأرق سهراً.

وبهذه المناسبة تطلق على القمر: فإنّه لا يغفل عن وظيفته وعمله ليلاً، وعلى عين الماء: لخروج الماء وجريانه عنها دائماً ومن دون توقّف.

ومفهوم الظلمة والاسوداد والتوقّف والتسجّن في العبريّة: يناسب الأصل، فإنّ السَّهَر ليلاً محاط قهراً بالظلمة ومحدود بالاسوداد.

قالوا تِلكَ إذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ فإنَّما هِيَ زَجرةٌ واحدةٌ فإذا هُم بالسّاهِرَة ـ ٧٩/١٤.

الزجرة: هي الصـيحة تمنع عن عمل أو حالة. والساهرة: عـبارة عن محـيط ومقام لا غفلة ولا نوم فيها، وهي عالم غير محجوب بالمادّة وقواها وتمايلاتها ـ النّاسُ نِيامٌ إذا ماتوا انتَبهوا.

فالمحجوبون الغافلون المتوغّلون في تعلّقات الحياة الدنيا كالنائمـين الواقعين في ظلمات الجهل والطغيان، غير متوجّهـين إلى حالاتهم الباطنيـة وإلى ما فيه صـلاح أمورهم وسلامة قلوبهم ونورانيّة نفوسهم.

وأمّا إذا أدركهم الموت: فيتحصّل لهم التنبّه والسهر والتوجّه، فإنّ عالم الآخرة عالم لطيف ترتفع فيه حجب المادّة ـ فبَصَرُكَ اليَومَ حَديد.

وأمّا تفسير الساهرة بالأرض: فأوّلاً ـ إنّ النفوس بعد الموت ليس لهم تعلّق وسكنى في الأرض كما كانوا في الدنيـا، ولا يحتاجون إلى مسكن مادّي كما في حال

تعلّقهم بالأبدان الجسدانيّة. وثانياً ـ إنّ الأرض ليست من مصاديق الأصل. والظاهر أنّ أهل اللغة أخذوا المعنى من كتب التفسير. والمفسّرون فسّروا الكلمة برأيهم على مقتضى أفهامهم. وقلنا كراراً إنّ أمثال هذه المعاني في كتب اللغة كثيرة.

مع أنّ تقييد الكلمة يحتاج إلى دليل، والدليل على خلافه.

* * *

سهل :

مقا ـ أصل واحد يدلّ على لين وخلافِ حُزونـة. والسَّهل: خلاف الحَـزْن. ويقال النسبة إلى الأرض السَّهْلة سُهليّ ويقال أسهلَ القومُ، إذا ركبوا السهلَ. ونهر سَهِلٌ فيه سِهلَة، وهو رمل ليس بالدُّقاق. وسُهيل: نجم.

صحا ـ السَّهْل نقيض الجبل، وأرض سَهْلة، والنسبة إليه سُهليّ بالضمّ على غير قياس. وأسهَلَ القومُ إذا صاروا إلى السَّهْل. ورجل سهل الخلق. وأسهلَ الدواءُ طبيعتَه. والتسهيل: التيسير، والتساهل التسامح. واستَسْهلَ الشيءَ: عدّه سَهْلاً.

مصبا ـ سَهُلَ الشيء سُهولة: لانَ، هذه هي اللغة المشهورة وقالوا سهل بفتح الهاء وكسرها أيضاً، والفاعل سهل، وبه سمِّي وبمصغّره أيضاً، وسهَّلَ اللهُ الشيءَ فتسهَّل وسَهُل. ولا يُعوَّل على قول الناس مَسهول إلّا أن يوجد نصّ يوثق به.

التهذيب ٦ / ١٢٥ ـ قال اللّيث: السَّهل: كلّ شيء إلى اللين وذهاب الخشونة، تقول سَهُل سُهولة. والسَّهلة: تراب كالرّمل يجيء به الماء. وأرض سَهِلة، فإذا قلت سَهْلة فهي نقيض حَزنة. قلت: لم أسمع سَهِلة بكسر الهاء لغير اللّيث. وأسهَلوا: إذا نزلوا السَّهْل بعد نزولهم بالحزن وأسهَلوا إذا استَعْملوا السُّهولة مع الناس.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الصعوبة، كما أنّ اللين ما يقابل الخشونة، واليسر ما يقابل العسر، والرخوة ما يقابل الشدّة.

فتفسير المادّة باللين والحزن واليسر وأمثالها: في غير مورده، وعلى سبيل التقريب والتجوّز.

ثمّ إنّ السهولة يختلف مفهومها باختلاف الموضوعات: فالأرض السهلة في مقابل ما يكون صعباً كالجبل، والخُلق السهل إذا لم يكن سيّئ الخلق، وهكذا في كلّ موضوع بحسبه.

وأمّا الحَزن: فهو انقباض مخصوص، ومنه الحُزن في مقابل الانبساط.

وبَوَّأكُم في الأَرضِ تتَّخذونَ مِن سُهولِها قُصوراً ـ ٧ / ٧٤.

أي تجعلون سُهول الأرض وسائل ولوازم للأبنية والعمارات، كالتراب والماء والطين والأحجار والرمل والأشجار وما يَسهل أخذه ويفيد في العمارة.

فظهر لطف التعبير بها دون اللين والرخوة واليسر: فإنّ تهيئة بعض اللّوازم كالأحجار من الجبال السهلة والأشجار والمعدنيّات ما لم تكن صعبة: غير يسير وهي في أنفسها خشنة وشديدة.

* * *

سهم :

مصبا ـ السَّهْم: النَّصيب، والجمع أسهُم وسِهام وسُهمان. وأسهمتُ له: أعطيتُ له سهماً. وساهَمته مساهَمة بمعنى قارعته مقارَعة. واستَهموا: اقتَرعوا. والسُّهمة:

النصيب، وتصغيرها سُهَيْمة. والسَهم: واحد من النبل، وقيل السَّهم نفس النَّصْل.

مقا ـ سهم: أصلان، أحدُهما ـ تغيّر في لون. والآخر يدلّ على حَظّ ونصيب وشيء من الأشياء. فالسُّهمة: النصيب، ويقال أسهَمَ الرجلان إذا اقترعا، وذلك من السُّهمة والنصيب أن يفوز كلّ واحد منهما بما يُصيبه. والسُّهمَة: القرابة، وهو من ذاك، لأنّها حظّ من اتّصال الرحم. وقولهم بُرد مُسَهّم، أي مُخطّط، وإنّما سمّي بذلك لأنّ كلّ خطّ منه يُشبَّه بسهم. وأمّا الأصل الآخر: فقولهم سَهُمَ وجهُ الرجل: إذا تغيّر.

التهذيب ٦ / ١٣٨ ـ قال اللّيث: استَهم الرجلانِ: إذا اقتَرعا، والسَّهم: القِدح الّذي يُقارَع به. والسَّهم: النصيب. والسَّهم: واحد السِّهام من النبل وغيره. ويـقال للفرس إذا حمل على كريهة الجَري ساهِمُ الوجه، وكذلك الرجل في الحرب سـاهِمُ الوجه، والسُّهام الضُّمر والتغيّر. وقال اللّيث: السُّهام من وَهَج الصيف وغُبرته، يقال سُهِمَ الرجلُ: إذا أصابَه السُّهام.

الاشتقاق ١١٨ ـ السهم الّذي يُرمى به: معروف. ولا يسمّى سهماً حتّى يكون عليه نَصل ورِيش، وإلّا فهو قِدح. والسَّهام: الريح الحارّة. والسُّهام: داء يصيب الإبل شبيه بالعطاش. وبُرد مُسَهّم: مُخطّط كأفواق السهام. وسَهَم وجهُه: إذا ضَمَر، فـهو ساهِم من مرض أو عِلَل. وبيني وبين فلان سُهمة: أي نسب وقرابة.

اللسان ـ سهم: السهم: النصيب المحكم. السهم في الأصل: واحد السِّهام الّتي يُضرب بها في المَيسر، وهي القِداح، ثمّ سمّي به ما يَفوز به الفالجُ سهمُه، ثمّ كثر حتّى سمِّي كلّ نصيب سَهماً. وحديث بريدة: خرج سهمُك أي بالفَلْج والظَّفـر. والسَّهْم: القِدح الّذي يُقارَع به.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يتعيّن وينسب لشخص، والفرق بين المادّة وبين موادّ ـ الحظّ والقسمة والحصّة والخلاق والرزق والنصيب:

أنّ الحَظّ: يلاحظ فيه الاستفادة.

والقِسمة: يلاحظ فيها الانقسام والتجزّي من الكلّ.

والحِصّة: يلاحظ فيها الانفصال والتعيّن واتّضاح المفصول.

والخَلاق: ما يكون من الخير وافراً ومقدّراً وهو من التقدير والخلق.

والرزق: ما يعطى ويجرى على الاستمرار والإدرار.

والنصيب: ما ينصب ويتعيّن في مقابل شخص، محبوباً أو مكروهاً، وهو أعمّ من كلّ منها، كما أنّ السهم كذلك. والملحوظ في النصيب جهة النصب، وفي السهم جهة النسبة.

وأمّا إطلاقها في موارد القرابة والتغيّر والتعلّل: فيقيّد لحاظ النسبة أي تستعمل المادّة فيها إذا كان النظر إلى جهة نسبة منها إلى شخص نصيباً.

وأمّا المساهمة: فتدلّ الصيغة على تكرار واستمرار في المفهوم، وهذا المعنى إنّما يتحقق بالمقارعة حتّى يتعيّن النصيب في المورد.

وكذلك الاستهام: وهو اختيار السهم بأيّ وسيلة يمكن.

إذْ أبقَ إلى الفُلكِ المَشْحُونِ فسَاهَمَ فَكانَ مِنَ المُدْحَضِين فالتَقَمه الحُوتُ ـ ٣٧ / ١٤١.

أي فقارَع واستمرّ في تشخيص السهم منهم، وتعيّن هو نفسه في ذلك المورد.

فظهر لطف التعبير بالمادّة دون أخواتها.

❊ ❊ ❊

سهو:

مصبا ـ سَها عن الشيء يَسهو سهواً: غفل. وفرّقوا بين الساهي والناسي: بأنّ الناسي إذا ذكرته تَذكّر، والساهي بخلافه. والسَّهْوة: الغفلة. وسها إليه: نظر ساكن الطرف.

مقا ـ سهو: معظم الباب يدلّ على الغفلة والسكون. فالسهو: الغفلة، يقال سهوت في الصلاة أسهو سهواً. ومن الباب المُساهاة حُسن المخالَقة، كأنّ الإنسان يَسهو عن زَلّة إن كانت من غيره. والسهو: السكون، يقال جاء سهواً رَهواً. وممّا يبعد عن هذا قولهم حملت المرأة ولدها سهواً، أي على حيض.

مفر ـ السهو: خطأ عن غفلة، وذلك ضَربانِ: أحدهما أن لا يكون من الإنسان جَوالِبُه ومُولِّداته كمجنون سَبّ إنساناً. والثاني أن يكون منه مُوَلِّداته كمن شرب خَمراً ثمّ ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله. والأوّل معفوّ عنه، والثاني مأخوذ به. وعلى نحو الثاني ذمّ الله تعالى فقال: في غَمرةٍ ساهون، عَن صَلاتِهم ساهون.

التهذيب ٦ / ٣٦٦ ـ قال اللّيث: السَّهو: الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه، وإنّه لَساهٍ بَيّن السَّهْو والسُّهُوّ، وسَها الرجل في صلاته: إذا غفل عن شيء منها. أبو عبيد: السَّهْوة: الناقة اللّيّنة السير، ويقال: بعير ساةٍ راهٍ، وجِمال سَواهٍ رَواهٍ لَواهٍ.

الفروق ـ ٧٨ ـ الفرق بين النسيان والسهو: أنّ النسيان إنّما يكون عمّا كان. والسهو يكون عمّا لم يكن، تقول نسيت ما عرفته.

وفرق آخر: أنّ الإنسان إنّما ينسى ما كان ذاكراً له. والسهو يكون عن ذكر

وعن غير ذكر، لأنّه خفاء المعنى بما يمتنع به إدراكه.

والفرق بين السهو والغفلة: أنّ الغفلة تكون عمّا يكون. والسهو يكون عمّا لا يكون، تقول غفلت عن هذا الشيء حتّى كان.

وفرق آخر: أنّ الغفلة تكون عن فعل الغير، تقول كنت غافلاً عمّا كان من فلان. ولا يجوز أن يَسهى عن فعل الغير.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الغفلة عن عمل يقصده ويريد أن يعمل به، كلّاً أو جزءاً، ظاهريّ أو معنويّ.

فإذا كان السهو بسبب اختيار مقدّمات توجبه: فهو مأخوذ به، وكذلك إذا كان عن قصد وعمد، وهذا لا يطلق عليه السهو.

فالسهو لازم أن يتعلّق بعمل من نفسه، وإذا تعلّق بعمل من الغير فهو غفلة. وإذا كان أخطأ في تشخيص المصداق ولم يُصبه: فهو خطأ، سواء كان في حكم أو في موضوع أو عمل. وإذا كان الخطأ بتعمّد وقصد: فهو عصيان وإثم ـ راجع خطأ، إثم.

قُتِلَ الخَرّاصُونَ الَّذينَ هُم في غَمْرةٍ ساهُون - ٥١ / ١١.

قلنا إنّ الخَرص: هو اختلاق وافتعال على الظنّ من دون سند متين، وهذا المعنى يشمل كلّ ما يقع غير مستند إلى أصل محكم، من عقيدة أو أدب أو عمل. فمن سلك في هذه الطريقة: فهو واقع في غمرة وغورة من الخطأ والعصيان، وإنّهم دائمون في السهو، ولا يرون سهوهم، ولا يتوجّهون إليه.

فإنّ المنهمكين في اختلاق والمتوغلين في سلوك غير حقّ: لا يمكن لهم التوجّه

إلى الحقّ، وإنّهم يغفلون عن درك الصواب، ويسهون في أعمالهم.

فَوَيلٌ لِلمُصَلِّينَ الَّذينَ هُم عَن صَلاتِهِم ساهون ـ ١٠٧ / ٥.

أي يغفلون عن صلاتهم وعن إقامتها، ولا يهتمّون بها ولا يراقبون فيها، مع أنّ الصلاة قربان كلّ تقيّ، ومعراج كلّ مؤمن.

وأمّا قولهم: بَعيرٌ ساهٍ: فيطلق في مورد يغفل ويسهو عن سيره كمّاً أو كيفاً.

وقولهم حمل المرأة في أيّام الحيض: فإنّه عمل وتوليد خلاف المراد والمعمول به.

وأمّا حُسن المخالَقة أي المعاشرة بخلق حسن: فإنّ هذا الاستعمال في مورد يعاشر بخلق حسن تصنّعاً وباختلاق.

وأمّا قولهم: سَهى إليه إذا نظر بسكون الطرف: فإنّ هذا الإطلاق في مورد يكون التوجّه القلبي إلى غير ما يكون النظر الظاهريّ إليه، فكأنّ العين تسهو في نظرها ولا تنظر بإرادة وقصد إلى تلك الناحية.

* * *

سوء:

مقا ـ سوء: فليست من ذلك، إنّما هي من باب القبح، تقول رجل أسوأ أي قبيح، وامرأة سَوآء أي قبيحة. قال رسول الله (ص): سَوْآءُ وَلودٌ خير من حَسْناء عقيم. ولذلك سمِّيت السَّيِّئةُ سيِّئة. وسمّيت النار سُوأى، لقبح مَنظرها.

مصبا ـ سوى: وأساءَ زيد في فعله، وفَعَلَ سوءاً، والإسم السَّوْأى على فَعْلى، وهو رجلُ سَوءٍ، وعمل سَوْء، فإن عَرّفت الأوّل قلت الرجل السَّوْء والعمل السَّوْء على النعت. وأسأت به الظنّ. وسُؤتُ به ظنّاً، يكون الظنّ معرفة مع الرباعيّ ونكرة

مع الثلاثيّ، ومنهم من يجيزه نكرة فيهما، وهو خلاف ـ أحسنت به الظنّ. والسـيّئة خلاف الحسنة، والسيِّئ خلاف الحسن، وهو إسم فاعل من ساءَ يَسوء إذا قبح، وهو أسوأ القـوم، وهي السَّوأى أي أقبحهم. والناس يقولون: أسوأ الأحوال ويريدون الأقلّ أو الأضعف. والمَساءة: نقيض المَسرّة، وأصله المَسْوَأة، ولهذا تـردّ الواو في الجمع فيقال هي المَساوي. وبدَتْ مَساويه أي نقائصه ومَعايبه.

صحا ـ ساءَه يَسوؤه سَوْءاً ومَساءَة ومَسائِيَةً: نقيض سَرَّه، والإسم السُّـوء. وقُرِئ ـ عَليهم دائرة السُّوء ـ يعني الهزيمة والشرّ، ومَن فتح فهو من المَساءة. وتقول ـرجلُ سَوْءٍ ورجلُ السَّوْء. قال الأخفش: ولا يقال ـ الرجلُ السَّوْءُ، ويقال الحـقّ اليقين، لأنّ السَّوْءَ ليس بالرجل واليقين هو الحقّ. ولا يقال هذا رجلُ السُّوءِ بالضمّ. وأساء إليه نقيض أحسن إليه، والسُّوأى نقيض الحُسنى. والسَّيِّئة أصلها سَويِئة فقلبت الواو ياء ثمّ ادغمت الياء في الياء، يقال فلان سيِّئ الاختيار وقد يخـفّف مثل هَـيِّن ولَيِّن. والسَّوْأَة: العورة والفاحشة.

التهذيب ١٣ / ١٣٠ ـ قال الليث: ساءَ يَسوء: فعل لازم ومجاوز، يقال ساء الشيء يَسوء فهو سـيِّئ: إذا قَبُح، والسُّـوء: الإسم الجامع للآفـات والداء. ويـقال ـ سُؤتُ وجهَ فلان، وأنا أسوؤه مَساءةً ومَسائية، والمَساية لغة في المَساءَة. أبو زيد: أساءَ الرجلُ إساءةً، وسَوّأتُ على الرَّجُل فِعلَه. وابن هانئ: المصدر السَّوْء، وإسم الفعل السُّوء. وقيل من السَّوْء من الذكر أسوأ، والأُنثى سَوْآء.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الحسن، وهو ما يكـون غـير

مستحسن في ذاته، سواء كان في عمل أو موضوع أو حكم أو أمر قلبيّ أو معنويّ أو غيرها.

والفرق بين السوء والقبح والضرّ والفساد:

أنّ الضرّ: يقابل النفع، ويكون فيما لا يعلم، وقد يكون حسناً مطلوباً.

والقبح: يلاحظ فيه جانب الصورة، في عمل أو قول أو موضوع.

والفساد: يقابل الصلاح، وهو اختلال في عمل أو رأي أو غيرهما.

فالسوء: يكون فيما يعلم، ولا يكون مطلوباً حسناً، وهو أعمّ من جهة الصورة وغيرها.

والسَّوء بالفتح مصدر كالغَسْل كما في ـ **دائرةُ السَّوْء، مَثلُ السَّوْء، إمرءَ سَوْء، قومَ سَوء، مطر السَّوْء، ظنَّ السَّوْء** ـ الإضافة بمعنى اللّام، فإنّ هذه الموضوعات في أنفسها ليست بأسواء، بل إنّها عوامل ووسائل للمَساءة، فالمطر مثلاً لا يكون سُوءاً بل يكون في مورد العذاب وبمقصدِ سوء، وهكذا القوم والظنّ والمثل وأمثالها.

والسُّوء بالضمّ: إسم مصدر كالغُسل، وهو ما يتحصّل ويتحقّق من المصدر، فيتّصف به حينئذ العمل والموضوع والحكم، كما في:

سُوءَ العَذاب، يأمُركُم بالسُّوء، وما عملت من سُوء، الجهر بالسُّوء، سُوء الدّار، سُوء أعمالهم، ويكشف السُّوء، ولا تَمسّوها بسُوء، مَن عَمِلَ منكُم سُوءاً، أرادَ بكُم سُوءاً.

فيراد في هذه الموارد العذاب والعمل والدار الأسواء، أي المتّصفة بكونها أسواءً.

وتقرب منه كلمة السَّيِّئة صفة على فَعيلة وجمعها السّيئات، كما في:

مَن كَسَبَ سَيِّئة، ومَنْ جاءَ بالسَّيِّئة، مَن عَمل سيّئة، وجَزاءُ سَيّئة سَيِّئةٌ مِثْلها، شَفاعة سيّئة، وإن تُصبهم سيّئة، يَعملون السيّئاتِ، فأصابَهم سيّئات ما عملوا، نُكفِّر عنكُم سيّئاتكم، واجتَرحوا السيّئات.

يراد كلّ ما ثبت له السَّوْء واتّصف بالمساءة، من أيّ موضوع أو عمل أو رأي.

ولمّا كان لفظ السَّيِّئة بصيغتها يدلّ على الاتّصاف بالثبوت: فهو أشدّ دلالة وآكد وأبلغ من لفظ السُّوء إسماً، فيستعمل كلّ منهما في مورد مناسب.

ومثله الأسوأ كالأسود، ومؤنّثه السَّوْآء كالسَّوْداء، كما في:

ليكفِّرَ اللهُ عَنهُم أسوأ الَّذي عَملوا - ٣٦ / ٣٥.

ولَنجزينَّهم أسوأ الّذي كانوا يَعملون - ٤١ / ٣٧.

لِيُبديَ لهما ما وُرِي من سَوْآتهما - ٧ / ٢٠.

ليُريَهما سَوْآتهما - ٧ / ٢٧.

ليُريَه كَيفَ يُواري سَوْأةَ أخيه - ٥ / ٣١.

والسَّوْآت جمع سَوْأة، والسَّوْأة على فَعلة لبناء المرّة، وهي كلّ ما لا تكون مستحسنة في عمل أو صفة أو تمايل وشهوة، ناشئة من قرب الشجرة.

ويدلّ على كون المادّة في مقابل مادّة الحسن، قوله تعالى:

ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السيّئة الحَسَنة، ويَسْتَعجلونَكَ بالسيّئة قبل الحَسَنة، ويَدْرءون بالحسنة السيّئة، إن أحسَنتُم أحسَنتُم لأنفسكُم وإن أسأتُم فَلها، إلاّ مَن ظلم ثمّ بدَّلَ حُسناً بعدَ سوءٍ.

ثمّ إنّ المادّة قد تستعمل متعدّية، كما في:

إن تُبدَ لَكُم تَسُؤْكُم، إن تَمْسَسْكُم حَسَنة تسُؤْهُم، سيئَتْ وجوهُ الَّذينَ كَفروا.

فمفهوم المساءة في هذه الموارد يتحقّق في ضمن معنى الإحزان، وهو ما يقابل السرور، والسرور وما يقابله مفهومان متعدّيان.

فالمَساءة مفهوم مطلق، ومن مصاديقه ما يقابل المَسرّة، وإذا استعملت في هذا المورد: تكون متعدّية.

والسَّوْء يتعدّى بالهمزة أو بالتضعيف، فيقال: أسَأتُه وسَوَّأته، أي جعلته سيّئاً أو أوجدت سوءاً ـ ومَن أساءَ فَعَلَيْها، وإن أسأتُم فَلَها، ثُمَّ كانَ عاقبةَ الَّذينَ أساؤُوا السُّوأىٰ أن كذّبوا.

* * *

سوح:

مصبا ـ ساحةُ الدارِ، الموضعُ المتّسع أمامها والجمع ساحات وساح، مثل ساعة وساعات وساع.

مقا ـ سوح: كلمة واحدة، يقال ساحةُ الدار، وجمعها ساحات.

لسا ـ الساحة: الناحية. وهي أيضاً فضاء يكون بين دُور الحَيّ. وساحةُ الدار: باحَتُها. والجمع ساحُ وسوح وساحات. قال الجوهريّ: مثل بَدَنة وبُدن. والتصغير سُوَيحة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الفضاء المتّسع أمام الدار متّصلاً بها، سواء كان محوّطاً بالحائط أم لا، وسواء كان في ملك صاحب الدار أم لا. ولم أر مشتقّاً من هذه الكلمة.

أفَبِعَذابنا يَسْتعجِلون فإذا نزَلَ بساحَتِهم فساءَ صَباحُ المُنذَرين ـ ٣٧ / ١٧٧.

قد عبّر في المورد بالساحة: فإنّها مشرِفة على الدار، والدار تحت استيلائها دائماً، وحياة الرجل وإدامة معاشه تحت وسع هذه المحوّطة، وهي فضاء للتنفّس وانطلاق المرء، ونزول العذاب عليها آخر وقت للهلاك، كنزول العدوّ عليها.

والتعبير بحرف الباء: يدلّ على الفعليّة والتصاق العذاب ووصوله.

والتعبير بساحتهم دون ساحة الدار لهم: إشارةً إلى أنّ نزول العذاب نزول إلى فضائهم من دون واسطة الدار، فيصيرون تحت إحاطة ذلك العذاب مغرَقين فيه ـ فساء صباحُهم.

هذا بالنسبة إلى التفسير الظاهريّ، وأمّا تطبيق الآية الكريمة على المعنى المعنويّ الحقيقيّ: فإنّ العذاب الموعود هو العذاب الأُخرويّ، وهو أخذة رابية شديدة ـ ثُمَّ في سِلسِلة ذَرْعها سَبعونَ ذِراعاً فاسلكوه ـ فإذا نزل بساحتهم وأحاطهم وختم على قلوبهم: فيصبحون على أشدّ إبتلاء ويصيرون إلى أسوأ حالات.

وهذا هو العذاب المستمرّ الّذي لا مفرّ منه، ويدوم إلى الأبد، وهو النازل بهم وبساحتهم ويحيط بهم، فساء صباحهم.

ويؤيّد هذا المعنى: التعبير بقوله: نزل بساحَتِهم، و ـ ساء صباحُهم ـ على ما أشرنا إلى خصوصيّاتها إجمالاً.

* * *

سود:

مصبا ـ السواد: لون معروف، يقال: سَوِدَ يَسود من باب تَعِب، فالذكر أسود، والأُنثى سَوداء، والجمع سُود، ويصغّر الأسود على أُسَيِّد على القياس، وعلى سُوَيْد أيضاً على غير قياس، ويسمّى تصغير الترخيم، وبه سُمّي. واسوَدّ الشيءُ، وسوّدته

بالسَّواد تسويداً، والسَّواد: العدد الكثير، والشاة تمشي في سواد وتأكل في سواد وتنظر في سواد: يراد بذلك سواد قوائمها وفمها وما حول عينيها. والعرب تسمِّي الأخضر أسود، لأنّه يُرى كذلك على بُعد، ومنه سَواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه. وكلّ شخص من إنسان وغيره يُسمّى سواداً، وجمعه أسوِدة مثل متاع وأمتِعة. وسَوادُ المسلمين: جماعتهم. واقتلوا الأسودين في الصَّلاة، يعني الحيّة والعقرب، والجمع الأساود. وساد يَسود سيادة، والإسم السودَد، وهو المجد والشرف، فهو سيِّد، والأُنثى سيِّدة، فقيل سيِّد العبد وسيِّدته، والجمع سادة وسادات، وسيِّد القوم رئيسهم وأكرمهم، والسيِّد: المالك. والأسودان: الماء والتمر.

مقا ـ سود: أصل واحد، وهو خلاف البياض في اللون، ثمّ يحمل عليه ويشتقّ منه. فالسَّواد في اللون معروف، وعند قوم أنّ كلّ شيء خالف البياض أيّ لون كان فهو في حيّز السَّواد، يقال اسودّ الشيء واسوادّ. وسواد كلّ شيء: شخصه. والسِّواد: السِّرار، يقال ساوَده مساوَدة وسِواداً: إذا سارّه، قال أبو عبيد: وهو من إدناء سوادك إلى سواده، وهو الشخص. والأساود جمع الأسود، وهي الحيّات. وأمّا السِّيادة: فقال قوم: السيِّد الحليم. وآخرون: لأنّه إنّما سمِّي سَيِّداً لأن الناس يلتجئون إلى سواده. ويقال فلان أسود من فلان أي أعلى سيادة منه. وسَواد القلب وسُوَيداؤه: حَبّته.

أسا ـ سادَ قومه يسودهم سُودَداً، وساوَدته فسُدته: غلبته في السُّودَد، وسَوّده قومُه، وهو سَيِّد مُسوَّد. وأسودت فلانة: وَلَدَتْ سُوداً. ومن المجاز: رأيت سَواداً وأسوِدة وأساوِد: شُخوصاً. ومنه: ساودته: ساررته. وخرجوا إلى سواد المدينة: وهو ما حولها من القرى والريف.

التهذيب ١٣/ ٣٠ ـ السَّواد: نقيض البياض. والسِّواد: السِّرار. قال الأصمعيّ: السِّواد: السِّرار ـ ساوَدته مُساوَدة وسِواداً: إذا ساررته. قال شَمِر: الأسود: أخبث

الحيّات وأعظمها وأمكرها. ويقال رأيت سَواد القوم: أي مُعظمهم، ومرّت بنا أسوِدات من الناس وأساوِدُ: أي جماعات، وسَوّدت الشيءَ: إذا غيّرت بياضه سَواداً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التشخّص مع التفوّق في مقابل أفراد أُخر، وهذا المفهوم أعمّ من أن يكون في أمر مادّيّ أو معنويّ، فالمعنويّ: كما في قوله تعالى:

يَومَ تَبيَضّ وُجوهٌ وتَسوَدُّ وُجوهٌ فأمّا الَّذينَ اسوَدَّتْ وُجوهُهم أكفرتُم - ٣ / ١٠٦.

تَرَى الَّذينَ كذَبوا عَلى اللهِ وُجوههم مُسوَدَّة أليسَ في جَهنَّم مَثوىً لِلمتكبِّرينَ - ٣٩ / ٦٠.

والمادّيّ كما في: يَتَبَيَّنَ لَكُم الخيطُ الأَبيضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ - ٢ / ١٨٧.

ومِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحُمرٌ مختلِف ألوانُها وغَرابيبُ سُود - ٣٥ / ٢٧.

وإذا بُشِّر أحدُهُم بالأُنثى ظَلَّ وجهُه مُسوَدّاً - ١٦ / ٥٨.

وأمّا التشخّص مع التفوّق: فهو في عالم الروحانيّة والمعنويّة إنّما يتحقّق بتحقّق الأنانيّة والتظاهر بالنفسانيّة والشخصيّة والتكبّر والتبختر، وهذا في مقابل الخشوع والتذلّل وحقيقة العبوديّة وتحقّق الفناء الكامل.

وكلّما ازداد الفناء يزداد نوراً وبهجة وضياء واستفاضة واستنارة، ويستعدّ في قبول الفيوضات الإلهيّة وانعكاس الأنوار الربّانيّة، وهذا هو لبّ التبيّض في الوجه وتحقّق عنوان الوجهة الإلهيّة فيه وتجلّي النور في الوجه.

وفي قبال هذا المعنى: بقاء الأنانيّة وظهور التشخّص والنفسانيّة: فيوجب حجاباً

واسوداداً، ويزيد ظلمة بعد ظلمة، ويزداد محروميّة ـ **وجوههم مسوَدّة**.

وأمّا في عالم المادّية الظاهريّة: فلَوْن البياض في عالم الألوان له صفاء وتجـرّد عن التلوّن والتشخّص والتظاهر، وإذا تحوّل إلى لون آخر وتلوّن بلون متشخّص غليظ: فهو السواد المطلق، إلى أن يصل إلى حدّ الاسوداد التامّ.

وعلى هذا يطلق الأسود على الأسمر والأخضر أيضاً، بل على كلّ لون غـير بياض. وهذا المعنى المطلق هو المراد في قوله تعالى ـ **من الخَيْط الأسود، ظَلَّ وجهُه مُسوَدّاً**.

وأمّا الاسوداد الظاهريّ في غير الألوان: فهو وجود تشخّص وتفوّق بالنسبة إلى أفراد أُخر، كالزوج بالنسبة إلى عائلته، والرئيس بالنسبة إلى المرؤوسين، وهكذا في أنواع أُخر من التشخّص والتفوّق، كما في: **وألفيا سيّدَها لَدى الباب، ومُـصَدِّقاً بكلمة من الله وسَيِّدا وحَصوراً، إنّا أطعنا سادَتنا وكبراءنا**.

فحقيقة السودَد والاسوداد باختلاف الموضوعات والعـوالم، ففي كـلّ مـورد بحسبه، كما أشرنا إليها.

وأمّا إطلاق السيادة على مجد وشرف ومقام معنويّ كما في الروايات والأدعية والزيارات: مفهوم مجازيّ.

* * *

سور:

مقا ـ سور: أصل واحد يدلّ على عُلوّ وارتفاع، من ذلك سار يَسور، إذا غضب وثار. وإنّ لِغضبه لَسَورةً، والسُّور جمع سُورة، وهي كلّ مَنزلةٍ من البناء. وأمّا سِوار المرأة، والإسوار من أساورة الفُرس وهم القادَة: فأراهما غير عربيّين. وسَورة الخمر:

حدّتها وغليانها.

مصبا ـ سار يَسور: إذا غضب، والسُّورة: إسم منه، والجمع سُورات. وقال الزبيدي: السَّوْرة: الحدّة، البطش. وسار الشراب يسور سَوْراً وسَوْرة: إذا أخذ الرأس، وسَوْرة الجوع والخمر: الحدّة أيضاً، ومنه المساورة وهي المواثبة. والسُّورة من القرآن جمعها سُوَر. وسور المدينة: البناء المحيط بها، والجمع أسوار.

مفر ـ السَّوْر: وثوب مع علوّ، ويستعمل في الغضب والشراب، وسِوار المرأة معرّب وأصله دِستوارِه، وكيفما كان فقد استعملته العرب واشتُقّ منه سوّرتُ الجاريةَ وجارية مسوّرة ومُخلخَلة.

أسا ـ سار عليه: وثب، وساوره، والحيّة تُساوِر الراكب، وله سَورة في الحرب، وتَسوّرتُ إليه الحائطَ، وسُرت إليه في أعالي السُّور، وكلب سَوّار: جَسور على الناس، وجلس على المِسوَرة وجلسوا على المَساوِر، وهي الوسائد، وهو سَوّار في الشراب: مُعربِد.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو هيجان مع اعتلاء وارتفاع، وهذا المعنى يختلف خصوصيةً باختلاف المصاديق.

يقال: سار غضبه إذا هاج وظهر واعتلى أثره. وسار الشراب إذا هاج أثره وظهر السكر وبرز. وسارت الحيّة إذا هاجت وحملت على شخص، وسار البناء إذا اعتلى وارتفعت مراتبه وطبقاته من دون انتظار.

وبهذه المناسبة يطلق السُّور على جدار عظيم وسدّ يمنع عن المخالف ويسدّ بين

المتجاوزين أو متجاوز، فالسُّــور مظهر هيجان وارتـفاع وعـلامة وثـوب وثـوران وغضب، وهو أعمّ من أن يكون سور بلد أو غيرها ـ كما قال تعالى:

فضُربَ بَينهم بسُور لَهُ بابٌ باطنه فيه الرَّحْمة ـ ٥٧ / ١٣.

أي يُضرب يوم القيامة بين المؤمنين والمنافقين بهذا السدّ للدفاع عن المنافقين وردّهم.

وبهذه المناسـبة أيضاً تسمّى سُوَر القـرآن كلّ واحدة منها بسـورة: فإنّ كلّ سورة منها كالسُّور يُسدّ به ويدفع به المخالفون، كما قال تعالى:

وإن كُنتُم في رَيْب ممّا نزَّلنا عَلى عَبْدنا فأتوا بسُورة مِن مِثله ـ ٢ / ٢٣.

قُل فأتوا بسُورة مِثلِه وادعُوا مَن استَطَعتُم ـ ١٠ / ٣٨.

فكلّ سورة سُور في الحقيقة بين المؤمنين والكافرين، وأسدّ عدّة معنويّة قطعيّة يدفع بها أيّ نوع من وساوس المخالفـين وتعرّضهـم، وهو مَظهر من هيجان الحـقّ واعتلائه وظهوره في قبال المعاندين.

وبهذا ظهر أنّ السورة من القرآن كلّ قطعة وطائفة من الآيات الكريمة تكون على هذه الصفة، وليست مخصوصة بما هو المشهور المعروف خارجاً، وإن كان هذا مصداقاً كاملاً له.

ويدلّ على هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: يَحذرُ المنافقونَ أن تُنزّلَ عَليهم سُورة تُنبّئهم بما في قلوبهم ـ ٩ / ٦٤.

وإذا أُنزلَتْ سُورة أن آمِنوا باللهِ وجاهِدوا مَعَ رَسولِه ـ ٩ / ٨٦ .

ويَقول الَّذينَ آمَـنوا لَولا نُزِّلَتْ سُـورةٌ فإذا أُنزِلَتْ سُورةٌ مُحكمةٌ وذُكِرَ فيها القِتالُ رأيتَ الَّذينَ ـ ٤٧ / ٢٠.

فإنّ وحشة المنافقين ودعاء المؤمنين ليست في نزول سورة كاملة تامّة، بل في سورة تتضمّن التنبيه على ما في قلوبهم وذِكرَ القتال فيها. وهكذا صدور حكم الإيمان مع الجهاد في سورة، فإنّ المراد طائفة من الآيات التي تحتوي على هذه الأُمور.

وعلى هذا المبنى: يلزم البحث عن وجود دليل قاطع يثبت وجوب قراءة سورة كاملة من القرآن في الصلاة بعد الحمد.

وأمّا عجز البشر عن الإتيان بسورة مثل القرآن: فإنّ القرآن مضافاً إلى محتوياته من المعارف العالية والحكم الجامعة والحقائق في كلّ جهة: قد نزّل على أحسن بيان وأفصح منطق وأكمل تأليف.

ومن وجوه إعجازه الّتي يبحث هذا الكتاب عنها: استعمال كلّ كلمة في معناها الحقيقيّة، وانتخاب أيّ كلمة مخصوصة بالمورد من بين الألفاظ المترادفة والمتشابهة، ورعاية صيغة مخصوصة من صيغ المادّة على مقتضى ما يستدعيه المورد، وتركيب الكلمات على أجمل نحو يذكر في علم الفصاحة.

وهذا ممّا لا يمكن للبشر أن يأتي به وإن بلغ من العلم إلى أقصاه، وقد أثبتنا هذا الموضوع إلى هنا من هذا الكتاب بتوفيقه وتأييده وتعليمه، ونرجو أن يوفّقنا في إتمام الكتاب بمنّه وجوده.

سُورة أنزلناها وفَرضناها وأنزلنا فيها آيات بيِّنات ـ ٢٤ / ١.

الظاهر أنّ المراد هو السورة الكاملة وهي سورة النور، وهكذا في قوله تعالى:

أم يقولون افتريه قُل فأتوا بعشر سُوَر مثلِه مُفتريات ـ ١١ / ١٣.

وأمّا كلمة سِوار والإسوار: فالظاهر كونهما معرّبتين من الفارسيّة. فالأُسوار معرّبة من أسْوار وسَوار بمعنى الفارِس في مقابل الراجِل. والسِّوار معرّبة من دَسْتْوار، بمعنى دست بند.

ويجمع السِّوار على أسوِرة وأساوِر، وقد يشتقّ منه انتزاعاً، فيقال: سَـوَّرها فتسوَّرت، أي جعل لها سِواراً فأخذته واختارته.

يُحلَّوْن فيها مِن أساوِرَ مِن ذَهَب ـ ١٨ / ٣١.

وحُلّوا أساوِر مِن فضَّةٍ ـ ٧٦ / ٢١.

فَلَوْلا أُلقِيَ عليه أسوِرَة مِن ذَهَب ـ ٤٣ / ٥٣.

التحلية هو التحسين بالزينة العرضيّة كالأساور، وغـيرها. والأسـاور جمـع أسورة.

والآية الأخيرة راجعة إلى موسى (ع) من جانب فرعون.

وأمّا تفسير الآيات الكريمة من جهة الروحانيّة: فالتحلية تكون إشارة إلى ما يتجسّم من بعض الأعمال الصالحة الّتي تتحلّى بها النفوس. والأساور: تكون إشارة إلى الموارد ومصادر الحِلي ومجاليها، وهي أيدي القدرة وسواعد المجـاهدة والعـمل. والذهب والفضّة: تكون إشارة إلى مقدار الخلوص وميزان الكيفيّة فيها ـ فإنَّ الله لا يُضيع أجرَ المحسنين.

وهَل أتاكَ نبأ الخصم إذ تَسوَّروا المحْرابَ إذ دخلوا على داود ـ ٣٨ / ٢١.

التسوّر تفعّل من السَّوْر، وقلنا إنّه الهيجان مع اعتلاء، فيكون المعنى اخـتيار الهيجان لاعتلاء وإظهاره بالرغبة في محلّ المحراب، فإنّ التخاصم يقتضي تلك الحالة ويستدعي اختيار تلك المواثبة.

وبهذا التوضيح في تفسير تلك الآيات الكريمة: يتّضح ما في التفاسير وكـتب اللغة من الوهن والاختلاف والخلاف. والله هو الهادي.

* * *

سوط :

صحا ـ السَّوط: الّذي يضرب به، والجمع أسواط وسِياط، وسُطته أسوطُه: إذا ضربته بالسَّوط ـ سَوْطَ عذاب ـ أي نصيب عذاب، ويقال شدّته، لأنّ العذاب قد يكون بالسَّوْط. والسَّوط أيضاً خلط الشيء بعضه ببعض، ومنه سمِّي المِسواط. وسوّطه أي خلطه وأكثَر ذلك، يقال سوَّط فلان أموره. قال أبو زيد: يقال أموالهم سَويطَة بينهم أي مختلطة.

مقا ـ سوط: أصل واحد يدلّ على مخالَطة الشيء الشيءَ يقال سُطت الشيءَ: خلطت بعضه ببعض، وسوَّط فلان أمره تسويطاً: إذا خلطه. ومن الباب السَّوْط، لأنّه يخالط الجِلدة، يقال سُطته بالسَّوْط: ضرَبته. وأمّا قولهم في تسمية النَّصيب سَوْطاً: فهو من هذا ـ فصَبَّ عليهم ربّك سَوْطَ عَذاب ـ أي نصيباً من العَذاب.

مفر ـ السَّوْط: الجلد المضفور الّذي يضرب به، وأصل السَّوْط: خلط الشيء بعضه ببعض، يقال سُطته وسوّطته، فالسَّوْطُ يُسمّى به لكونه مخلوط الطاقات بعضُها ببعض. وقوله تعالى ـ سَوْطَ عَذاب: تشبيهاً بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط، وقيل: إشارة إلى ما خُلِط لهم من أنواع العذاب المشار إليه بقوله ـ حَميماً وغسّاقاً.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو نوع من الخلط، فإنّ الخلط: هو تداخل أجزاء يتمايز كلّ منها عن الآخر أو لا يتمايز.

والمزج: تداخل أجزاء بحيث لا يتمايز كلّ منها عن الآخر، كما في المايعات.

والدخل: يقابله الخروج، وهو مطلق دخول مادّيّاً أو معنويّاً.

والورود: أوّل مرتبة من الدخول، وهو يقابل الصدور، أي الدنوّ منه.

والولوج: بعد الورود وقبل تحقّق الدخول الكامل، أي اللصوق به.

فيلاحظ في الورود والولوج والدخول: جهة الدخـول إلى شيء وفـيه، وفي الخلط والمزج والسَّوْط: جهة اختلاط، ولا نظر فيها إلى التداخل.

ويلاحظ في السَّوْط: اختلاط مع تمايز، أو تقارن واختلاط.

وأمّا السَّوْط الّذي يُضرب به فباعتبار كونه مضفوراً أي مفتولاً من أجلاد أو غيرها، وبلحاظ كونه يُضرب به الجِلد يسمّى جَلدة.

فأكثَروا فيها الفَسادَ فَصَبَّ عَلَيهم رَبُّكَ سَوْطَ عَذاب ـ ٨٩ / ١٢.

الفسـاد هو اختلال في النظم الطبيعي ونقض القوانين التكوينيّة والتـشريعيّة وهذا يناسب العذاب المختلط وانصباب الابتلاءات المتنوّعة.

ولم يعبّر بالمزج أو الخلط: ليكون مصرّحاً بالتنوّع، وأمّا التفسير بالجَلدة، أو الشدّة، أو النصيب، أو غيرها: ففي غير محلّه.

ثمّ إنّ الإضافة بمعنى ـ مِن، كما في: أفَمَن يتّقي بوَجْهه سُوءَ العَذاب، فأخذتهم صاعقةُ العَذاب الهَون.

❊ ❊ ❊

سوع:

مصبا ـ الساعة: الوقت من ليل أو نهار، والعرب تطلقها وتـريد بهـا الوقت والحين، وإن قلّ، وعلى قوله تعالى ـ لا يَستأخِرون ساعَة، والجمع ساعات. وسُواع وهو منقوص، وساع أيضاً.

مقا ـ سوع: يدلّ على استمرار الشيء ومضيّه، من ذلك الساعة، سمِّيت بذلك. يقال جاءنا بعد سَوع من اللّيل وسُواع، أي بعد هدء منه، وذلك أنّه شيء يمضي ويستمرّ. ومن ذلك قولهم عاملته مساوعة، كما يقال مياوَمة، وذلك من الساعة. ويقال أسعتُ الإبل إساعة، وذلك إذا أهملتها حتّى تمرّ على وجهها، وساعَتْ فهي تَسوع. ومنه يقال هو ضائع سائع، وناقة مِسياع، وهي الّتي تذهب في المَرعى.

صحا ـ الساعة: الوقت الحاضر، والجمع الساع والساعات، وساعة سَوْعاء أي شديدة، كما يقال لَيلة لَيْلاء. والساعة: القيامة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو زمان محدود، هذا إذا استعملت نكرة وأمّا إذا استعملت معرّفة فتكون إشارة إلى زمان محدود معيّن خارجاً، إمّا بالعهد السابق الخارجيّ، أو بجريان معهود.

فالنكرة كما في: لا يستأخِرونَ ساعَةً، يُوعَدون لم يَلبَثوا إلّا ساعةً مِن نهار، يُقسِم المُجرمون ما لَبِثوا غيرَ ساعَة. يراد زمان محدود.

والمعرفة المخصّصة بالنسبة كما في: اتّبعُوه في ساعَةِ العُسْرَة، ويَومَ نَحشرهم كأن لَم يَلْبَثوا إلّا ساعَةً مِن النَّهار ـ أي في زمان محدود كنتم في عسرة. ويظنّون أنّهم لم يلبثوا من نهارهم التي كانوا عليها إلّا زماناً محدوداً.

والمعرّف باللّام كما في: حتّى إذا جاءَتهم السّاعةُ بَغتةً، أو أتتكُم السّاعة، يَسألونَكَ عَنِ السّاعَة، وإنّ السّاعَةَ لآتية، وما أمرُ السّاعة ـ وقد ذكرت هذه الكلمة معرّفة باللّام في أربعين مورداً من القرآن الكريم، ويراد منها زمان محدود في مستقبل

أيّام من جريان حياة الناس.

وهذا الزمان هو مرحلة الموت والانقطاع عن التعلّقات الدنيويّة، وطرح قاطبة مراتب المادّة وقواها، والورود إلى عالم فوقها، والابتداء بحياة جديدة في عالم جديد لطيف، بأسباب وقوىً ووسائل مناسبة.

وفي هذا التحوّل العظيم: يتبدّل جميع ما للإنسان من العلائق الجسمانيّة، ويفنى جميع تمايلاته ومشتهياته المادّية، ويختتم أيّ نوع من اللذّات والعناوين والتملّك والقدرة والقوّة الدنيويّة.

وهذا تحوّل في طول حياة الإنسان، لا يتصوّر أعظم وأشدّ منه، وعلى هذا يستعمل لفظ الساعة عند الإطلاق في آيات الله العزيز: في قبال هذا المعنى، أي التحوّل العظيم وهو الموت، وهذا المعنى هو مورد البحث وفي معرض الترديد والشكّ والاعتراض لأهل الدنيا.

وكيف يُصَدّق ويعتقد بهذا المعنى: مَن لم يطّلع على مرتبة من مقامات الآخرة، ولم يشاهد أثراً من آثار منازل لما بعد الموت.

وكيف يمكن لإنسان مستغرق في الحياة الدنيا المادّيّة: أن يُذعن لتحوّل يَذهب بحواسّه وقواه وتمايلاته وشهواته، وأن يهدم ماله وملكه وسلطته وقدرته وشخصيّته وعنوانه، وأن يبعّد الأقربين والأدنين منه، وأن يجعله صِفر اليد فقيراً محتاجاً لا يملك شيئاً، وهو في ظلمات وابتلاءات.

يَسألونَكَ عَنِ السّاعَةِ أيّان مُرساها ـ ٧ / ١٨٧.

وَما أمر السّاعَةِ إلّا كَلمحِ البَصر أو هوَ أقرَب ـ ١٦ / ٧٧.

وَما أظنّ السّاعَةَ قائمَة ـ ١٨ / ٣٦.

بَل كذّبوا بالسّاعَة ـ ٢٥ / ١١.

ألا إنَّ الَّذينَ يُمارون في السّاعَة لَفي ضَلال ـ ٤٢ / ١٨.

وليس المراد من الساعة الّتي هي في معرض النفي والتكذيب: القيامة الكلّيّة العامّة، فإنّها ليست في مورد الابتلاء في الجريان لحياة الأشخاص، بل القيامة الشخصيّة ـ فإنّ مَن ماتَ فقد قامت قيامته.

وفي آيات الساعة: إشارات إلى خصوصيّاتها وآثارها ولوازمها:

١ ـ تأتي بغتةً: حتّى إذا جاءَتهُم السّاعَة بَغتة ـ ٦ / ٣١.

أو تأتيهم السّاعَة بغتةً وهُم لا يَشعرون ـ ١٢ / ١٠٧.

٢ ـ علمُها عند الله: إنَّ الله عندَه علمُ السّاعَة ـ ٣١ / ٣٤.

قُل إنَّما عِلمُها عندَ رَبّي ـ ٧ / ١٨٧.

وعِندَه علمُ السّاعَة وإليه ترجعون ـ ٤٣ / ٨٥ .

٣ ـ الحسرة: السّاعَة بغتةً قالوا يا حَسرتَنا عَلى ما فرّطنا ـ ٦ / ٣١.

٤ ـ التفرّق: ويَومَ تَقوم السّاعَةُ يومَئذٍ يَتفرّقون ـ ٣٠ / ١٤.

٥ ـ اليأس: ويَوم تقومُ السّاعَةُ يُبلِسُ المُجرمُون ـ ٣٠ / ١٢.

٦ ـ رؤية الجَزاء: إنَّ السّاعَة آتيَة أكادُ أُخفيها لتُجزىٰ كُلّ نَفس ـ ٢٠ / ١٥.

٧ ـ الخسارة: ويَومَ تَقومُ السّاعَة يَومئذٍ يَخسر المُبطِلون ـ ٤٥ / ٢٧.

٨ ـ الخوف منها: الَّذينَ يَخشوَن ... وهُم مِن السّاعَة مُشْفِقون ـ ٢١ / ٤٩.

٩ ـ زلزلتها عظيمة: إنّ زلزلَةَ السّاعَةِ شَيء عَظيم ـ ٢٢ / ١.

١٠ ـ نزولُ العذاب: واعتَدنا لمن كذَّبَ بالسّاعَة سَعيراً ـ ٢٥ / ١١.

ويَومَ تَقومُ السّاعَة أدخِلوا آل فرعَونَ أشدَّ العَذاب ـ ٤٠ / ٤٦.

هذه آثار تنطبق جميعها على الموت وتحوّل عالم المادّة، بظهور ما في السرّ ورفع الحجب الدنيويّة وشهود ما كان في الحياة من عمل وفكر وعروض التحسّر الشديد واليأس عن الخير والفلاح وتحقّق تزلزل واضطراب عظيم في الظواهر والبواطن والحالات تفرّق ما كان مجتمعاً.

فهذه آثار وخصوصيّات تظهر بمجرّد الموت، وتشاهد بعد التحوّل من دون تأخير وتمهّل، والساعة الّتي تقع مورداً للخلاف والإنكار: هي هذه البرهة من زمان بعد الموت والتحوّل، وأمّا نفس الموت بمعناه الظاهريّ ومن حيث هو: فأمر محسوس مسلّم ومشاهد لكلّ أحد، ولا يقبل الإنكار، وإنّما الخلاف في حالة واقعة بعد الموت ـ إنْ هيَ إلّا حَياتنا الدُّنيا نَموت ونَحيا وما نَحنُ بمبعوثين ـ ٢٣ / ٣٧.

ويدلّ على المعنى المذكور من الساعة: هذه الآيات الكريمة:

١ ـ حتّى إذا جاءَتهُم السّاعَة بغتةً قالوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فرَّطنا ـ فإنّ مجيئها بغتةً يصدق على الموت، وكذا تحسّرهم إنّما يتحقّق في أوّل مرتبة بعد التحوّل من الحياة الدنيا.

٢ ـ إن أتاكُم عَذابُ الله أو أتتكُم السّاعَةُ ـ فإتيان الساعة في عرض إتيان العذاب والابتلاء، وهما يحدثان في زمان حياتهم وفي طول كونهم مخاطبين.

٣ ـ وما أمْر السّاعَة إلّا كَلَمْحِ البَصر أو هوَ أقرَب ـ فإنّ الإنسان في جميع الآنات مستعدّ للموت، وأمّا القيامة الكبرى فليست كذلك.

٤ ـ الّذينَ يَخشَونَ رَبَّهم بالغَيْب وهُم من السّاعَة مُشفِقون ـ فإنّ الإشفاق

والخوف إنّما هو من جهة آثار أعماله السوء، وهذا إنّما يتحصّل بالموت، وهكذا سائر الآثار المذكورة المتحقّقة بتحوّل الحياة الدنيا إلى حياة أخرى.

٥ ـ وما أظنّ السّاعَة قائمَة ولَئن رُجعت إلى رَبِّي ـ يراد أوّل زمان يكـون في معرض مشاهدة ما له من الجزاء، وأوّل زمان يرجع إلى ربّه، وهذا إنّما يكون بالموت.

هذه الآيات الكريمة ونظائرها تنفي حملها على القيامة الكبرى والبعث والحشر العامّ، ولتحقيقها وتحقيق المعاد الجسمانيّ: موضع آخر.

فظهر أنّ الساعة معرّفةً تنصرف عند الإطلاق إلى المعنى المذكور إلّا إذا كانت قرينة مقاليّة أو حاليّة أو خارجيّة تعيّن المراد، من زمان محـدود معيّن له خصوصيّة وامتياز خاصّ على سائر الأزمنة، ولا سيّما في الروايات.

وأمّا سُواع: فهو إسم لصنم كان للعرب في الجاهليّة، وكأنّه مأخوذ من كلمة ـ شُووَع [ ] عبريّة، بمعنى النبيل والشريف.

* * *

سوغ:

مقا ـ أصل يدلّ على سهولة الشيء واستمراره في الحلق خاصّة، ثمّ يحمل على ذلك. يقال ساغ الشراب في الحلق سَوْغاً، وأساغه الله جلّ جلاله. ومن المشتقّ منه قولهم: أصاب فلان كذا فسوّغته أيّاه. وأمّا قولهم هذا سوغ هذا: أي مثله، فيجوز أن يكون من هذا، أي أنّه يجري مجراه ويستمرّ استمراره، ويجوز أن يكون السين مبدلة من صاد، كأنّه صيغ صياغته.

مصبا ـ ساغ يسوغ سَوْغاً من باب قال: سهـل مدخله في الحـلق، وأسـغته إساغة: جعلته سـائغاً، ويتعدّى بنفسه في لغة. وقوله تعالى: وَلا يَكاد يُسـيغه أي

يبتلعه، ومن هنا قيل ساغ فعل الشيء بمعنى الإباحة، ويتعدّى بالتضعيف، فيقال سَوّغته أي أبحته. والسِّواغ: ما يساغ به الفضّة. وأسغتها إساغةً: ابتلعتها بالسواغ.

لسا ـ وساغ الطعامُ سَوْغاً: نزل في الحلق. وأساغَه هو وساغَه يَسوغُه ويَسيغه سَوْغاً وسَيْغاً وأساغه الله إيّاه. ويقال أساغ فلان الطعام والشراب يُسيغه وسَوّغه ما أصاب: هنّأه، وقيل تركه له خالصاً. وسِغته أسيغه وسُغته أسوغه، يتعدّى ولا يتعدّى، والأجود أسغته إساغة يقال أسِغ لي غُصّتي أي أمهِلني ولا تُعجلني. والسِّواغ: ما أسغتَ به غصّتك، يقال سِواغ الغُصَص. وشراب سائغ وأسوَغ: عَذب. وطَعام أسوَغُ سَيِّغ: يسوغ في الحلق. وساغ له ما فعل أي جاز له ذلك، وأنا سَوّغته له أي جوّزته. وسَوْغ الرجل: الّذي يولد على أثره وإن لم يك أخاه، وسَوغُه أخوه لأبيه وأُمّه. وهذا سَيْغُ هذا: إذا كان على قَدره.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يجري موافقاً للميل والطبع. فمن ذلك الشراب السائغ: إذا كان وفق الذائقة وجهاز الهاضمة، وهكذا الطعام السائغ: إذا كان موافقاً وله جريان في جهاز الهاضمة، بأن يكون طعاماً رقيقاً. وعمل سائغ: إذا كان له جريان موافقاً للصلاح وعلى مقتضى الطبيعة الحقّة.

فالإباحة والتجويز والسهولة والاستمرار والإمهال وأشباهها: قد تكون من لوازم الأصل وآثاره.

والفرق بين السَّوْغ والصَّوْغ: أنّ الصوغ يلاحظ فيه جهة التقدير والاختلاق. وفي السوغ جهة الجريان على وفق الطبع.

نُسقيكُم ممّا في بُطونه مِن بَين فَرْث ودَم لَبناً خالصاً سائغاً للشّاربين ـ ١٦ / ٦٦.

خالصاً من دم وكثافة وكراهة، وموافقاً للطبع والذائقة، لا يشابه الدم والفرث في لون ولا في طعم ولا في جنس.

وَما يَستوي البحرانِ هذا عَذاب فُرات سائغ شرابُه وهذا مِلحٌ أُجاج ـ ٣٥ / ١٢.

العَذْب يقابل الملح. والفُرات يقابل الأُجاج، كالشجاع ولم يذكر ما يقابل السائغ، فإنّ الماء إذا كان ملحاً وأُجاجاً مرّاً: لم يكن سائغاً للشارب ولم يوافق الذائقة بل يستكرهه.

ويُسقىٰ مِن ماء صَديد يَتجرّعه وَلا يكاد يُسيغه ويأتيه الموت مِن كُلّ مَكان وَما هُوَ بمَيِّت ـ ١٤ / ١٧.

الصَّديد القيح الخارج من الجروح وهو الخارج من تجسّم التجبّر والتعنّد [وخابَ كلّ جَبّار عَنيد مِن وَرائِهِ جهنّم ويُسْق] فيشرب جرعة فجرعة، ولا يتمكّن من جعله سائغاً له، ويتهيّأ له الموت وتقبل عليه أسبابه وشدائده، وما هو بميّت ويبقى حيّاً.

هذا بحسب ظاهر الآية الكريمة ومن جهة المفاهيم المادّيّة.

وأمّا من جهة عالم فوق المادّة، قلنا إنّ التجبّر والتعنّد يتجسّمان متناسبين لتلك العالم، ويتظاهر منها ما يكون كثيفاً صديداً قيحاً ظلمانيّاً في عالمه.

والتغذّي منه والإنس به والتلوّن والتكيّف به وتجرّعه وتحمّله في غاية الشدّة والكلفة ونهاية الزحمة وهو العذاب الأليم.

وهذه حالة ليس فيها نور ولا حياة ولا سعة ولا روحانيّة ولا رحمة، وهم متوغّلون في آثار عالم المادّة، أحاطت بهم ظلمات الأنانيّة، وإنّهم في إدامة هذه الحالة كالأموات ـ وإنَّ الدّارَ الآخرَة لَهي الحَيَوان.

وهذا معنى قوله تعالى: ويأتيهِ الموتُ مِن كُلّ مَكانٍ وَما هُوَ بمَيِّت.

فظهر أنّ السَّوْغ يستعمل في المادّيّات والروحانيّات، وهو أعمّ منها.

❊ ❊ ❊

سوف:

مقا ـ سوف: ثلاثة أصول، أحدها ـ الشَّمّ، يقال سُفت الشيءَ أسوفه سَوْفاً، وأسفتُه. وذهب بعض أهل العلم إلى أنّ قولهم ـ بيننا وبينهم مسافة: من هذا. والأصل الثاني السُّواف: ذَهاب المال ومرضه، يقال أساف الرجل، إذا وقع في ماله السُّواف. وأمّا التأخير فالتسويف. يقال سوّفته إذا أخّرته.

مصبا ـ ساف الرجل الشيءَ يَسوفه سوفاً من باب قال: شمّه، ويقال إنّ المسافة من هذا، وذلك أنّ الدليل يسوف تراب الموضع الّذي ضلّ فيه، فإن استاف رائحة الأبوال والأبعار علم أنّه على جادّة الطريق، وإلّا فلا، وأصلها مَفعلة، والجمع مسافات. وسوف كلمة وعد، ومنه سوّفت به تسويفاً: إذا مطلته بوعد الوفاء، وأصله أن يقول مرّة بعد أخرى سوف أفعل.

مفر ـ سوف: حرف يخصّص أفعال المضارعة بالاستقبال ويُجرّدها عن معنى الحال، نحو سَوْفَ أستغفر لكم. ويقتضي معنى المماطلة والتأخير، واشتقّ منه التسويف اعتباراً بقول الواعد سوف أفعل كذا.

معاني الحروف ١٠٩ ـ سَوْفَ: من الحروف الهَوامِل، وهي عِدَة وتنفيس،

ومبنيّة على الفتح، وفتحه كراهية الخروج من الواو إلى الكسر، مع كثرة الاستعمال، ولم تعمل وهي مختصّة بالفعل، لأنّها صارت كأحد أجزائه بمنزلة لام المعرفة في الأسماء، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ولَسَوفَ يُعطيكَ ـ وهذه اللّام إنّما تدخل على الإسم والفعل المضارع، فلولا أنّ سَوْفَ صارت كأحد حروف الفعل لما جاز أن تدخل عليها اللّام. وقد حكي ـ سو أقومُ، وهو من الشاذّ الّذي لا يؤخذ به.

مغني اللبيب ـ سوف: مرادفة للسين أو أوسع منها على الخلاف، وكان القائل بذلك نظراً إلى أنّ كثرة الحروف تدلّ على كثرة المعنى، وليس بمطّرد. ويقال فيها سَفْ وسَوْ وسَيْ مبالغة للتخفيف، وتنفرد عن السين بدخول اللّام عليها ـ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ.

صحا ـ سُفتُ الشيءَ أسوفه، إذا شَمِمتَه، والاستياف: الاشتمام، والمسافة: البُعد، وأصلها من الشمّ، وكان الدليل إذا كان في فلاة أخذ التراب فشمّه ليعلم أهو على قصد أم على جور، ثمّ كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتّى سمّوا البعد مسافة. والسَّواف: مرض المال وهلاكه، يقال وقع في المال سَواف أي موت. وأنّ الأصمعيّ يقول السُّواف، ويقول الأدواء كلّها تجيء بالضمّ نحو النُّحاز والدُّكاع والقُلاب والجُمال. قال سيبويه: سَوْف كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد، ألا ترى أنّك تقول سوّفته إذا قلت له مرّة بعد مرّة سوف أفعل، ولا يُفصل بينها وبين يفعل.

قع ـ ، (سوف، ساف) ـ فني، زال، إنتهى، إنقرض.

(سوف) نهاية، ختام، آخر، طرف، حدّ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الانتهاء والتأخّر، وبهذه المناسبة تطلق

على المرض الشديد، والموت، والانتهاء في ذهاب المال، والتأخير، والمماطلة.

وأمّا الشمّ: فكأنّ النظر فيه إلى التحقيق والتفتيش عن الانتهاء في أيّ جهة، في سير أو كمال أو بلوغ إلى حدّ أو رائحة.

والمَسافة: يراد منها محلّ انتهاء الامتداد المنظور.

وأمّا سَوْفَ: فمأخوذ من هذه المادّة، ويلاحظ فيه معنى التأخير والانتهاء بالمعنى الحرفيّ، فيدلّ على تأخير في المضارع، لا مطلقاً.

ويؤخذ منه كلمات ـ سَو، سَيْ، سَفْ، سَ ـ مخفّفة.

وهذا المعنى ليس باشتقاق اصطلاحيّ متداول، بل تَجانسٌ وتقارب في الموادّ، يوجب اشتراكاً في المفهوم والأصل.

ولا يخفى أنّ موادّ السود والسور والسوغ والسوف: تدلّ على انتهاء واعتلاء، كما أنّ السَّيل والسَّيع والسَّيف والسَّير والسَّيح والسَّيب والسَّوك والسَّوع تدلّ على جريان وحركة.

فَسَوْفَ يأتي الله بقَوم يُحبّهم، سَوفَ تَعلمونَ مَن يأتيه عَذاب، كَلّا سَوفَ تَعلَمون، وأبصِر فَسَوفَ يُبصرون.

وهذه الكلمة إنّما استعملت في موارد ـ موضوع متأخّر، عمل مستقبل، جزاء يُجزى بعد، علم يحصل من بعد، وهكذا.

ومن الموارد الّتي تستعمل كلمة سوف: فيما لا يمكن تحقّقه ووقوعه وجريانه في الحياة الدنيا وفي عالم المادّة المحفوفة بالحدود والابتلاءات، والمربوطة بالقوى الجسمانيّة والانفعالات، كالأجر العظيم وتحقّق الرضوان الكامل واللقاء التامّ لمن يعمل صالحاً ويبتغي مرضاة ربّه:

وَسَوْفَ يُؤتِ الله المؤمنين أجراً عَظيماً ـ ٤ / ١٤٦.

وَمَن يَفعَلْ ذلِكَ ابتغاءَ مَرْضاتِ الله فَسَوفَ نؤتيهِ أجْرَاً عَظيماً ـ ٤ / ١١٤.

وَلَسَوْفَ يُعطيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى ـ ٩٣ / ٥.

وكالعلم بحقيقة الأحوال والأعمال، والاطّلاع على السرائر، ورؤية حقائق الآثار ونتائج الأفعال لمن احتجب في هذه الدار الظلمانيّة واستغرق في بحر التمايلات النفسانيّة والصفات الحيوانيّة:

ألهاكُم التّكاثُر حَتّى زُرتُم المقابِر كَلّا سَوْفَ تَعلَمون ـ ١٠٢ / ٣.

وأبصِر فَسَوفَ يُبصرون ـ ٣٧ / ١٧٩.

ذَرْهُم يأكلوا وَيَتمتَّعوا ويُلهِهُم الأَملُ فَسَوفَ يَعلمون ـ ١٥ / ٣.

* * *

سوق:

مقا ـ سوق: أصل واحد، وهو حَدْو الشيء، يقال ساقه يسوقه سَوْقاً. والسَّيِّقة: ما استيق من الدّواب. ويقال سُقت إلى امرأتي صداقها، وأسقتُه. والسُّوق: مشتقّة من هذا، لما يُساق إليها من كلّ شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنّما سمِّيت بذلك لأنّ الماشي ينساق عليها. ويقال إمرأة سَوْقاء، ورجل أسوق: إذا كان عظيم الساق.

مصبا ـ سُقت الدابّة أسُوقها سَوْقاً، والمفعول مَسوق، وساق الصداقَ إلى امرأته: حمله إليها، وأساقه: لغة. وساق نفسَه وهو في السياق أي في النزاع. والساق من الأعضاء: أُنثى وهو ما بين الركبة والقدم، وتصغيرها سُوَيقة. والسُّوق: يذكّر

ويؤنّث، والنسبة إليها سُوقيّ على لفظها. وقولهم رجل سُوقة: ليس المراد أنّه من أهل الأسواق كما تظنّه العامّة، بل السُّوقة عند العرب خلاف الملك، وتطلق على الواحد والمثنّى والمجموع، وربّما جمعت على سوق مثل غُرفة وغرف. والسَّويق ما يُعمل من الحنطة والشعير معروف.

مفر ـ سَوْق الإبل: جَلبها وطردها. والسيقة: ما يُساق من الدّواب. وسُقت المَهْر إلى المرأة، وذلك أنّ مهورهم كانت الإبل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو حثّ على سير من خلف، في ظاهر أو معنى. وسبق في السحب أن الجلب هو السير به بالقهر ـ راجعه.

فالسَوْق في الظاهر، كما في: فتثير سَحاباً فسُقناه إلى بلد ميّت ـ ٣٥ / ٩.

والسوق المعنويّ، كما في: إلى ربّك يَومئذٍ المَساق ـ ٧٥ / ٣٠.

والسوق في ما وراء المادّة، كما في: وسيقَ الّذينَ كَفَروا إلى جَهَنَّم ـ ٣٩ / ٧١.

وسيقَ الّذينَ اتّقوا ربّهم إلى الجَنَّة ـ ٣٩ / ٧٣.

فكما أنّ السحاب يُساق إلى بلد ميّت، لحفظ النظم وتتميم اللطف والفضل: كذلك يُساق الكافر إلى جهنّم، ويساق المؤمن إلى الجنّة، حفظاً للنظم وإجراءً للعدل وإعطاءً لما تقتضيه الطبايع وتطلبه النفوس من لوازم الضلال والهداية ـ أيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُترك سُدى، فَمَن يَعمل مِثقالَ ذَرَّة خَيْراً يَرَه.

وجاءَت كُلّ نَفس مَعها سائقٌ وشَهيد ـ ٥٠ / ٢١.

يَومَ يُكشفُ عَن ساق ويُدعَوْنَ إلى السُّجود فَلا يَسْتَطيعون ـ ٦٨ / ٤٢.

وهذان الأمران لإتمام الحجّة عليهم، فإنّ كلّ سائق معه شاهد يشهد بالعلم الشهوديّ الحضوريّ على ما في ظاهره وباطنه، ويرى ما في حاله ومضيّه.

مضافاً إلى هذا الشاهد: فيُدعى إلى السجود لله تعالى، ولا تستطيع نفسه ولا تتمكّن في العمل بهذا الأمر، فإنّه من المستكبرين الغافلين.

فتتمّ الحجّة بذلك من نفسه عليه.

وأمّا كشف الساق: فيراد كشف الحجب والأستار عن حقيقة الساق.

وأمّا الساق: فهو ما به الانسياق والسير من عضو القدم، ظاهريّاً أو معنويّاً وهو ما به يتحقّق السير إلى هداية أو ضلالة. وهذا المفهوم يدلّ عليه حرف الألف المبدل من الواو للتخفيف، فيدلّ الساق على ظهور السوق وما به يتحقّق.

فيشاهد باطن انسياقه وحقيقة ساقه الّذي كان مظهر الانسياق والسير، ويعرف مسيره ويتعيّن مسلكه المخالف للسجود والعبوديّة.

وَظَنَّ أنَّه الفِراق والتفّت السّاقُ بالسّاقِ إلى ربِّكَ يَوْمئذٍ المَساق ـ ٧٥ / ٣٠.

قلنا أنّ الساق ما به يُساق، وينساق السائر، وهو في السلوك إلى الدنيا من جهة المعنى هو الحبّ للدنيا والعلاقة لحياتها، وإلى الآخرة هو الشوق والحبّ للحياة الآخرة، وهذان الشوقان هما قدما السلوك ووسيلتا السعادة والشقاوة ـ حُبُّ الدُّنيا رأس كلّ خطيئة.

فالمحتضر لمّا يظنّ ويدرك آثار الفراق من الحياة الدنيا، ويدرك أيضاً آثاراً من عالم الآخرة وبعد الموت: فتلتفّ حينئذ الساقان ويتنازع الشوقان وتتداخل العلاقتان، ولكنّ المساق إلى الله وإلى جانبه قهراً.

فظهر أنّ السَّوْق باقتضاء الساق وعلى وفق مسيره وجريانه الباطنيّ الواقعيّ ـ يَومَ يُكشفُ عَن ساق ويُدْعَوْنَ إلى السُّجود فَلا يَسْتَطيعون.

وأمّا السُّوق: فالظاهر أنّه في الأصل إسم مصدر من السَّوْق كالغُسل من الغَسْل، ثمّ يطلق على كلّ محلّ معدّ لأن يُساق إليه ما يحتاج إليه الناس من أيّ جنس وينساق إليه الناس لبيع أو شراء.

وقالوا ما لِهٰذا الرَّسولِ يأكُلُ الطَّعامَ ويَمشي في الأَسْواق ـ ٢٥ / ٧.

يريدون أنّ الرسول كأحد منّا، ولا فرق بينه وبيننا، وهو يتغذّى كما نتغذّى، ويمشي إلى الأسواق لأخذ ما يحتاج إليه كسائر الناس.

كَزَرعٍ أخرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ فاستَغْلَظَ فاستَوى عَلى سُوقه ـ ٤٨ / ٢٩.

السُّوق جمع ساق. والشَّطْء: ما يتفرّع ويثبت من الزرع. والزرع: جريان طرح البذر في الأرض. والاستواء: يراد استقامته على أصله.

والتعبير بالسُّوق: فإنّ المحصولات للزرع كالسنابل وغيرها، تساق في غالب الأوقات بسُوقها.

رُدُّوها عَليَّ فطفِقَ مَسْحاً بالسُّوق والأعناق ـ ٣٨ / ٣٣.

قال سليمان (ع) ردّوا الصافنات الجياد عليّ، فأخذ أن يمسح بسوقها وأعناقها حبّاً لها وتعلّقاً بها، وكان حبّها حبّ خير لا للدّنيا.

* * *

سول:

مصبا ـ سوّلتُ له الشيء: زيّنته.

مقا ـ سول: أصل يدلّ على استرخاء في شيء، يقال سَوِل ـ يَسْوَل سَـوَلاً. فأمّا قولهم ـ سوَّلتُ له الشيءَ إذا زيّنته له: فممكن أن تكون أعطيته سُؤلَه، على أن تكون الهمزة مُليَّنة، من السؤل.

التهذيب ١٣ / ٦٦ ـ رجل أسـوَل، وامرأة سَـوْلاء: إذا كان فيهما اسـترخاء، والأسوَل من السَّحاب: الّذي في أسفله استرخاء وهِدَبه إسـبال، وقد سَول يَسْـوَل سَوَلاً. والتسويل تفعيل، وكأنّه من سُول الإنسان وهو اُمنيّته الّتي يـتمنّاها فـتزيّن لطالبها الباطل والغرور. وأصل السؤال مهموز غير أنّ العرب استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فخفّفوا الهمزة، والدليل على أنّ الأصل فيه الهـمز قـراءة ـ قَد اُوتيتَ سؤلك يا مُوسى ـ أي اُمنيّتك الّتي سألتها.

صحا ـ سوَّلَتْ له نفسه أمراً أي زيّنَتْه. والسَّوْل: استرخاءُ ما تحت السُّرّة من البطن. وسَحاب أسول: بيّن السَّوَل مُسترخ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو استرخاء مع غرور. فيقال رجل أسول إذا كان مسترخياً مع غرور فيه، بأن يتزيّن في نفسـه. وسحاب أسول إذا كان فيه استرخاء وفيه إسبال وتظاهر بالإمطار.

والتسويل: جعل شيء سَوَلاً، أي خارجاً عن حقّه واستحكامه، وجعله رخواً مع التزيّن والتظاهر والحُسن.

ويدلّ على هذا المعنى: ما في اللِّسان من قوله ـ التسويل: تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يَقوله. وكأنّ التسويل من سُول الإنسان وهو اُمنيّته أن

يتمنّاها فتزيّن لطالبها الباطل وغيره من غرور الدنيـا. فصرّح بأنّه تحسين وتزيين وتحبيب من غرور.

فقبضتُ قبضةً مِن أثَر الرَّسول فنَبَذتُها وكذلكَ سَوَّلَتْ لي نَفسي - ٢٠ / ٩٦.

قالَ بَل سَوَّلَتْ لَكُم أنفُسكُم أمراً فَصَبرٌ جميلٌ - ١٢ / ٨٣ .

إنَّ الَّذينَ ارتدّوا عَلى أدبارِهم ... الشَّيطانُ سَوّلَ لَهُم - ٤٧ / ٢٥.

فيلاحظُ في كلمة التسويل تحويل أمر على خلاف ما هو عليه، وتحسينه وتحبيبه، وكونه عن غرور وغفلة عن الحقّ، متعلّقاً بخلافه.

ثمّ إنّ المُسوِّل إمّا الشيطان أو جنوده من نفس خدّاعة مكّارة أمّارة بالسوء وهو يحسّنه ويحبّبه، فيكون المسوَّل له منحرفاً عن الحقّ.

فظهر من الآيات الكريمة: أنّ كثيراً من الجنايات والانحرافات الشـديدة إنّما يتحقّق في الخارج بالتسويل من شيطان أو نفس، وقلنا إنّ مبدأ التسويل وحقيقته إنّما هو استرخاء الأمر واستصغاره مع وجود غرور.

* * *

سوم :

مصبا ـ سامت الماشية سَوماً من باب قال: رعت بنفسها، فـيتعدّى بـالهمزة فيقال أسامها راعيها. قال ابن خالويه ولم يستعمل إسم مفعول من الرّباعيّ بل جعل نسياً منسيّاً، ويقال أسامها فهي سائمة والجمع سوائم. وسام البائع السلعة سوماً من باب قال أيضاً: عرضها للبيع، وسامها المشتري واستامها: طلب بيعها، ومنه لا يسوم أحدكم على سوم أخيه أي لا يشتر، ويجوز حمله على البائع أيضاً، وقد تزاد الباء في المفعول فيقال سمت به. والتساوم بين اثنين أن يعرض البائع السلعة بثمن ويـطلبها

صاحبها بثمن دون الأوّل. وساومته سِواماً، وتساومنا واستام على السلعة أي استام على سومي. والخَيل المسوَّمة: المرسلة وعليها ركبانها، والمرعيّة، والمعلّمة.

مقا ـ سوم: أصل يدلّ على طلب الشيء. يقال سُمت الشيء أسومه سَوْماً، ومنه السوم في الشراء والبيع، ومن الباب سامت الراعية تَسوم، وأسمتها أنا ـ فيه تُسيمون ـ أي تُرعون. ويقال سوّمت فلاناً في مالي تسويماً، إذا حكّمته في مالك. وسوّمتُ غلامي: خلّيته وما يُريد. والخَيْل المُسوَّمة: المرسلة وعليها رُكبانها. وأصل ذلك كلّه واحد. وممّا شذّ عن الباب السُّومة وهي العلامة تجعل في الشيء، والسِّيما مقصور من ذلك، فإذا مدّوه قالوا السيماء.

مفر ـ السَّوْم: أصله الذَّهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظ لمعنى مركّب من الذَّهاب والابتغاء، وأجري مجرى الذهاب في قولهم سامت الإبل فهي سائمة، ومجرى الابتغاء في قولهم سُمت كذا ـ يَسومونَكُم سوءَ العَذاب، ومنه السَّوْم في البيع، فقيل صاحب السِّلعة أحقّ بالسَّوْم.

التهذيب ١٣ / ١١٠ ـ السَّوْم: عرض السِلعة على البيع. وفلان غالي السِّيمة: إذا كان يُغلي السَّوْم. والسَّوْم في ـ يَسومونَكُم سُوءَ العَذاب ـ يُولونكم سوء العذاب، وقال شمر: أرادوهم به، وقيل عرضوا عليهم. وقال الأصمعيّ: السَّوْم: سرعة المَرّ، يقال سامت الناقة. ويقال سامت الراعية تسوم إذا رعَتْ. والسَّوام: كلّ ما رَعى من المال في الفلوات إذا خُلّي وسَوْمَه يرعى حيث شاء، والسائم: الذاهب على وجهه حيث شاء. وقال الليث: سَوّم فلان فرسه: إذا أعلم عليه بحريرة أو بشيء يُعرف به. والسِّيما: ياؤها في الأصل واو، وهي العلامة الّتي يعرف بها الخير والشرّ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو عرض شيء وجعل شيء في مَعرض لشيء آخر. ومن مصاديقه: العرض للمبيع على المعاملة. والعرض للثمن عليها من جانب المشتري. وعرض الدابّة نفسها على المَرعى في مقابل المعلوفة وهي الّتي لاتخرج إلى المَرعى وتُعلَف. وعرض المارّ نفسه في سرعة مروره إذا لم يتوقّف. وعرض شخص على بلاء وعذاب.

وإذ تأذَّنَ رَبّك لَيَبْعثنَّ عَلَيْهِم إلى يَوم القيامَة مَن يَسومُهم سُوءَ العَذاب ـ ٧ / ١٦٧.

وإذأنجيناكُم مِن آل فِرعَون يَسومونكُم سوءَ العَذاب يُذَبِّحون أبناءكُم ـ ٢ / ٤٩.

أي يجعلون بني إسرائيل في معرض سوء العذاب، ولَيبعثُ مَن يجعلهم في معرض العذاب، يقال سُمتُ فلاناً سِلعتي سَوْماً: إذا قلتَ: أتأخذها بكذا من الثمن ـكما في التهذيب.

فالمناسب أن يكون الضمير مفعولاً ثانياً، والسوء مفعولاً أوّلاً، كما في المثال المذكور، فيكون السوء مَعرضاً كالسِّلعة.

والمعنى كون العذاب في مَرأى ومَنظر منهم دائماً، لا يأمنون من نزوله عليهم، وهم مضطربون متوحّشون في جمع أيّامهم.

هوَ الَّذي أنزَلَ مِنَ السَّماء ماءً لَكُم مِنهُ شَراب ومِنهُ شَجَر فيه تُسيمون ـ ١٦ / ١٠.

الإسامة جعل شيء سائماً، كجعل الماشية سائمة في الشجر، أي راعيةً في المَرعى

والمَعلف، وبهذا يتحقّق تأمين حياة الحيوان.

يُمدِدكُم ربّكُم بخَمسةِ آلافٍ مِنَ الملائكَةِ مُسَوِّمين ـ ٣ / ١٢٥.

التسويم جعل شيء سائماً وفي معرض شيء آخر، والنظر في التفعيل إلى جهة الوقوع، والمعنى تجعل الملائكة جنودَ المسلمين يسومون الكفّار بإلقاء الرعب في قلوبهم من المسلمين، أو كون التفعيل للمبالغة وبمعنى السوم، أي يسومون الكفّارَ في وحشة واضطراب بإلقاء الرعب في قلوبهم وعرض العظمة والقدرة والسطوة والقوّة عليهم.

وهذا المعنى يناسب ما في شأن الملائكة من الإلقاء والنفوذ والتصرّف المعنويّ في القلوب، وهذا يوافق العرض منهم.

زُيِّن للنّاس حُبّ الشَّهوات ... مِنَ الذَّهَب والفِضَّة والخَيْل المُسوَّمةِ ـ ٣/ ١٤.

أي ما كان من الأنعام متشخِّصاً متكبِّراً وفي معرض الأنظار، يباهى بها ويفتخر بعرضها وتجعل في معرض.

وأمطَرنا عليها حِجارَةً مِن سِجّيل مَنضود، مُسوَّمَةً عِندَ رَبّك ـ ١١ / ٨٣ .

أي حجارة واقعة في مقام العرض، وهي إبراز عذاب وإظهار أخذ من عزيز مقتدر، فهذه الحجارة النازلة بها يتحقّق عرض القهر والعذاب عند الله تعالى، فهذا العرض إنّما هو ظاهر في مقام الحقّ ومن الحقّ وبالحقّ.

يُعرَفُ المجرمونَ بِسيماهُم ـ ٥٥ / ٤١.

سِيماهُم في وجوهِهم مِن أثَرِ السُّجود ـ ٤٨ / ٢٩.

وَعلى الأعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفونَ كُلّاً بسيماهُم ـ ٧ / ٤٦.

السِّيما: لغة في سِومة على فِعلة للنوع، بمعنى نوع من العَرْض المطلق طبيعيّاً

أو إراديّاً، والمراد هنا ظهور صفات الباطن وتجلّي مراتب القلب من النور والظلمة في الوجوه طبيعيّاً.

وهذه المعرفة بالسيما: تختلف كيفاً باختلاف القوّة والحدّة والنفوذ في البصيرة والنورانيّة، إلى أن يصل إلى مقام رجال يعرفون كلّاً بسيماهم.

فالسيما هو عَرْض طبيعيّ من جانب الباطن في الظاهر.

فظهر أنّ الأصل في جميع موارد استعمال المادّة: هو العرض وإبراز ما في القلب أو الباطن طبيعيّاً أو إراديّاً في أمر مادّيّ أو معنويّ.

* * *

سوى :

مقا ـ سوى: أصل يدلّ على استقامة واعتدال بين شيئين. قال هذا لا يساوي كذا، أي لا يعادله. وفلان وفلان على سَوِيّة من هذا الأمر، أي سواء. ومكان سُوىً، أي مَعْلَم قد علم القوم الدخول فيه والخروج منه. ويقال أسوَى الرجلُ، إذا كان خَلَفه وولده سَويّاً. وعن الكسائيّ: يقال كيف أمسيتم؟ فيقال: مُستَوون صالحون. يُريدون ـ أولادُنا وماشيتنا سَويّة صالحة. ومن الباب: السِّيّ: الفضاء من الأرض. والسِّيّ: المثل، وقولهم سِيّانِ أي مِثلان، ومن ذلك قولهم ـ لا سيّما، أي لا مثل ما. كما يُقال ولا سَواء. ومن الباب السَّواء: وسط الدار وغيرها، وسمِّي بذلك لاستوائه. وأمّا قولهم: هذا سِوى ذلك، أي غيرُه: فهو من الباب، لأنّه إذا كانَ سِواه فهما كلّ واحد منهما في حَيّزه على سَواء، والدليل على ذلك مدُّهم السِّواء بمعنى سِوى. ويقال قصدتُ سِوى فلان: كما يقال قصدتُ قَصدَه.

مصبا ـ ساواه مساواة: ماثله وعادله قدراً أو قيمة. ومنه قولهم هذا يساوي

دِرهماً، أي تعادل قيمته درهماً، وفي لغة قليلة: سَوِيَ درهماً يَسْواه من باب تعب، ومنعها أبو زيد فقال: يقال يساويه ولا يقال يسواه. واستوى الطعام أي نضج، واستوى القوم في المال: إذا لم يفضل منهم أحد على غيره. وتساووا فيه وهم فيه سواء. واستوى جالساً واستوى على الفرس: استقرّ، واستوى المكان اعتدل.

صحا ـ السَّواء: العَدْل. وسَواء الشيء: وسطه. وسَواء الشيء: غيره. قال الأخفش: سوى إذا كان بمعنى غير أو بمعنى العدل تكون فيه ثلاث لغات: إن ضَممت السين أو كسرت قَصَرْت فيهما جميعاً، وإن فتحتَ مددتَ، تقول مكان سِوىً وسُوىً وسَواء أي عدل ووسط، ومررت برجل سِواك وسُواك وسَواءَك أي غيرك.

مفر ـ المُساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن والكيل، وقد يُعتبر بالكيفيّة. واستَوى: يقال على وجهين: أحدهما ـ يُسند إليه فاعلانِ فصاعداً نحو استوى زيد وعمرو. والثاني ـ لاعتدال الشيء في ذاته نحو فإذا استويتَ أنت. ومتى عُدِّي بعَلى: اقتضى معنى الاستيلاء ـ على العرش استوى. وإذا عُدّي بإلى: اقتضى معنى الانتهاء إليه إمّا بالذات أو بالتدبير. وتسوية الشيء: إمّا في الرفعة أو في الضعة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التوسّط مع الاعتدال، فكلا المفهومان مأخوذان في الأصل معاً، وهذا ينطبق على جميع موارد استعمالها مجرّداً ومزيداً، مضافاً إليه خصوصيّة الصيغة.

فالسَّواء إسم مصدر يلاحظ فيه التوسّط مع الاعتدال من حيث هو ومن دون نظر إلى نسبة الحدث، وهو المتحصّل من المصدر.

سَواءٌ عَلَيهِم أأنذرتهم أم لَمْ تُنذرهُم لا يؤمِنون ـ ٣٦ / ١٠.

سَواءٌ مِنكُم مَن أسرَّ القولَ ومَن جَهرَ بهِ ـ ١٣ / ١٠.

تَعالوا إلى كَلمةٍ سواء بَيننا وبَينكُم ـ ٣ / ٦٤.

يراد المرتبة المتوسِّطة والحـدّ الوسـط من الكفر الّذي كانوا عليـه، من دون حصول تفاوت في طريقتهم، ومن دون تمايل إلى اليمين والشمال بإنذار أو تركه، فهم ثابتون في كفرهم.

وأنّ الله تعالى محيط وعالم بما في سرّكم وجهركم ويَشهد ما في قلوبكم، والجهر في القول أو الإخفات فيه لا يخرجه عن حدّ التوسّط والإعتدال في علمه.

ويا أهل الكتاب تعالوا نتوافق في مرتبة متوسّطة معتدلة ـ ألّا نَعبُدُ إلّا اللهَ وَلا نُشرِك بهِ شَيئاً ولا يتَّخِذ بعضنا بعضاً أرباباً.

هذه الآيات الكريمة في المعنويّات.

وأمّا المتوسّط في المادّيّات المحسوسـة: فكما في ـ وإمّا تخافنّ مِن قَوْمٍ خِيانة فانبِذْ إليهم عَلى سَواء ـ ٨ / ٥٨.

والمَسْجِدِ الحَرام الَّذي جَعَلناه لِلنّاسِ سَواءً العاكفُ فيه والبادِ ـ ٢٢ / ٢٥.

أي فاطرح إليهم معونتهم ونصرتهم وتعهّدهم وتوافقهم، وكن على سَـواء في وفاقهم وخلافهم، وجهادهم وقعودهم، وأنّ العاكف والباد يستويان فيه.

فَقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبيل، وَأضَلَّ عَن سَواء السَّبيل، واهدِنا إلى سَواء الصِّراط، خُذوه فاعتلوه إلى سَواء الجَحيم.

فالوسط المعتدل من الطريق والصراط والسبيل: هو الجهة الّتي تكون مصونة

عن الانحراف إلى اليمين والشمال وعن الضلال والتعدّي، وهو أشدّ اعتدالاً واستقامة من جهة العُلو والسفل في سطح الطريق.

ثمّ الاستواء يختلف باختلاف الموارد: ففي كلّ مورد بحسبه وعلى ما يقتضيه، فالتوسّط في الاعتدال في الخَلق من جهة النظم والكمال في خلقه وتدبيره ـ فَخَلَقَ فَسَوّى، ثُمَّ سَوّاك رجلاً، ونفسٍ وَما سَوّاها، عَلى أن نُسَوِّيَ بَنانَه.

والاستواء في التمكّن في محلّ: عبارة عن الاستقرار التامّ والتمكّن الكامل من دون انكسار وضعف وتزلزل واضطراب ـ واستَوَتْ عَلى الجوديّ، فإذا استَوَيتَ أنتَ وَمَن مَعَكَ عَلى الفُلك، لِتَسْتَوُوا عَلى ظهوره ثُمَّ تَذكرُوا نعمة ربّكُم ـ ٤٣ / ١٣.

فالافتعال للمطاوعة، فيدلّ على اختيار الاعتدال والتوسّط في مورد التمكّن، وهو الإستقرار التامّ المطمئنّ.

ومن هذا الباب: ثُمَّ استَوى إلى السَّماء، ثُمَّ استَوى عَلى العَرش يُدبِّر الأَمرَ ـ ١٠ / ٣.

الرَّحمٰنُ عَلى العَرشِ استَوى ـ ٢٠ / ٥.

يراد الاستقرار التامّ المطمئنّ والتمكّن بالاعتدال بإتمام الخلق وإكمال التدبير فيه.

والتعبير في السماء بحرف ـ على: فإنّ السماء جهة علوّ، وليست بموضع للتمكّن والاستقرار ـ راجع العرش.

والتسوية: جعل شيء معتدلاً في توسّطه، ومتوسّطاً معتدلاً بالعمل والنظم والتدبير والتكميل.

الَّذي خَلَقَكَ فَسَوّيْك فعدَّلَك ـ ٨٢ / ٧.

ثُمَّ سَوّاه ونَفَخَ فيه مِن رُوحه ـ ٣٢ / ٩.

رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها ـ ٧٩ / ٢٨.

وَنَفْسٍ وَما سَوّاها ـ ٩١ / ٧.

أي جعلها في توسّط مع اعتدال.

حَتّىٰ إذا ساوىٰ بَيْنَ الصَّدَفين ـ ١٨ / ٩٦.

صيغة المفاعلة تدلّ على التكرّر والاستمرار، أي جعل بينهما في توسّط واعتدال حتّى عادَلَهما.

وإذا اُريد من التوسّط معناه في نفسه: فيكون المراد جعل بين الصدفين سدّاً في حدّ الاعتدال والتوسّط خارجاً عن الإفراط والتفريط كماً وكيفاً.

الصِّراطُ السَّوِيّ، بَشَراً سَوِيّاً، يَمشي سَوِيّاً، ألّا تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً ـ ١٩ / ١٠.

أي الصراط الّذي يكون في توسّط مع اعتدال غير منحرف عن الاستقامة. والبشر السويّ في الخلقة والطبيعة. ويمشي حال كونه سويّاً غير مكبّ على وجهه. وألّا تكلّم مع أنّك في حالة توسّط مع اعتدال.

مَوعِداً لا نُخلفه نَحنُ وَلا أنتَ مَكاناً سُوىً ـ ٢٠ / ٥٨.

أي متوسِّطاً باعتدال من جهة كيفيّة أو كمّية أو نسبة وبُعد بيننا وبينكم أو غيرها.

وأمّا مفهوم الغير ـ هذا الرجل سوى زيد: فهو في الأصل هذا في مكان أو مرتبة يعادل زيداً ويقابله، وهذا المعنى يلازم التغاير.

* * *

سيب :

مصبا ـ ساب الفرس ونحوه يسيب سياباً: ذهب على وجهه، وساب الماء: جرى، فهو سائب. والسائبة أُمّ البَحيرة، وقيل السائبة كلّ ناقة تُسيّب لِنذرٍ فترعى حيث شاءت. والسائبة العبد يُعتق ولا يكون لمُعتِقه عليه وَلاء فيضع ماله حيث شاء، وسَيّبتُه فهو مُسيّب. وانسابت الحيّة انسياباً. والسَّيْب: العطاء.

مقا ـ سيب: أصل يدلّ على استمرار شيء وذهابه، من ذلك سَيْب الماء مجراه. ويقال سيّبت الدابّة: تركتها تسيب حيث تشاء. والسائبة العبد يُسيَّب من غير ولاء، يضع ماله حيث يشاء.

صحا ـ السَّيْب: العطاء. والسُّيوب: الرِّكاز. والسَّيْب: مصدر. ساب الماء: جرى. والسِّيب بالكسر: مجرى الماء. وانساب فلان نحوكم أي رجع. والسائبة: الناقة الّتي كانت تُسيَّب في الجاهليّة لنذر ونحوه، وقد قيل هي أُمّ البَحيرة: كانت الناقة إذا ولَدت عشرة أبطن كلّهن أُناث، سُيّبت ولم تُركَب ولم يَشرب لبنها إلّا ولدها أو الضيف حتّى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً، وبُحرت إذن بنتها الأخيرة فتسمّى البَحيرة، وهي بمنزلة أُمّها في أنّها سائبة، والجمع سُيَّب.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو جريان طبيعيّ وحركة منطلقة، ويلاحظ فيها قيد الانطلاق. وهذا القيد في كلّ مورد بحسبه، ففي كلّ من جريان الماء أو الفرس أو الحيّة أو الدابّة أو العبد: يلاحظ فيه قيد الانطلاق وكون الحركة في هذه الجهة.

وأمّا الرِّكاز والعطيّة والحرّيّة في المنطق: فيلاحظ فيها جهة انطلاق في جريانها، فكأنّها جارية كالجريان الخارجيّ، وإن شئت فقل إنّ الجريان أعمّ من أن يكون مادِّيّاً أو معنويّاً.

ما جَعَلَ اللهُ مِن بَحيرة ولا سائبةٍ ولا وَصيلةٍ ولا حامٍ، ولكنّ الَّذينَ كَفَروا يَفترون ـ ٥ / ١٠٦.

يراد إنّ هذه الموضوعات حدودها وأحكامها قد جعلت من عند أنفسهم افتراء، ولا إلزام فيها لأحد، بل إنّ الالتزام بها اتّباعاً عن جعلهم: بدعة محرّمة.

والنظر في الدابّة السائبة: إلى جهة كونها منطلقة عن القيود والحدود الّتي كانت في مملوكيّتها من قبل.

وأمّا البحث عن خصوصيّات السائبة الّتي كانت متداولة في الجاهليّة: فخارج عن موضوع الكتاب، ولا يثمر ثمرة.

وقد سبق البحث عن البحيرة والحام في مادّتيهما ـ فراجع.

* * *

سيح:

مقا ـ سيح: أصل صحيح وقياسه قياس ما قبله، يقال ساح في الأرض ـ **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**. والسَّيْح: الماء الجاري، والمَسابيح: هم الّذين يَسيحون في الأرض بالنميمة والشرّ والإفساد بين الناس، وممّا يدلّ على صحّة هذا القياس قولهم ساح الظلّ إذا فاء. والسَّيْح: العَباءة المخطّطة، وسمِّي بذلك تشبيهاً لخطوطها بالشيء الجاري.

مصبا ـ ساح في الأرض يَسيح سَيحاً، ويقال للماء الجاري سَيح، تسمية

بالمصدر، وسَيحون: نهر عظيم دون جيحون.

التهذيب ٥ / ١٧٣ ـ قال الليث: السَّيْح: الماء الظاهر على وجه الأرض يَسيح سَيْحاً. الأصمعيّ: ساح الماء يسيحُ سَيحاً: إذا جرى على وجه الأرض، وجمعه سيوح وأسياح. وقال الليث: السياحة ذهاب الرجل في الأرض للعبادة والترهّب، وسياحة هذه الأُمّة الصيام ولزوم المساجد. وجاء في التفسير: إنّ السائحين والسائحات: الصائمون. وقيل للصائم سائح: لأنّ الّذي يسيح متعبّداً يذهب في الأرض لا زاد معه، فحين يجد الزاد يطعم، والصائم لا يطعم أيضاً. وأساحَ فلان نهراً: إذا أجراه.

قع ـ (شِيحَ) محادثة، تأمّل، تفكير، اهتمام، حرص.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو جريان مع تروّي ونظر. وبهذا يظهر الفرق بينها وبين موادّ السيب والجريان وغيرها.

فإطلاق المادّة في مورد ظهور الماء وجريانه على وجه الأرض: إذا كان الجريان بالدقّة، فكأنّه يتروّى ويتأمّل في حركته. وهكذا في ذهاب الرجل مع توجّه وتفكّر في قبال وظائفه بينه وبين الله تعالى وبنيّة الطاعة والعبادة. وهكذا ذهابه بنيّة نميمة وإفساد وإيجاد شرّ. وكذلك في جريان الظلّ إذا فاء، فإنّه بالدقّة والتدريج والمحاسبة.

وأمّا العباءة المخطّطة ونحوها: فباعتبار التدبير وإعمال التفكّر في خطوطها حين النسج، فيكون إجراء رسم الخطوط بالدقّة والنظر.

بَراءَةٌ مِن اللهِ وَرَسولِه إلى الَّذينَ عاهَدتُم مِنَ المُشركينَ فسِيحُوا في الأَرض أربَعَةَ أشهُر ـ ٩ / ٢.

الخطاب للمشركين الناكثين عهودهم، وقد أمهل الله لهم أربعة أشهر حُرُم من شوّال، لكي يسيروا في الأرض منطلقين مع تفكّر وتروّي ونظر في جريان أمورهم وأعمالهم وبرنامج حياتهم وخصوصيّات أفكارهم واعتقاداتهم، ثمّ إذا انقضت تلك المدّة ولم يتنبّهوا ولم يهتدوا إلى الصلاح والرشد: فاقتلوهم.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في المورد، دون ما يرادفها.

التّائبونَ العابدونَ الحامِدونَ السّائحونَ الرّاكعونَ السّاجدونَ الآمِرونَ بالمعْروفِ والنّاهونَ عَنِ المُنكَرِ والحافظونَ لِحُدودِ الله وبشّر المؤمنينَ ـ ٩ / ١١٢.

وقد رتّب الله عزّ وجلّ مراحل السالكين إلى الله تعالى في سبعة منازل:

١ ـ منزل التوبة: وهو الرجوع إلى الله تعالى من العصيان والخلاف، ومن التعلّق بالحياة الدنيا، ومن الغفلة والضلال. وهذا أوّل منزل للسالك إلى الله تعالى، ولابدّ له من العزم والتصميم والنيّة الخالصة القاطعة، حتّى يخرج عن الخلاف والضلال بالكلّيّة، وتتحقّق له التوبة القاطعة من دون ترديد وتزلزل وريب.

٢ ـ منزل العبوديّة المطلقة: وهو التذلّل والتعبّد والإطاعة والاتِّباع في جميع ما يريد الله ويأمر وينهى، حتّى يكون جميع أعماله وأقواله وأحواله وبرنامج أموره وظاهره وسرّه على طبق حكم الله تعالى وعلى ما تقتضي وظائف العبوديّة، بحيث لا يُرى منه غير الطاعة، ولا يشاهد منه غير الخضوع والتذلّل.

ويلزم للسالك أن يجاهد في تثبيت آثار هذا المنزل والتثبّت فيه حتّى لا يبقى له أدنى خلاف في سرّه وعلنه، ويكون جميع جوارحه وأعضاء بدنه وقلبه في طاعة الله تعالى واتّباعه، قال عزّ وجلّ ـ وَما خَلَقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا لِيعبُدون ـ فإنّ عبادة الله تعالى والسّير في طاعته واتّباعه هو سعادة العبد، وفيه صلاحه وكماله، ويقابله الضّلال والانحراف عن الحقّ، واتّباع خطوات الشيطان.

٣ ـ منزل الحمد: ومرجعه إلى رضى العبد وطمأنينة نفسه في قبال قضائه وحكمه تكوينيّاً وتشريعيّاً، وكون الربّ تعالى ممدوحاً عنده من أيّ جهة وصفة، من جهة صفاته الذاتيّة وصفاته الفعليّة، ومن جهة أوامره ونواهيه وتكاليفه المتوجّهة إلى العبيد عامّة أو خاصّة.

فإنّ العبد إذا توجّه إلى أنّ صلاحه وسعادته وخيره في اتّباع الأحكام الإلهيّة وفي عبوديّة الربّ وإطاعته وسلوك مرضاته: يعرف أنّ ما يريد ويقضي ويحكم ويقدّر إنّما هو خير وصلاح للعبد، وما يريد إلّا إصلاح حاله وتكميل نفسه وإيصال الخير والرحمة إليه.

فهو محمود في جميع فعاله وشؤونه، ليس في حكمه وهن، ولا في عمله ضعف ولا في قوله خلاف، ولا في تدبيره اختلال، ولا يتصوّر له نقص ولا حاجة، وهو غنيّ في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.

فلابدّ للعبد من تحقيق هذه الصفات الإلهيّة ومعرفتها واليقين بها، حتّى يكون مطمئناً عليها، وحامداً له على كلّ حال، لا يبقى في نفسه أدنى درجة من اضطراب واعتراض وترديد.

فتحقّق هذه الصفة وتثبّتها في سرّ السالك إنّما يكون بعد تثبّت العبوديّة، وما لم يتثبت في هذا المنزل: لا يتوقّع له الارتقاء إلى منزل أعلى.

٤ ـ منزل السياحة: وهو سير معنويّ وحركة روحيّة في الأسماء والصفات والتجلّيات الإلهيّة، وتحصيل المعرفة بالحقائق والمعارف اللّاهوتية بتهذيب النفس وتزكيتها وتسليمها ورفع الحجب بتأييد الله المتعال وحوله وقوته ولطفه وعنايته وتوفيقه.

وهذا المعنى إنّما يتحقّق بالاتّصاف بالصفات العليا الإلٰهيّة، والتمكّن في

حضرتها، والتثبّت في ساحتها، والتخلّق بحقائقها.

وحينئذٍ تتجلّى له حقائق الأسماء والصفات، ويستعدّ لإدراكها. وهذا المنزل يعبّر عنه ـ بالسفر في الحقّ بالحقّ.

٥ ـ منزل الركوع: وفيه يتحقّق الخضوع والخشوع التامّ للسالك في قبال عظمة اللّاهوت وجلال الله وجماله الأبهى، وترتفع الأنانيّة، ويركع لله بظاهره وباطنه وفي جميع أعماله وأحواله.

٦ ـ منزل السجود: وفيه يتحقّق مقام المحو والفناء الصرف، ولا يبقى من وجوده أثر، ولا يرى إلّا الله، وفيه تتجلّى حقيقة الإخلاص.

٧ ـ منزل السفر إلى الخلق: وهو المعبّر عنه بقوله تعالى: الآمِرونَ بالمَعروف والنّاهُونَ عَنِ المُنكَر والحافظونَ لحدودِ الله، وهذه الجملات بمنزلة جملة واحدة، وإشارة إلى منزل واحد، بقرينة العطف بالواو.

وفي هذا المنزل بعد الفناء الصرف وتجلّي الإخلاص: يستعدّ السالك لأن يكون واسطة بين الخلق والخالق بولاية عامّة أو خاصّة.

فهذه سبعة منازل للسالك إلى الله العزيز: منزلان منها في عالم الملك ويتعلّقان بالبدن، وهما التوبة والعبادة. وثلاثة منازل منها تتعلّق بالقلب وعالم الملكوت، وهي الحمد والسياحة والركوع. وواحد منها يتعلّق بعالم الجبروت والعقل وحكومة اللّاهوت وهو السجود. والمنزل الأخير مقام جامع، وفيه تتجلّى حقيقة الإنسان وكماله.

وهذا هو المراد من الإنسان الكامل، كما أنّ المنزل السادس يعبّر عنه بمقام الوصول واللقاء ورفع الحجب. وقد أشير إلى هذه المنازل الستّة بقوله تعالى: فَمَن كانَ

يَرْجو لِقاءَ رَبّه فليَعْمَل عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشرِك بِعبادَة رَبّه أحَداً ـ ١٨ / ١١١.

أن يُبدله أزواجاً خَيراً منكنّ مُسلِمات مؤمنات قانِتاتٍ تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكاراً ـ ٦٦ / ٥.

الآية الكريمة في توصيف الأزواج من حيث كونهنّ أزواجاً، وهذه الأوصاف بالترتيب المذكور صفات كماليّة محسّنة لهنّ، وآخرها السياحة بعد كونهنّ عابدات، والمراد كونهنّ في صدد النظر والتفكّر والتحقيق في المعارف الإلهيّة والعقائد الدينيّة وكيفيّة تهذيب النفس.

فالسياحة في مقام الزواج آخر منزل يفيد ويؤثّر في كماله وتمامه. وأمّا الركوع والسجود والأمر بالمعروف: فغير مفيدة في مقام الزواج من حيث الزوجيّة، بل قد تنافي حقوق الزوجيّة، وعلى هذا لم تذكر في المورد.

وأمّا عدم ذكر صفات ـ الإسلام والإيمان والقنوت في عداد منازل السالكين في الآية السابقة: فإنّ السلوك إنّما يبتدأ به من منزل التوبة، وأمّا مراحل الإسلام والإيمان والقنوت الظاهريّة الأوّليّة: فهي مقدّمة للسلوك إلى الله تعالى، والسّير إنّما يبتدأ به من التوبة. فإنّ السّير إنّما يتحقّق بعد التثبّت والتهيّؤ، وهذه الصفات للتهيّؤ.

* * *

سير:

مقا ـ سير: أصل يدلّ على مضيّ وجريان، يقال سار يسير سيراً، وذلك يكون ليلاً ونهاراً. والسِّيرة: الطريقة في الشيء والسنّة، لأنّها تسير وتجري، يقال سارَتْ، وسِرتُها أنا. والسَّيْر: الجلد، معروف، وهو من هذا، سمّي بذلك لامتداده كأنّه يجري. وسَيّرتُ الجُلّ عن الدابّة: إذا ألقيتَه عنه. والمُسَيَّر من الثياب: الّذي فيه خطوط كأنّه

سيور.

مصبا ـ سار يَسيرُ سَيراً ومَسيراً يكون باللّيل والنّهار ويستعمل لازماً ومتعدّياً، فيقال سار البعير وسرته فهو مَسير وسيّرت الرجلَ فسار، وسيّرت الدابّة، فإذا ركبها صاحبها وأراد بها المرعى: قيل أسارَها، وسار في الناس سيرة حسنة أو قبيحة، والجمع سِيَر، وغلب إسم السِّيَر في ألسنة الفقهاء على المغازي، والسيرة أيضاً: الهيئة والحالة. والسَّيْر: الّذي يقدّ من الجلود، وجمعه سُيور. والسَّيّارة: القافلة. وسَئِر الشيء سُؤراً: بقي، فهو سائر، وليس معناه الجميع.

مفر ـ السَّيْر: المضيّ في الأرض، ورجل سائر وسَيّار، والسَّيّارة: الجماعة، يقال سرت، وسرت بفلان، وسرته أيضاً، وسيّرته على التكثير، فمن الأوّل ـ أفلَم يَسيروا. ومن الثاني ـ سار بأهله. ولم يجئ في القرآن القسم الثالث. والرابع ـ وسُيِّرت الجبال. وأمّا قوله ـ سِيروا في الأَرض: فقد قيل حَثّ على السياحة في الأرض بالجسم، وقيل حثّ على إجالة الفكر ومراعاة أحواله ـ أبدانهم في الأرض سائرة وقلوبهم في الملكوت جائلة، ومنهم مَن حمل ذلك على الجَدّ في العبادة المتوصّل بها إلى الثواب، وعلى ذلك حمل ـ سافروا تَغنموا.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو حركة وذهاب ظاهريّ مادِّيّاً، كما أنّ السرى هو سير في السرّ مادِّيّاً أو معنويّاً.

وسبق في السرى: الفرق بين هذه المادّة وبين موادّ ـ السيلان والمرور والذهاب والمشي والسلوك والمجيء والجري والسبق وغيرها.

وقلنا: إنّ السيب هو جريان مع انطلاق، والسيح هو جريان مع نظر، فيكون فيما بين موادّ ـ السرى والسير والسيب والسيح والسيل والسيع والسوغ اشتقاق أكبر ـ راجع الموادّ.

والسِّيرة فِعلة لبناء النوع، فيدُلّ على نوع مخصوص من السّير، فيمتاز بـنوع من الهيئة أو الحالة أو الجريان أو الكيفيّة.

والأصل فيها هو اللّزوم، وهو أعمّ من المشي والجري والسيل.

فَلَمّا قَضى موسى الأَجلَ وسارَ بأهله آنسَ مِن جانب الطّور ـ ٢٨ / ٢٩.

قد استعملت متعدّية بحرف الباء. وقد سبق في بقع ـ وبحر: طريق موسى (ع) في سيره من مَديَن إلى طور سيناء.

والظاهر أنّ موسى (ع) كان له ابن في مدين وسار به وبامرأته صَفّورة ثمّ تولد له ابن آخر في أثناء سفره قريباً من الطور.

سفر الخروج ٤ / ١٩ ـ وقال الربّ لموسى في مِديان اذهَبْ ارجع إلى مصر لأنّه قد مات جميعُ القوم الّذين كانوا يَطلبون نفسَك، فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحَمير ورجع إلى أرض مصر.

وظاهر هذا الكلام وجود ابنين له في أوّل سفره من مدين.

وقَدَّرنا فيها السَّيْر سِيرُوا فيها لَيالي وأيّاماً آمنين ـ ٣٤ / ١٨.

أفَلَم يَسيروا في الأَرض فَتكون لَهُم قُلوبٌ يَعقلون بِها ـ ٢٢ / ٤٦.

فسِيروا في الأَرض فانظروا كَيفَ كانَ عاقبَة المكذّبين ـ ٦ / ١١.

يراد السير والسفر الظاهريّ.

يَومَ تَمورُ السَّماءُ مَوْراً وتَسير الجبال سَيْراً ـ ٥٢ / ١٠.

أي تضطرب السماء وتسير جبال الأرض، والظاهر أنّها إشارة إلى انهدام هذه الدنيا واختتام الحياة المادّيّة النوعيّة، أو المراد قيام القيامة الكبرى واضطراب الأنفس العالية وتبدّل أراضي النفوس السافلة وسيرها.

ويَومَ نُسيِّر الجبالَ وتَرى الأَرض بارِزَةً ـ ١٨ / ٤٧.

يَومَ يُنفَخ في الصُّور فتأتون أفواجاً وفتحت السَّماء فَكانَت أبواباً وسُيِّرَت الجبال فَكانَت سَراباً ـ ٧٨ / ٢٠.

إذا الشَّمسُ كُوِّرَت وإذا النُّجومُ انكَدَرَت وإذا الجِبالُ سُيِّرَت ـ ٨١ / ٣.

فإمّا تتحقّق هذه الأُمور بالقيامة الشخصيّة الأنفسيّة، أو بالعامّة الكبرى، وعلى أيّ تقدير: فالبحث عن جزئيّات هذه العوالم، وخصوصيّات أطوارها وكيفيّة روحانيّتها وجسمانيّتها: لا يغني من الحقّ شيئاً.

مَتاعاً لَكُم وللسَّيّارَة، يَلتَقِطْهُ بَعضُ السَّيّارَة، وجاءَتْ سَيّارَة ـ ١٢ / ١٩.

السيّارة مؤنّث السَّيّار وهو فَعّال صيغة مبالغة، وتطلق السيّارة على الطائفة الّذين يسيرون في الأرض.

سَنُعيدُها سِيرتَها الأُولى ـ ٢٠ / ٢١.

أي الحالة والهيئة الّتي هي نوع من سيرها.

❊ ❊ ❊

سيل :

مقا ـ سيل: أصل واحد يدلّ على جريان وامتداد، يقال سال الماء وغيره يَسيل سَيْلاً وسَيَلاناً. ومَسيل الماء إذا جعلت الميم زائدة: فن هذا، وإذا جعلت الميم

أصليّة فمن باب آخر.

مصبا ـ السَّيْل معروف، وجمعه سُيول، وهو مصدر في الأصل من سال الماء يسيل سيلاً من باب باع وسَيَلاناً: إذا طفا وجرى، ثمّ غلب السيل في المجتمع من المطر الجاري في الأودية، وأسَلْته إسالة: أجريته. والمسيل: مَجرى السيل، والجمع مسايل ومُسُل، وربّما قيل مُسلان. وسال الشيء: خلاف جمد، فهو سايل. وقولهم لا نفس لها سائلةٌ: مرفوعة، لأنّها خبر مبتدأ في الأصل، ولا يجوز النصب على أنّها صفة تابعة لنفس، لأنّ الصفة يجوز حذفها ويبقى الكلام بعدها مفيداً، وإذا حذفت سائلة: بقي المعنى فاسداً.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو جريان في المايعات أشدّ كمّاً وكيفاً فوق جريان طبيعيّ، والشدّة في كلّ مورد بحسبه.

فيقال سال القطر، وسال الماء، وسال النهر، وسال الشطّ.

وسبق في سرى: أنّ السير هو حركة في الظاهر مادّياً، والسرى هو حركة في خفاء وسرّ بلا إعلان. والسلك حركة في خطّ مطلقاً.

أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أودِية بقَدَرها فاحتملَ السَّيْل زَبَداً رابِياً ـ ١٣ / ١٧.

الأودية جمع الوادي وهو كلّ منفرج فيما بين الجبلين أو غيرهما يكون مَجرىً للسيل، ونسبة السيلان إلى الأودية مجاز، وهذا التعبير شايع كثيراً في العرف، فيقال جرى النهر، ولا يقال جرى ماء النهر، والمجاز في النسبة إذا كان متداولاً ومستعملاً في

العرف لغرض منظور: يجوز في الكلام المعجز الإلهيّ، لعدم طروّ شبهة فيه مع إعمال الغرض.

وهذا مَثَل يشار به إلى نزول الماء الروحاني من سماء العالم العلوي، وجريانه في المجاري المختلفة، في كلّ مرتبة بحسبها.

... كذلك يضربُ الله الحَقّ والباطلَ ... كَذلك يَضرب الله الأمثال.

ومن وجوه اللطف في التعبير بالأودية: أنّ نفس الأودية أيضاً من مصاديق السيلان، بل من أتمّ المصاديق، فإنّ الفيض المنبسط والرحمة السائلة من الحقّ المتعال في المرتبة الأُولى: هو نور الوجود، وقد قال تعالى ـ مِنَ الماء كُلّ شَيءٍ حَيّ.

ونور الوجود يفيض منه تعالى على المهيّات المقدّرة المعيّنة والأودية المصوّرة اللّازمة المحدودة، بحسب ما كانت مقدّرة في النظام، ثمّ بعدها يسيل منه تعالى أنواع العلم والرحمة والقدرة وغيرها.

ولعلّ التعبير بالسيلان: إشارة إلى جريان الفيض دائماً من مرتبة عالية إلى ما دونها، غير متوقّف في وادي ومورد.

وعلى هذا المعنى فلا يكون في التعبير إسناد مجازيّ أيضاً ـ راجع الزبد.

فأرسَلنا عَليهم سَيْل العَرِم ـ ٣٤ / ١٦.

راجع العرم.

وأسَلْنا لَهُ عَينَ القِطر ـ ٣٤ / ١٢.

ولا يبعد أن يكون القِطر صيغة فِعل من القَطْر وهو الجريان الضعيف قَطرةً قَطرةً، من أيّ جنس كان ـ راجع القطر.

وهذه الإسالة إمّا بإرادة الله تعالى من دون واسطة في مورد خاص أو بالإطلاق أو بإجازته وتقويته ونظره.

* * *

سيناء :

لسا ـ وطور سِينينَ وسِينا وسَيْناء : جبل بالشام. قال الزجّاج : إنّ سيناء إسم المكان، بمعنى الحجارة، فمن قرأ سَيْناء على وزن صَحراء : فإنّها لا تنصرف، ومن قرأ سِيناء فهو على وزن عِلياء إلّا أنّه إسم للبُقعة : فلا ينصرف. والسِّينينيّة : شجرة، حكاه أبو حنيفة عن الأخفش، وجمعها سينين، وزعم الأخفش : أنّ طورَ سينين مضاف إليه. الجوهري : هو طور أُضيف إلى سينا وهي شجرة.

معجم البلدان ـ سينا : بكسر أوّله ويُفتح : إسم موضع بالشام يضاف إليه الطور، وهو الجبل الّذي كلّم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السّلام ونودي فيه، وهو كثير الشجر. وقد جاء في إسم هذا الموضع سِينين.

تاريخ سينا ص ٩ ـ شبه جزيرة طور سينا، قد أخذت شكل مُثلَّث قَعد على البحر المتوسط، وانقلب على رأسه فدخل كالسفين في رأس البحر الأحمر، وشطَره شطرين هما خليج العقبة وخليج السويس. وشبه الجزيرة في الأصل هي البلاد الواقعة بين هذين الشطرين المعروفة الآن ببلاد الطور، ثمّ امتدّت إداريّاً فشملت بلاد التيه ثمّ بلاد العريش في الشمال، فأصبح حدّها من الشمال البحر المتوسّط، ومن الغرب ترعة السويس وخليج السويس، ومن الجنوب البحر الأحمر، ومن الشرق خليج العقبة وخطّ يقرب من المستقيم يبدأ من رأس طابا على رأس خليج العقبة وينتهي بنقطة على شاطئ البحر المتوسّط عند رفَح. وأمّا سيناء : فلغةً الحجر، قيل سمِّيت

البلاد سيناء: لكثرة جبالها. وقيل إنّ إسم سيناء مأخوذ من السين بمعنى القمر في العبرانيّة، لأنّ أهلها كانوا قديماً يعبدون القمر، بل يكفي لنسبتها إلى القمر حسن الليالي المقمرة فيها.

وأمّا البحر المتوسّط الّذي يحدّ سيناء من الشمال: فطول شاطئه من بورسعيد إلى رفَح على خطّ مستقيم نحو مائة ميل.

وأمّا ترعة السويس من الغرب: فهي الترعة الّتي تصل البحر الأحمر رأساً بالبحر المتوسّط عند بورسعيد، من مدينة السويس، فطولها ١٦٠ كيلومتراً، وعرضها مائة متر، وعمقها تسعة أمتار وخمسون سنتيمتراً، واحتفل بافتتاحها سنة ١٨٦٩ م.

وأمّا خليج السويس: فطوله من السويس إلى رأس محمد نحو ١٥٠ ميلاً، وعرضه من عشرة أميال إلى ١٨ ميلاً.

وأمّا خليج العقبة: فطوله من رأس محمّد إلى قلعة العقبة نحو مائة ميل، وعرضه من سبعة أميال إلى أربعة عشر ميلاً.

والحدّ الشرقيّ في الشمال الشرقيّ: من أيلة على رأس خليج العقبة إلى رَفَح وهو الحدّ بين مصر وسوريا القديم ـ إنتهى تلخيصاً.

[راجع الخريطة في مادّة البحر من المجلّد الأوّل].

قع ـ (سِينَيْ) جبل سينا.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو المعنى الواحد الإسميّ، وهو الأرض المحدودة من القطعة الواقعة بين أراضي الحجاز ومصر، والقدر المسلّم المقطوع فيه: هو

القطعة الواقعة فيما بين خليج السويس وخليج العقبة، أي مجموع الأراضي من انتهاء البحر الأحمر إلى انتهاء الخليجين في جهتي الشرق والغرب، متوسّطة بينهما، فتشمل جبال الطور وبلادها وجبال التيه إلى بلدة أيلة شرقاً، والسويس غرباً.

ولكنّ المتداول في العرف: هو امتدادها إلى البحر الأبيض شمالاً، فتنتهي إلى بلدة رفح شرقاً، وإلى بورسعيد غرباً.

ومجموع هذه القطعة الواسعة يقرب من ثلاثين ألف كيلومتر مربّع، كما أنّ قطعة بلاد الطور تقرب من عشرة آلاف كيلومتر مربّع.

وفي هذه القطعة جبال مرتفعة: كجبل الطور، وجبل المناجاة، وجبل الصفصافة، وجبل سربال، وجبل حمّام موسى، وغيرها، وأشهرها جبل طور سيناء، وإليه تنسب الجزيرة كلّها، وهو واقع في وسط جهة الشمال من البحر الأحمر، قريباً من مسافة أربعين ميلاً.

والظاهر أنّ جبل الطور سلسلة تشمل عدّة قمم، منها جبل المناجاة وجبل موسى وغيرهما، ونبحث عنه في كلمة الطور إن شاء الله العزيز المتعال.

ثمّ إنّ كلمة سينا قد تعرّبت من العبريّة أو السريانيّة، فإنّ الكلمة في العبريّة هكذا ـ سِينَيْ. وفي السريانيّة ـ سِينَيْ ـ أيضاً. وفي اليونانيّة ـ سِينا. كما في ـ فرهنگ تطبيقي للمشكور.

فكلّ من سيناء والسِّينين: مأخوذ من هذه اللّغات بزيادة همزة أو نون في آخره مع تغيير مختصر.

والتّين والزَّيتونِ وطُورِ سِينينَ وَهذا البَلَدِ الأمين لَقَد خَلَقنا الإنسانَ في أحسَنِ تَقويم ثُمَّ رَدَدْناهُ أسفَلَ سافِلين إلّا الَّذينَ آمَنوا وعَمِلُوا الصّالحات فَلَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنون ـ ٩٥ / ٢.

سبق في التين والزيتون: إنّهما من الأشجار ذات الفواكه الممتازة اللذيذة المقوّمة للحياة الجسمانيّة، والأخيران من الأماكن المقدّسة الّتي يتوجّه فيها إلى الله المتعال، فالأوّلان لتصفية البدن والأخيران لتصفية الروح.

ويناسب هذه الكلمات ما بعدَها من خلق الإنسان ظاهره وبدنه ومجموعه على أحسن تقويم، ثمّ أشار بأنّ هذا الظاهر على أحسن تقويم، لا يدوم بل يفنى بعد زمان ويُردّ إلى أسفل مقام، إلّا أن يتوجه إلى جهة الباطن ويتحصّل له كمال وجمال ونورانيّة روحانيّة، في أثر الإيمان والعمل الصالح.

وكما أنّ البدن وسيلة يتوسّل بها إلى تقوية الباطن وتكميل الروح والوصول إلى السعادة الحقّة وعالم النور: كذلك هذه الأماكن المكرّمة الّتي يتجلّى فيها نور الجلال والجمال والعظمة الإلهيّة:

ولمّا تجلّى ربّــه للجبل، وناديناه من جانب الطّور الأيمن، إنّ أوّل بَيتٍ وُضعَ للنّاسِ للّذي ببَكّة مُباركاً وهُدىً للعالَمين.

وأمّا خصوصيّة التين والزيتون: فإنّهما يكثران في أراضي بيت المقدّس وحواليها، وتلك الأراضي محلّ بعث الأنبياء وموضع حياتهم الروحانيّة، وفيها تحقّقت الدعــوة الإلهيّة، وظهرت الآيات الربّانيّة، وأكثر أنبياء بني إسرائيل كانوا فيها.

ولمّا لم يكن لهذه المواضع محلّ معيّن، وكانت مبسوطة وسعت أكثر أراضي الشام القديم: عبّر بالشجرين الممتازين فيها، إشارة إلى جهة الروحانيّة وظـهور الآيــات الإلهيّة والتوجّه إلى الحقّ فيها. مضــافاً إلى خصوصــيّة ممتازة في التين والزيتون من جهة التصفية.

فالنظر في ذكر هذه الكلمات: الإرشاد إلى دعوة الأنبياء وتوجيه القلوب إلى

آيات الله ومظاهره وكلماته.

ولا يبعد أن يكون التعبير بالسينين دون السيناء: إشارة إلى أنّ المنظور في المورد المحلّ المحدود من أراضي سيناء، وهو ما يقرب من جبل الطور وحواليها، فإنّ الياء مع النون تدلّ على الانكسار والانخفاض، وهذا يناسب المحدوديّة والاختصاص. بخلاف الألف الممدودة، فتدلّ على التوسّع والامتداد.

ويناسب الممدودة: الآية الكريمة:

فأنشأنا لَكُم بِه جَنّاتٍ ... وشَجَرَةً تَخْرجُ مِن طُورِ سَيناءَ تَنْبُتُ بالدُّهنِ وصِبغ للآكِلينَ.

وشجرةً عطف على جنّاتٍ. وطور سَيناء: بالإضافة يدلّ على جبل معيّن ممتاز بالروحانيّة. وبالدهن: أي يكون النبات ونموّها مُلصَقاً ومرتبطاً بالدُّهن والصِّبغ. والدَّهن بمعنى اللّطافة واللِّينة، والدُّهن ما يُدهن به، وهو من مصاديق اللّطافة. والصِّبغ ما يُصبَغ به من لون أو طعم أو إدام وغيرها.

يراد إنّ الماء المنزل من السماء إلى الأرض: تنشأ منه جنّات عموميّة من نخيل وأعناب وغيرها، وشجرة خاصّة لها امتياز من جهة المحلّ ومن جهة الثمر، فهي تنبت في طور سيناء الّتي هي أرض يتجلّى فيها نور الله تعالى وهو الوادي المقدّس ومنزل الوحي.

وثمرتها الدُّهن والصِّبغ: يكون مادّة للإضاءة وإيجاد النور وإدامة الحياة في النور، وهي أيضاً توجب تلوين الطعام وتنويعه.

وهذه الجملة كالمثل يشار بها إلى أنّ الفيوضات المعنويّة النازلة من سماء الفيض والرحمة إلى أراضي النفوس البشريّة أيضاً كذلك.

فمنهم من لا يستفيد منها إلّا في حياتهم الدنيويّة، فهم فيها مستغرقون، ولا يطلبون إلّا تلك الحياة، ولا يدعون إلّا ما يتعلّق بتلك المحدودة، ولا يريدون الخروج والانقطاع عنها إلى ما فوقها.

ومنهم الخواصّ أهل البصيرة والمعرفة وأُولو الفضائل والحكمة، مستعدّون لقبول الأنوار والفيوضات الربّانيّة، مستفيضون من التوجّهات الرحمانيّة، ولهم حياة روحانيّة، متعلّقون بالملأ الأعلى.

فهم أولياء الله في أرضه وحججه على عباده، بهم ينوّر الله قلوب عباده، ويهديهم إلى صراطه. ومنهم ينشر العلم والهداية، ومن علومهم يستفيد الناس، ومن أنوارهم يهتدون في ظلمات الجهل والضلال، وهم المنعَمون والمنعِمون وأهل النعمة، والناس بأطعمتهم الروحانيّة يتنعّمون.

ألم تَرَ كَيفَ ضَربَ اللهُ مَثَلاً كَلمةً طيِّبةً كشَجَرَةٍ طَيِّبةٍ أصلُها ثابتٌ وفَرعُها في السَّماء تؤتي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذنِ رَبِّها.

يوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيتونَة.

هذا آخر المجلّد الخامس من كتاب التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وقد تمّ بتوفيق الله المتعال وتأييده في العشرين من الربيع الثاني سنة / ١٤٠٠ ـ هـ [١٣٥٨/١٢/١٨] في بلدة قم المشرّفة.

الكتب المنقولة عنها في هذا الكتاب

أسا = أساس البلاغة، للزمخشري، طبع مصر، ١٩٦٠ م.

أخبار الأيّام الأوّل من العهد العتيق، طبع بريطانيا.

أخبار الأيّام الثاني من العهد العتيق، طبع بريطانيا.

الاشتقاق لابن دُريد، طبع مصر، ١٣٧٨ هـ.

كتاب الأفعال لابن القطاع، ٣ مجلّدات، طبع حيدر آباد دكن، ١٣٦١ هـ.

تاريخ ابن الوردي، جزءان، طبع مصر، ١٢٨٥ هـ.

التكوين ـ سفر التوراة، من العهد العتيق، طبع بريطانيا.

التهذيب ـ في اللّغة للأزهري، ١٥ مجلّداً، طبع مصر، ١٩٦٦ م.

الجامعة ـ لسليمان النّبيّ (ص) من العهد العتيق، طبع بريطانيا.

الجمهرة ـ لابن دُريد، ٤ مجلّدات، طبع حيدر آباد دكن، ١٣٤٤ هـ.

حزقيال ـ من العهد العتيق، طبع بريطانيا.

سفر الخروج من التوراة، طبع بريطانيا.

سفر العدد من التوراة، طبع بريطانيا.

صحا = صحاح اللّغة للجوهري، طبع إيران، ١٢٧٠ هـ.

فرهنگ تطبيق عربي ولغات سامي، للمشكور، طبع إيران.

الفروق اللغويّة للعسكريّ، طبع مصر ـ القاهرة، ١٣٥٣ هـ.

قاموس الأعلام للسامي بالتركيّة، ٦ مجلّدات، طبع اسلامبول.

قاموس كتاب مقدّس لمستر هاكس، بالفارسيّة، طبع بيروت، ١٩٢٨ م.

قاموس عبري = قع، لقوجمان، طبع ١٩٧٠ م.

الكامل في التاريخ لابن الأثير، ١٢ مجلّداً، طبع مصر، الأوّل.

الكشّاف = تفسير، للزمخشري، طبع مصر، مجلّدان، ١٣٠٨ هـ.

لسا = لسان العرب لابن منظور، طبع بيروت، ١٥ مجلّداً، ١٣٧٦ هـ.

المروج = مروج الذهب، للمسعودي، مجلّدان، طبع مصر، ١٣٤٦ هـ.

مصباح الشريعة، المنسوب إلى الإمام الصادق (ع)، طبع طهران.

مصبا = مصباح اللّغة للفيّومي، طبع مصر، ١٣١٣ هـ.

معاني الحروف، للرُّمّاني، طبع مصر.

معجم البلدان، للحموي، ٥ مجلّدات، طبع مصر ـ القاهرة.

المعرّب، من الكلام الأعجمي، للجواليقي، طبع مصر، ١٣٦١ هـ.

مفر = المفردات للراغب في غريب القرآن، طبع مصر، ١٢٣٤ هـ.

مقا = مقاييس اللّغة، لابن فارس، ٦ مجلّدات، مصر، ١٣٩٠ هـ.

الملوك الأوّل، من كتب العهد العتيق، طبع بريطانيا.

نحميا = من الكتب المقدّسة، طبع بريطانيا.

نشيد الأنشاد لسليمان، طبع بريطانيا.

والمراجع في الكتاب: أكثر الكتب الأدبيّة واللغويّة المعتبرة.